إعلام الورى

بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى

تأليف

محمد بن طولون الصالحي الدمشقي

المتوفى سنة ٩٥٣ هـ

تحقيق

محمد أحمد دهمان

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
ط ١ : ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م



طبع بأجهزة (C. T. T.) السويسرية للصف التصويري ،
وبالأوفست في دار الفكر هاتف (٢١١١٦٦/٢١١٠٤١) ، برقياً (فكر)
ص.ب (٩٦٢) دمشق-سورية Tx FKRMGS 411745 Sy

مقدمة

العصر المملوكي هو أولى العصور بالدراسة والتحليل والاعتبار ، ذلك أننا في سورية وفلسطين ولبنان ومصر والحجاز واليمن ـ بصورة خاصة والعالم الإسلامي بصورة عامة ـ متصلون اتصالاً وثيقاً بهذا العصر في ثقافتنا وتفكيرنا وأخلاقنا وعاداتنا وما إلى ذلك من شؤون . ورغماً عن العهد العثماني الذي فصل بيننا وبين العصر المملوكي بنحو أربعة قرون لانزال متأثرين إلى حد بعيد بالعصر المملوكي . فأسواقنا وحماماتنا وخاناتنا وقيسرياتنا وجوامعنا ومساجدنا ومدارسنا جلها مملوكية .

وإذا رجعنا إلى حياتنا الفكرية والعلمية نجد أنفسنا خاضعين في تفكيرنا إلى حد كبير ، للكتب المؤلفة في العهد المملوكي .

فألفية ابن مالك[1] وشروحها ، وكتب ابن هشام[2] : القطر ، والشذور ، والتوضيح ، ومغني اللبيب هي مملوكية . وعلوم البلاغة : المعاني والبديع والبيان كلها ترجع إلى متن التلخيص الذي وضعه جلال الدين القزويني الدمشقي[3] .

---

(١) محمد بن عبد الله الطائي الأندلسي الجياني اشتهر وطار صيته بألفيته النحوية تولى مشيخة الإقراء والعربية في المدرسة العادلية الكبرى المقر السابق لمجمع اللغة العربية بدمشق وتوفي فيها سنة (٦٧٢) .

(٢) جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري النحوي توفي في مصر سنة (٧٦١) .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن القزويني الدمشقي قاضي دمشق وخطيب جامعها الأموي توفي فيها سنة (٧٣٩) .

أما معاجم اللغة فأكثرها استعمالاً وانتشاراً هي : لسان العرب لابن منظور[1] والقاموس المحيط للفيروز آبادي[2] والمختار ، والمصباح .

وفي الفقه الشافعي يرجع المتفقهون إلى كتب النووي[3] وخاصة المنهاج وشروحه ، ومختصره المنهج ، وشروحه ، ومؤلفات السبكي[4] ، ومتن الزبد وشروحه .

أما كتب التاريخ فأشهرها : وفيات الأعيان لابن خلكان[5] ، فوات الوفيات وعيون التواريخ وكلاهما لابن شاكر الكتبي[6] ، البداية والنهاية لابن كثير[7] ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي[8] ، السلوك للمقريزي[9] ، المختصر في أخبار البشر للملك أبي الفداء[10] ، تتمته لابن الوردي[11] ، تاريخ ابن خلدون .

وفي الثقافة العامة : مقدمة ابن خلدون[12] ، نهاية الأرب

---

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري توفي بمصر سنة (٧١١) .

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي توفي في زبيد بقطر اليمن سنة (٨١٧) .

(٣) هو محيي الدين يحيى بن شرف النواوي ويقال النووي توفي سنة (٦٧٧) .

(٤) هو تقي الدين علي بن محمد السبكي الأنصاري الخزرجي توفي سنة (٧٥٦) .

(٥) ابن خلكان هو أحمد بن محمد بن خلكان قاضي دمشق توفي فيها سنة (٦٨١) .

(٦) هو محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي الداراني الدمشقي توفي فيها سنة (٧٦٤) .

(٧) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى فيها سنة (٧٧٤) .

(٨) هو الأمير يوسف بن تغري بردي تولى أبوه تغري بردي نيابة دمشق ثلاث مرات وتوفي فيها سنة (٨١٥) وتوفي ولده يوسف المؤرخ بالقاهرة سنة (٨٧٤) .

(٩) تقي الدين أبو العباس مؤرخ القاهرة وواضع كتاب خططها : المواعظ والاعتبار ، توفي فيها سنة (٨٨٥) .

(١٠) هو إسماعيل بن علي الأيوبي ملك حماة توفي فيها سنة (٧٣٢) .

(١١) هو زين الدين عمر بن مظفر المعري الحلبي تمم تاريخ أبي الفداء من سنة (٧٠٩ ـ ٧٤٩) توفي بحلب سنة (٧٤٩) .

(١٢) ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد توفي سنة (٨٠٨) .

للنويري[1] ، صبح الأعشى للقلقشندي[2] .

وليس ماذكرته هو كل ما ألف في العصر المملوكي . فهناك مؤلفات بني السبكي ، وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، والسخاوي ، والسيوطي ، والشعراني وغيرهم .

وما ذكرته هو على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقصاء .

وقد لاحظ العلماء الغربيون قيمة العصر المملوكي فقاموا بنشر عدد وافر من الكتب التي تتكلم عن هذا العصر ، وترجموا كثيراً من النصوص والكتب التي تبحث في ذلك .

وكان مما له حظ في نقله من اللغة العربية إلى اللغة الإفرنسية كتاب « إعلام الورى » لمحمد بن طولون موضوع بحثنا ، فقد ترجمه إلى الإفرنسية العلامة البحاثة الأستاذ هنري لاووست مع كتاب آخر لابن جمعة المقَّار ونشرهما المعهد الإفرنسي للدراسات في الشرق بدمشق عام ١٩٥٢ .

شعرت لجنة التاريخ والآثار في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بقيمة هذا الكتاب وخطره ، ورأت ضرورة طبعه ونشره حرصاً على تسهيل سبل البحث والاستقصاء أمام المؤرخين والباحثين المحدثين وأوصت وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالعمل على طبع هذا الكتاب ونشره لتعم الفائدة به ، فاهتمت الوزارة بهذا الطلب وكلفتني تحقيق نصوصه والتعليق عليها ، فقمت بذلك ، وحققت رغبتها . فإلى لجنة التاريخ والآثار صاحبة الفكرة ، وإلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي التي عطفت على هذا المشروع بتنفيذه جميل الشكر وجزيل الثناء .

---

(١) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري الشافعي توفي سنة (٧٣٢) .

(٢) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي القاهري توفي سنة (٨٢١) .

التأليف في ولاة دمشق

ترجم لولاة دمشق كثير من المؤرخين كالقلانسي وابن عساكر وابن كثير ومن جاء بعدهم من المؤرخين . كما وجدت بعض أوراق وقوائم بأسماء ولاة العباسيين والفاطميين عليها .

غير أن مانريده الآن من بحثنا هو من ألف كتباً خاصة بولاة دمشق .

ففي القرن الثامن الهجري تصدى الصلاح الصفدي للتأليف في ولاة دمشق . وقد ضمن ذلك تذكرته فوضع معجماً صغيراً بأسماء أمراء دمشق منذ أول الفتح الإسلامي إلى زمن نيابة أمير علي المارداني المرة الثانية[1] سنة (٧٦٠) وتوفي الصفدي سنة (٧٦٤) فيكون قد ورخ إلى قبل وفاته بنحو أربع سنين .

وقد نظم أسماء هؤلاء الولاة في أرجوزة سماها « تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب »[2] . ثم شرح الأرجوزة شرحاً واسعاً ، ذكر فيه حوادث تاريخية شتى تتعلق بالولاة[3] ، وحينما يطبع هذا الشرح فإنه يسد فراغاً واسعاً في تاريخ دمشق .

وألف في القرن الثامن محمد اليلداني خطيب الثابتية كتاباً في نواب البلاد الشامية في المئة الثامنة ، ذكره محمد بن طولون في أول صفحة من إعلام الورى

---

(١) انظر إعلام الورى ص ٤٧ و٤٩ و٥٠

(٢) طبع هذين الكتابين المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٥٥) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٣) نوجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ مصورة في القاهرة : في المكتبة التيمورية ، ومكتبة طلعت ، والمكتبة الزكية وجميعها في دار الكتب المصرية ويقول الدكتور المنجد أنه حقق هذا الشرح وأعده للطبع (انظر مقدمته لكتاب : أمراء دمشق في الإسلام ص ١٤) .

وقال : إنه لم يطلع عليه ، وإن الذي اطلع عليه هو تقي الدين الأسدي وإنه رأى به بعض الأغلاط الفاحشة .

وإذا قلنا البلاد الشامية فإنها تشمل بلاد سورية الحالية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن وقسماً من بلاد تركيا . ولو وجد هذا الكتاب لاستفدنا منه أسماء النواب في دمشق وحمص وحماة وحلب ورحبة مالك بن طوق ، وعين تاب ومرعش وسيس وأضنة وإسكندرونة وبيروت وطرابلس وصفد والقدس وغزة والكرك وغيرها من البلدان . وإذا كان الأسدي نقد هذا الكتاب بأن فيه أغلاطاً فاحشة فإن الأغلاط يمكن استدراكها وتصحيحها .

ولعل أحداً من رجال البحث والتنقيب يعثر عليه في إحدى المكتبات وينوه به في إحدى المجلات العلمية المعنية بالمخطوطات العربية .

وذكر لنا محمد بن طولون في إعلام الورى كتاباً آخر لخص منه القسم الأول من كتابه وأشار إلى ذلك في ص ٢٩ و٣٠ .

ولم ينوه ابن طولون بكتاب الصلاح الصفدي في أول إعلام الورى ، ولعله لم يكن اطلع عليه ، ولكنه في الفلك المشحون ص ٣٦ ذكر أنه عمل ذيلاً على كتاب : تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب للصلاح الصفدي ، وهذا يدل على أنه قد اطلع عليه . وعدم ذكره في أول إعلام الورى يوحي بأن تأليف ذيله على التحفة متأخر عن تأليف إعلام الورى . وذيل ابن طولون على تحفة ذوي الألباب لا نعرف عن وجوده خبراً .

قيمة إعلام الورى

لهذا الكتاب خطر عظيم ، وقيمة كبيرة نجملها بما يلي :

(١) حيثما سار الإنسان في دمشق سمع باسم مملوكي ، وقد أصبحت البنايات المملوكية أعلاماً على الأحياء التي توجد فيها . انظر مثلاً جامع التيروزي[١] ، حمام التيروزي[١] ، جامع يلبغا ، جامع الأفرم ، جامع تنكز ، حمام منجك ، سوق جقمق ، المدرسة الجقمقية ، سوق صاروجا[٢] ، حارة الشالق ، زقاق سيدي عامود[٣] ، كيف أصبحت أعلاماً على أمكنة في دمشق ، ويتساءل الناس عن معناها وعن أصحاب هذه الأسماء وفي أي كتاب نجد تراجمهم .

(٢) في دمشق وما حولها من قرى وبلدان مراسيم كثيرة من عهد المماليك ، وهي في حاجة إلى نقلها وحل مافيها من الكتابة ، وهي لا تخلو من ذكر اسم سلطان العصر ونائب دمشق ، ومن الضروري الرجوع إلى الكتب التي تعيننا على حلها . وليس أجل ولا أجدر من كتابنا هذا .

(٣) إن الكتب التي تتحدث عن العهد المملوكي ممتلئة بالأخبار والحوادث عن مصر والقاهرة ، ونحن في حاجة إلى الكتب التي تذكر الحوادث والأخبار في البلدان الأخرى التابعة للقاهرة ، وكتابنا هذا يسد فراغاً غير قليل في هذا الموضوع .

(٤) إن أول العهد العثماني في سورية عهد غامض ومصادره العربية قليلة لا تعرف فيها أسماء الولاة العثمانيين ولا تسلسلهم ولا أخبارهم ، لذلك كان لتوريخ

---

(١) هذه الكلمة حرفها العوام وصوابها : التوريزي .

(٢) انظر ص ٨٢ تعليقة رقم (٢) .

(٣) انظر ص (١٩٥) سبب هذه التسمية .

ابن طولون لها أثر كبير في إيضاح أسمائهم وقص بعض أخبارهم وذكر سني توليتهم ووفاتهم أو عزلهم .

(٥) إن أخبار جان بردي الغزالي ونيابته في دمشق وإعلان استقلاله فيها وانفصاله عن الدولة العثمانية هي نادرة جداً في المصادر العربية وفي كتابنا هذا أخبار مفصلة عن هذا الرجل وما جرى له مع الحكومة العثمانية .

وأخيراً لا نظن أحداً أوتي حظاً من الثقافة التاريخية إلا ويقدر هذا الكتاب وما جاء فيه من أخبار وحوادث .

إعلام الورى وبيان مصادره

يتألف هذا الكتاب من قسمين :

القسم الأول من سنة ٦٥٨ ـ ٨٦٣ :

لخصه مؤلفه من كتاب مخصوص بنواب دمشق ، تأليف شمس الدين الزملكاني . والمظنون أنه لا يعرف عن هذا المؤلف شيئاً ، وإلا لكان ذكر شيئاً عن حياته كما فعل بعلي اليلداني خطيب الثابتية[١] وقد تكون نسخة الشمس الزملكاني التي لخصها ابن طولون فريدة لم ينسخ عنها نسخة أخرى ولاسيا أنها بخط المؤلف .

هذا القسم يمهد له ببحث موجز عن طريقة الحكم في دمشق أيام الأيوبيين ، وكيف انتقل حكمها إلى المماليك . فيبدأ بترجمة الأمير « سنجر الحلبي » الذي هو أول نائب تولى دمشق من جهة ملوك الترك (أي المماليك) وتولى النيابة فيها سنة (٦٥٨)[٢] .

---

(١) انظر ص ٢٩ و ٣٠

(٢) انظر ص ٣٢

وينتهي هذا القسم بقسم من ترجمة نائب دمشق « جانم الجركسي » الذي دخلها سنة (٨٦٣) فيكون القسم الأول يحوي أخبار نواب دمشق في فترة مدتها مئتان وستة أعوام[١] .

طريقته في القسم الأول :

أما طريقته في هذا القسم فهي الاختصار . فمنها ترجمة النائب بسطر واحد مثل « طشتمر »[٢] ، ومنها ماهو بسطرين[٣] ، ومنها ماهو ببضعة أسطر ، وأكبر ترجمة صفحة واحدة أو تزيد .

القسم الثاني من سنة ٨٦٥ ـ ٩٤٣ :

القسم الثاني هو الذيل على ما لخصه من كتاب شمس الدين الزملكاني[٤] ، ويبتدئ هذا القسم من سنة (٨٦٥)[٥] وينتهي في سنة (٩٤٣) في نيابة وولاية عيسى باك المرة الثالثة . وإذ كانت وفاة المؤلف سنة (٩٥٣) فيكون المؤلف قد توقف عن التوريخ مدة عشر سنين خسرنا في هذه المدة الشيء الكثير من أخبارها وتسلسل نوابها وولاتها .

طريقته في القسم الثاني :

يغير المؤلف في القسم الثاني طريقته ، فبعد أن كان يختصر في القسم الأول اختصارا مخلاً ، يأخذ في القسم الثاني بالاسترسال في الحوادث والأخبار ، فأول

---

(١) انظر ص ٧٦

(٢) ص ٥٢

(٣) ص ٥٣

(٤) ص ٧٩

(٥) نعيب سنة (٦٤) في ترجمة « جانم الجركسي » فلا يتكلم عنها .

ترجمة جانم الجركسي[1] لخصها المؤلف من كتاب الزملكاني بعشرة أسطر ، ولكنه أتمها في الذيل بخمس صفحات .

مصادره :

يقول في ص ٣٠ : ٥ أنه لخص كتابه من تعليق لشمس الدين الزملكاني ، وينتهي هذا التلخيص في ص (٧٦) ولكنه حين لا يرضى برأي الشمس الزملكاني يعلق عليه من « ذيل السيد الحسيني »[٢] . ولم يذكر المؤلف بعد ذلك إلا مصدراً واحداً مرة واحدة ص (١٢٠) في ترجمة أحمد بن يخشي فقال « وذكر شيخنا المحيوي النعيمي[٣] المؤرخ » ولكن أين ذكر النعيمي ذلك ؟

الذي يتراءى لي أن المؤلف أخذ ذلك من كتاب النعيمي المسمى : تذكرة الإخوان في حوادث الزمان ويترجح لدي بأن هذا الكتاب هو نفس الأوراق والكراريس المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (عام ٤٥٣٣)[٤] ، وأن محمد بن طولون قلد النعيمي في كتابه تذكرة الإخوان في حوادث الزمان ، فألف كتاباً على نمطه اقتبس اسمه من اسم كتاب النعيمي فسماه : « مفاكهة الخلان في حوادث الزمان » وقد نشرت وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالقاهرة القسم الأول منه بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى سنة (١٣٨١ ـ ١٩٦٢) .

---

(١) ص ٧٦

١) راجع في فهرس الكتب : ذيل العبر للسيد الحسيني وهو محمد بن علي بن الحسن الحسيني توفي بدمشق سنة ٧٦٥

(٣) النعيمي هو محي الدين عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي المتوفى فيها سنة ٩٢٧ وهو مؤلف تنبيه الطالب .

(٤) انظر مقال الدكتور يوسف العش عن هذه الأوراق والكراريس في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٨ ص ١٤٢ عنوانها « مذكرات يومية دونت بدمشق » .

مفاكهة الخلان في حوادث الزمان[1] :

هذا الكتاب لمؤلفنا محمد بن طولون ، وهو قيم جداً وذو أهمية بالغة ، فهو يصور الحياة العامة اليومية في دمشق كأن الإنسان يشاهدها فيحدثنا عن أخبار الحكام والقضاة والعلماء والتجار وأصحاب الأسواق وكيف كانوا يجبرون على إقامة الزينة للأمراء والحكام في كل أمر تافه كما تجد فيه أخباراً محلية كالتي تجدها اليوم في الصحف وأكثر . يتحدث عن الأسعار والأمور الاقتصادية ، وأخبار السطو والنهب والسلب ، وعن كل شيء يحدث في دمشق حتى أخبار المومسات وبنات الخطا .

لهذا الكتاب صلة وثيقة بكتاب إعلام الورى للأمور الآتية : (أ) مؤلفهما واحد هو محمد بن طولون (ب) موضوعهما واحد هو مدينة دمشق (جـ) إن في كلا الكتابين نقصاً يكمل أحدهما الآخر ، ففي مفاكهة الخلان أوراق كثيرة ناقصة من الأصل نجد في إعلام الورى نصوصاً تتم قسماً منها .

ففي مفاكهة الخلان ص (٢٢٧ : ٤) تجد خبراً أوله :

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة منها اجتمع أهل محلة مسجد القصب وكبروا على بعض حاشية النائب . الخ ..

---

(١) هكذا أورد اسمه المؤلف في كتابه « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » ص ٩٤٥ وقال : ورتبته على السنين وهذا الكتاب شفعت به كتابي : التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران المار ذكره وهو يصلح أن يكون ذيلاً على تاريخ البرهان البقاعي وغيره ، ولكن محمد بن كنان وهو مؤرخ عامي يكثر من التحريف والتصحيف سماه في كتابه المروج السندسية الفيحية في تاريخ الصالحية ص ٩٢ « مسامرة الخلان في نوازل الزمان » وفي ص ٩٩ « مفاكهة الإخوان في نوادر الزمان » وسماه في حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين « مفاكهة الخلان في نوازل الزمان »

تجد مثل هذا الخبر في إعلام الورى ص (١٤٨ : ٨) ، وفي الصفحة المذكورة (٢٢٧ : ٦) ما يلي :

... (٤٢ آ) إلى نائب الشام فربما ينعم عليه بها أيضا فدخل معهم في اليوم المذكور في أبهة حافلة .

صدر هذا النص ناقص وقد وضع محقق الكتاب أصفاراً محل النقص ولكن صدر هذا النص موجود في إعلام الورى ص (١٣١ : ١) ومعه عدة أخبار من النصوص الناقصة وهي أخبار شهور رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة ، تبلغ تسع صفحات تسد ثلمة كبيرة من النقص في مفاكهة الخلان .

وفي ص (٣٧٩ : ٤) من مفاكهة الخلان ما يلي :

وفي بكرة يوم الاثنين خامس عشريه لبس النائب خلعة من خارج البلد ودخل بها على العادة ، وسببها أن السلطان كان طلب منه تزويج ابنته ستيتة بابنه فأجابه وهي غائبة في الحجاز ...

سنة إحدى وعشرين وتسعمائة :

الأصفار هي مكان النقص في مفاكهة الخلان . تجد تتيم هذا الخبر في إعلام الورى أخر صفحة (٢١٩) وهو :

وهي غائبة بالحجاز مع أمها . ثم يذكر المؤلف أربع صفحات في إعلام الورى من الأخبار التي تتم بعض النقص في مفاكهة الخلان حتى يصل فيها إلى أول سنة (٩٢١) . فمن الأخبار الموجودة في الإعلام الناقصة من المفاكهة خبر وفاة ستيتة المذكورة المخطوبة لابن السلطان ، ومنه خبر إرسال قاض من القاهرة إلى دمشق مع عشرين ألف دينار لعقد نكاح ابن السلطان على شقرا أخت ستيتة المتوفاة ووصف حفلة عقد النكاح . انظر إعلام الورى ص (٢١٩ ـ ٢٢٢) .

هذا مثال مما يمكن أن يتمم به ما نقص من كتاب مفاكهة الخلان .

وفي كتاب إعلام الورى أكلت الأرضة من أصله بعض كلمات وضعنا مكانها ... نقطاً ، ولكن بواسطة كتاب المفاكهة يمكن ملء مكان بعض هذه النقط فقد جاء في ص (١٣٣ : ١٢) من كتاب الإعلام ما يلي : وولاها أبا المنصور ... أن أقبردي كان . يملأ مكان النقط وتصير الجملة كما يلي : وولاها أبا المنصور ديوان أقبردي كان (انظر ص ٢٣٦ : ١٣) في مفاكهة الخلان .

أصل إعلام الورى وطريقتنا في التحقيق :

أصل النسخة المخطوطة موجود ضمن مجموع كان في خزانة آل الجوهري في مدينة نابلس وقد أخذ عن هذا المجموع عدة نسخ مصورة إحداها في مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق وبعضها في عدد من مكتبات القاهرة . وإعلام الورى يتألف من (٤٩) لوحة وكل لوحة صفحتان ، في كل صفحة (٢٣) سطراً ، وكل سطر يتألف من (١٥ ـ ٢٠) كلمة . أما طول الصفحة وعرضها فمجهولان لأن ما وصل إلينا مصور .

وإذ كانت طريقة ابن طولون في تأليف التاريخ أن يتخلل نصوصه كلمات عامية أو قريبة من العامية أبقينا ما جاء في الكتاب على حاله ليظهر بطابعه الذي سبكه فيه المؤلف . وكانت بعض كلمات أكلت موضعها الأرضة في الأصل ولم تظهر في التصوير . فما ظهر لنا معناه من سياق الكلام أو من نصوص أخرى جعلناه بين هلالين ( ) . وما لم يظهر لنا معناه جعلنا موضعه ... نقطاً وكل ما في النص من زيادات وخاصة عناوين النواب فهو من وضعنا . وكلمة الذيل في ص (٧٧) ليست من الأصل وإنما هي على هامش الأصل بخط غير خط المؤلف .

أما التعليق على الألفاظ الواردة في النصوص فقد اقتصدنا فيها ولو شرحنا

كل كلمة تحتاج إلى الشرح لخرجنا عن الحد اللائق ولتضخم الكتاب كثيراً لأن الألفاظ المملوكية تحتاج مع الألفاظ التاريخية إلى معجم مستقل بها ، عسى أن يقوم بعض كبار علمائنا بذلك كما فعل الأستاذ دوزي من قبل .

وقد ألحقنا بإعلام الورى ثلاثة ملاحق إتماماً للموضوع نظراً لطرافتها وندرتها :

الملحق الأول :

يتضمن وصف موكب السلطان الغوري حين خروجه من القاهرة إلى دمشق وحلب لحرب السلطان سليم العثماني وصده عن دخول البلاد الشامية ، استخرجناه من بدائع الزهور لمحمد بن أياس . ورغماً عن كون هذا الملحق مطبوعاً ومنشوراً فقد قصدنا من إعادة نشره تسلسل الحوادث وتسهيل سبيل قراءته للمطالع خصوصاً وقد عزفت نفوس الناس عن اقتناء الكتب أو ارتياد المكتبات .

الملحق الثاني :

يتضمن وصف دخول السلطان الغوري دمشق ، استخرجناه من كتاب « مفاكهة الخلان في حوادث الزمان » تأليف محمد بن طولون مؤلف هذا الكتاب . وهذا الملحق لا يقل عن الملحق الأول طرافة .

الملحق الثالث :

يتضمن وصف المواكب في دمشق زمن الأتراك العثمانيين وهو يصف موكب الباشا ، موكب الحج ، موكب قاضي دمشق ، موكب العلماء وبقية الموظفين ، استخرجناه من كتاب : المواكب الإسلامية في الممالك الشامية لمحمد بن كنان .

المؤلف :

ولد سنة (٨٨٠) وتوفي سنة (٩٥٣) .

هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي ، أمه : ازدان الرومية وكانت تحسن لسان الأروام وتوفيت بالطاعون وهو صغير لم يمش .

ليس لدينا حتى الآن من الوثائق ما يثبت أنه من سلالة الأمير أحمد بن طولون رغم كون أحد أجداده اسمه خمارويه ، ولكن الأستاذ محمد مصطفى زيادة استنتج استنتاجاً بأن جده الأعلى هو ابن طولون الأمير لأن ابن طولون المؤلف ألف كتاب العقود اللؤلؤية في الدولة الطولونية ، وكتاب حور العيون في تاريخ ابن طولون ، وأوقف في المدرسة العمرية بصالحية دمشق سيرة محمد بن طولون للبلوي[١] .

وإن كلمتي « الرومية ، والأورام » في وصف أمه ازدان جعلت الباحثين يختلفون في تفسيرها ، فالأستاذ أسعد طلس قال إنها تركية[٢] ، والأستاذ هنري لاوست ترجمها إلى اللغة الإفرنسية واصفاً إياها بأنها يونانية[٣] من بلاد الأناضول .

أما أسرته فهي أسرة تجار اشتغل بعض رجالها بالعلم . فجده كان يتكسب بالتجارة بالصالحية ، وأخو جده لأمه الخواجا برهان الدين بن قنديل تاجر في دمشق وعمه أخو أبيه جمال الدين يوسف بن طولون كان يشتغل بالتجارة ثم أقبل على الاشتغال بالعلم وصار قاضياً ومفتياً بدار العدل بدمشق .

أما والده علي فلم نطلع على ترجمته أو اتجاهه ولكنه كان ينصح ابنه المؤلف

---

(١) المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي الطبعة الثانية سنة ١٩٥٤ ص ٧٩

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (٢١ : ٢٣٦) .

(٣) Les Gouverneurs de Damas P. X

وهو يطلب العلم أن يعتمد على صنعة في حياته وينشده قصيدة العلامة أبي شامة التي مطلعها :

اتخذ حرفة تعيش بها يا طالب العلم إن للعلم ذكرا
لاتهنه بالاتكال على الوقف فيمضي الزمان ذلاً وعسرا[1]

نشأة المؤلف :

يقول المؤلف عن نفسه أنه نشأ في كنف والده ، وعمه مفتي دار العدل ، وجده أبي المذكورين ، وأخي جده لأمه الخواجا برهان الدين بن قنديل[2] المذكورين آنفاً ، وأدخل مكتب المدرسة الحاجبية التي كانت قريباً من منزله فتعلم الخط ، ثم أدخل مسجد العساكرة القريب من منزله أيضاً فحفظ فيه القرآن . وكان عمه هو الذي أرشده إلى طلب العلم ووجهه إليه .

أخذ بعد ذلك في حفظ المتون على العادة السائدة في عصره وحتى يومنا هذا لمن يشتغل بالعلوم الدينية واللغة العربية . فحفظ المختار في الفقه الحنفي ثم المنار في أصول الفقه ، ثم ألفية ابن مالك والمقدمة الآجرومية في النحو وكتاب الحدود للأبدي[3] والمقدمة الجزرية في علم التجويد .

ثم أخذ في عرض هذه المتون على شيوخ عصره فأعطاه كل من قرأ عليه إجازة بالعرض[4] ونحن نورد واحدة من هذه الإجازات (الشهادات) كتبها له قاضي قضاة الحنفية محب الدين بن القصيف :

---

(١) الملك المشحون ص ٥٣ وفيه بقية القصيدة .

(٢) الملك المشحون ص ٧

(٣) هو أحمد بن محمد الأبدي المغربي المتوفى سنة ٨٦٠ بالقاهرة له كتاب مفيد في حدود مسائل اللغة العربية وتعريفاتها (الضوء اللامع ١٨٠/٢) .

(٤) العرض هو أن يحفظ الإنسان كتاباً أو أكثر ثم يقرؤه أمام شيخ عن ظهر قلب فيكتب له على الكتاب المقروء إقراراً بحسن قراءته وهذه الكتابة تسمى إجازة العرض .

وبعد فقد عرض عليَّ بلفظـه العـذب ، ولسـانـه الفصيح الرطب ، من علت همته ، وظهرت فطنته ، الأكمل الأمجد ، شمس الدين فلان ، عرضاً أبـان فيـه عن إحسانه ، وأداه بفصاحة لسانه ، رزقـه الله فهم المعـاني ، كما وفقـه لحفـظ المبـاني ، وجعله ممن يشار إليه كعمه[1] ، كتب الله سلامته وأحسن إليه .

وبعد ذلك أخذ يحفظ متوناً أكثر دقـة وأعلا منزلـة ، فحفـظ متن التلخيص في علوم المعـاني والبيـان والبـديع ، ومتن الشمسيـة في علم المنطـق ، وألفيـة العراقي في مصطلح الحـديث ، والشـاطبيـة في القراءات السبع ، والـدرة في القراءات الثـلاث المتممة للعشر . وفي أثناء ذلك تلا القرآن بالسبع إفراد[2] وجمعاً من طريق الشاطبيـة والتيسير على الشيخ محي الدين الإربدي . وكتب لـه إجـازة مؤرخـة بتـاسع ربيع الأول سنة إحدى وتسع مئة فيكون عمره وقتئذٍ إحدى وعشرين سنة .

ثم تلا بالقراءات الثلاث تتمة العشرة من طريق الدرة على الشيخ شمس الدين البصير وكتب له إجازة تاريخها تاسع شعبـان سنـة ثلاث وتسع مئـة ، وعني بعـد ذلك برواية الحديث فلزم أبـا البقـاء محمـد بن أبي بكر المشهور بـابن زريق[3] نحو

---

(١) هو جمال الدين يوسف بن محمد بن طولون مفتي دار العدل بدمشق .

(٢) القراء السبع هم : نـافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبـد الله بن عـامر ، وعـاصم بن أبي النجود ، وحمزة الزيات ، والكسـائي ، والقراءة إفراداً أن يقرأ لكل واحـد من المـذكورين ختماً كاملاً على مذهبه . ثم يقرأ ختماً جمعاً . وكيفية قراءة الجمع أن يقرأ الآية على مذهب قارئ ثم يعيد قراءتها على مذهب قارئ آخر حتى يأتي على أوجه قراءات هؤلاء القراء السبع في آيـه واحدة ثم يأخذ في قراءة الآية التي تليها على هذه الطريقة ، فهذا معنى القراءة إفراداً وجمعـاً ، وفي عصرنا يقرأ من يتقن هذه القراءات في الإذاعـة فيقرأ الآيـة على عـدة أوجـه وقـد استنكر ذلك بعض السـامعين والذي عليه أهل القراءة أن ذلك جائز أمام الشيخ في مقـام التعلم أمـا إذا قرأ أمام الناس فعليه أن يقرأ بقراءة أحد هؤلاء القراء ولا يخلط معها قراءة أخرى من قراءات الأئمة الذين تقدم ذكرهم .

(٣) أفاض في ترجمته في الفلك المشحون ص ١١

عشر سنين قرأ عليه فيها نحو سبع مئة جزء من كتب الحديث منها الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد بن حنبل .

ويفيض في الفلك بأسماء شيوخه والكتب التي قرأها عليهم وبالإجازات التي منحوه إياها حتى صار عالماً فذاً يشار إليه بالبنان .

وأخذ في التأليف فبلغت مؤلفاته نحو (٧٤٦) مؤلفاً منها ماهو عدة أوراق ومنها ماهو عدة مجلدات .

ومؤلفاته في التاريخ تبلغ نحو خمسين مؤلفاً . وقد عني في عصرنا عدد من الأفاضل بنشر بعض كتبه التاريخية وهذه أسماء ماطلعنا عليه مما نشر من كتبه :

(١) الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون وضعه مؤلفه لترجمة نفسه وتعداد مؤلفاته وهو في ٥٥ صفحة .

(٢) الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية استقاه المؤلف مما أورده ابن شداد في الأعلاق الخطيرة وزاد عليه بعض الحوادث والأخبار وهو في ٢٨ صفحة .

(٣) المعزة فيما قيل في المزة وهي قرية غربي دمشق تبعد عنها نحو أربعة كيلومترات والرسالة في ٢٦ صفحة .

(٤) اللمعات البرقية في النكت التاريخية يحتوي على أربعة وأربعين نصاً تاريخياً طريفاً صادفها أثناء مطالعاته فاختارها لطرافتها وجمعها في هذه الرسالة ، وهي في ٧٢ صفحة .

(٥) أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين وتحتوي على خمس وعشرين رسالة أرسلها النبي ﷺ إلى ملوك عصره وأمرائه يدعوهم فيها إلى الإسلام .

وهذه الرسائل الخمس نشرها حسام الدين القدسي الدمشقي بدمشق سنة (١٣٤٨) .

(٦) ضرب الحوطة على جميع الغوطة رسالة في عشر صفحات بالخط الدقيق . نشرها حبيب الزيات في مجلة الخزانة الشرقية الجزء الأول سنة (١٩٣٦) ثم أعاد نشرها محمد أسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العربي (٢١ : ٢٣٦ و٣٣٨) .

(٧) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، نشره مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق سنة (١٣٦٨) بتحقيق محمد أحمد دهمان وهو في نحو ٦٠٠ صفحة .

(٨) الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام في نحو ٤٣٠ صفحة نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٩) الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . طبع في بيروت ولم أره .

(١٠) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان . القسم الأول نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة سنة (١٣٨٤ ـ ١٩٦٤) بتحقيق الأستاذ محمد مصطفى وهو في نحو ٤٠٠ صفحة بالقطع الكبير .

(١١) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ترجمه إلى اللغة الإفرنسية الأستاذ هنري لاوست ونشرته المؤسسة الفرنسية بدمشق سنة ١٩٥٢ .

وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القاري .

أما ونحن نريد أن ننهي ترجمة المؤلف فنرى أن نشير إلى حادثتين هامتين في تاريخ حياته .

أما الأولى فمحنة أصابته حينما احتل الأتراك العثمانيون مدينة دمشق فيقول :

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره هرب هؤلاء الذين لبسوا الخلع من دمشق دغشة ، وهجمت العساكر عليها ، وعلى ضواحيها ، للسكنى بها ، فأخرجت أناس كثيرة من بيوتها ، ورميت حوائجهم ومؤنهم ، وطرح جمع من النساء الحبالى ، وحصل على الناس شدة لم تقع لأهل دمشق وضواحيها قط ، حتى سافر من له قدرة ، وبعضهم سكن الجوامع والمدارس بحريمهم[1] .

وأخرجت من بيتي ورُميت كتبي ، ولم يوقروا أحداً ، لا صغيراً ولا كبيراً ، ولا أهل القرآن ، ولا أهل العلم ، ولا الصوفية ولا غيرهم .

أما المحنة الثانية فيظهر أنها كانت في صفر سنة (٩٢٧) أي بعد خمس سنين من المحنة الأولى حينما عاد الجنود العثمانيون واحتلوا دمشق واسترجعوها من جان بردي الغزالي . فإنه يذكر في كتابه الفلك المشحون عدداً من الكتب يكتب جانب كل واحد منها بكل أسى : وفقد في الفتنة الغزالية فيقول في الفلك المشحون :

ص١٨ : وقد كتب لي كل واحد من هؤلاء الأشياخ الذين اشتغلت عليهم في هذه العلوم إجازة وبعضهم إجازتين وبعضهم ثلاثاً جمعتهم في مجلدة وفقدت في الفتنة الغزالية .

ص٣٠ : بيان غريب لغات الهداية .

ص٣٢ : تحذير الموحدين من كلام الملحدين ورتبته على تسعة فصول على عدد الرهط المنكر عليهم ومقدمة تشتمل على أمور كلية وخاتمة في بيان الطائفة البرجقية .

ص٣٩ : شرح ممزوج على مغني اللبيب لابن هشام تم مسودة .

---

(١) انظر ص ٣٠٨ من اعلام الورى قسم الملاحق .

ص٣٩ : شرح ممزوج على النونية لطيبغا البكماشي في علم الرماية .

ص٣٩ : شرح خطبة الهداية .

ص٤١ : فهرس المرويات الأكبر .

ص٤١ : فهرس المرويات الأصغر .

ص٤٥ : مسالك التلطف إلى علم التصوف وحصرته في ثلاث مئة وستين مقالة .

وكان يكتب إلى جانب كل من الكتب المذكورة : وفقد في الفتنة الغزالية .

والآن وقد أنهينا هذه المقدمة لكتاب إعلام الورى نرى من واجبنا أن نقدم شكرنا الجزيل إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي التي قامت بنشره أول مرة سنة ١٩٦٣ ، وإلى مؤسسة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع التي تبنت إعادة طباعة هذا الكتاب ثانية وقد فوضت إليها حصراً حقوق نشره وتوزيعه .

دمشق ١٤٠٣/٥/٨ هـ

١٩٨٣/٢/٢١ م

محمد أحمد دهمان



عنوان مخطوط (إعلام الورى ...)

الصفحة الأولى من المخطوط

خاتمة المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعز جنده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه بعده .

وبعد

فهذا تعليق سميته (إعلام الورى ، بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى) وهو :

قال الشيخ تقي الدين الأسدي في تاريخه في ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة توفي الخطيب شمس الدين محمد بن الخطيب علاء الدين علي اليلداني خطيب الثابتية[1] غربي خان السلطان ، وكان شاباً عنده معرفة وله دخول في الناس ومداهنة[2] ، علق بخطه نواب البلاد الشامية في المائة الثامنة ، وفيه أوهام فاحشة ، وأشياء لم أرها في كلام غيره ، ولا أدري من أين نقلها ، توفي يوم الخميس

---

(1) في الضوء اللامع (١٤٧/٩) ترجمة مفصلة له ، وفيها : وخطب بالثابتية تلقاها عن أبيه المتلقي لها أيضاً عن أبيه عن التدمري واقفها .

والتدمري هذا هو : أحمد بن محمد بن شجرة التدمري . عمل داره مدرسة ووقف كتبه عليها وأقام يدرس فيها إلى أن مات سنة (٧٥٧) (الدرر الكامنة ٢٦٧/١) .

وهذه المدرسة اليوم في آخر حي باب السريجة من جهة الغرب تعرف بالتابتية بالتاء وسماها العوام أخيراً بمسجد زيد بن ثابت . وهي مما فات النعيمي في تنبيه الطالب ، والعلموي في مختصره .

(2) ظهرت هذه الكلمة في التصوير هكذا (مدانة) فيحتمل أن تكون (مداهنة) ويحتمل أن تكون (مداخلة) وقد رجحنا الوجه الأول .

ثالثه مطعوناً ، وكان والده من فقهاء البادرائية[١] ويحدث على الكراسي معروفاً بذلك ، ولي هذه الخطابة انتهى .

قلت :

تعليق خطيب الثابتية في نواب البلاد الشامية لم أقف عليه ، ولكني وقفت على تعليق فيهم مخصوصاً بدمشق لشمس الدين الزملكاني ،وفيه أوهام كثيرة ، وهاأنا أخصه ههنا منبهاً على الصواب في الأوهام الجلية ، ناسجاً لذيل عليه من زمنه إلى عصرنا على منوال طريقته المرضية .

وقبل زمن الأتراك كان من يلي دمشق مستقلاً بنفسه في السلطنة غالباً ، وقد وليها نيابة في غير زمنهم جماعة آخرهم الأمير جمال الدين بن يغمور[٢] من جهة الصالح أيوب في عاشر صفر سنة سبع وأربعين وستمائة .

ولما قدمها نزل بدرب الشعارين[٣] داخل باب الجابية ، قاله الحافظ ابن كثير

---

(١) في الأصل (الباذرائية) تبع المؤلف النعيمي في ذلك والصواب ماأثبتناه وهي مدرسة تقع في الزاوية الشرقية الشمالية من أعمدة رواق معبد (المشتري جوبيتر) ويتخلل الجدار الشرقي والشمالي أعمدة الرواق تظهر واضحة من خارج المدرسة ، أنشأها نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن البادرائي سنة (٦٥٣) وتوفي سنة (٦٥٥) وهي مدرسة كبيرة معروفة مسجلة بأنها آثار قديمة ويسمى الحي الذي هي فيه بالبدرائية . وقد أخطأ النعيمي في تنبيه الطالب والعلموي في مختصره فقالا إنها بالذال المعجمة ، والصواب أنها بالدال المهملة : انظر معجم ياقوت مادة (بادريا) وشذرات الذهب (٢٦٩/٥) ولا تزال باعة دمشق ينادون على التمر : يامال بادريا .

(٢) انظر ترجمته في النجوم الزاهرة (٢١٨/٧) .

(٣) درب الشعارين طريق ضيق متعرج كان يتوصل به من غربي سوق مدحت باشا إلى إمام مارستان نور الدين وكان يسمى أوله من جهة سوق مدحت باشا (الحصرية) وأوسطه (زقاق سيدي عامود) وستأتي في هذا الكتاب قصة تسميته بهذا الاسم ، ويسمى آخره (زقاق المارستان) وقد تغيرت معالم هذه الجهات وأصبحت محلات تجارية . انظر موضعه في مخطط دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد .

في تاريخه وبسط ذلك[1] .

وقال الزملكاني : أول من ملك دمشق من ملوك الترك الملك المظفر قطز رحمه الله تعالى ، وكانت دمشق قبله في يد بني أيوب .

وآخر من ملكها منهم الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي رحمهم الله تعالى .

فلما دخلها جيش هولاكو واتفق لملوك دمشق ما اتفق من إمساك صاحبها الملك الناصر المذكور وولده وأخيه ومعهم جماعة من أعيان أهل دمشق وتجهيزهم إلى مخيم هولاكو ، فلما وصلوا إليه أمر بقتلهم فقتلوا ، فلما بلغ الملك المظفر قطز ذلك هم همة الملوك ، وكان قد اجتمع عليه عساكر عظيمة من البلاد الشامية وغيرها الذين فروا من هولاكو وأنفق فيهم الأموال العظيمة ، وفرق فيهم الخيول والجمال والسلاح ، وخرج بجمعه وجماعته من الديار المصرية قاصداً دمشق لتلقي التتار واستقلاعها منهم وخلاص أهلها من أيديهم .

فلما بلغ كتبغا المقدم على التتار من قبل هولاكو قدوم السلطان الملك المظفر من مصر لقتاله ركب وخرج في تسعين ألفاً من التتار فوصل إلى عين جالوت[2] والتقى الجمعان ، وذلك في شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وحصل بين الفريقين وقعة عظيمة قتل فيها عشرات ألوف ، ونصر الله دينه ، وانكسر التتار ، وقتل كتبغا بالمعركة ، وقتل غالب عسكر التتار ، والذي هرب من التتار قتل ، ولم يصل منهم أحد إلى بلاده[3] .

ودخل الملك المظفر إلى دمشق مظفراً منصوراً وحصل لأهل دمشق السرور

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٧٧/١٣) .

(٢) بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين (معجم البلدان) .

(٣) انظر تفصيل هذه المعركة في البداية والنهاية (٢٢٠/١٣) والنجوم الزاهرة (٧٨/٧) .

البالغ ، ولم شعث البلاد وجهز نواباً إلى سائر البلاد الشامية والحلبية ثم عاد إلى القاهرة فجزاه الله تعالى خيراً .

[سنجر الحلبي]

١

وترك بدمشق نائباً بها من قبله الأمير الكبير سنجر الحلبي ، وهو أول نائب تولى دمشق من جهة ملوك الترك .

ثم إن الملك المظفر قتل بدرب القاهرة قبل وصوله إليها في شهر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى . / (ص ١)

ثم تسلطن بعده :

الملك الظاهر بيبرس ، فلما بلغ نائب الشام سنجر الحلبي قتل الملك المظفر وسلطنة الظاهر بيبرس شق عليه ذلك ، ثم إنه دعا إلى نفسه بالسلطنة وتسلطن وملك دمشق وقلعتها وخطب له على المنابر ، وغلت الأسعار بدمشق إلى أن بيع الخبز الرطل بدرهمين ، واللحم الرطل بثمانية عشر درهماً ، والجبن الأوقية بدرهم .

ثم إن الأمراء ركبوا عليه وحصروه فخرج منها ليلاً إلى بعلبك ثم إنه مسك وجهز إلى الملك الظاهر .

[طيبرس الوزيري]

٢

ثم تولى بعده نيابة دمشق الأمير الكبير طيبرس[1] الوزيري ودخل إلى دمشق في شهور سنة تسع وخمسين وستمائة ، وكانت سيرته حسنة .

---

(١) في الأصل : طبيرس والصواب ماأثبتناه .

ثم بعد مدة وصل من القاهرة أمير يقال له الدمياطي ومعه عسكر من عند السلطان الملك الظاهر فمسكه وركبه بغلة وجهزه إلى القاهرة وأخذ جميع موجوده وبقي نائباً غيبة أيدغدي العزيزي التركي .

[جمال الدين أقوش النجيبي]

٣

إلى أن تولى الأمير الكبير جمال الدين أقوش النجيبي مملوك الملك الصالح ودحل إلى دمشق في شهر ذي الحجة سنة ستين وستمائة ، وأقام بدمشق نائباً بها عشر سنين ثم عزل .

[أيدمر الظاهري]

٤

وتولى بعده الأمير الكبير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الكرك كان ولم يزل نائبا بدمشق إلى أن توفي الملك الظاهر بيبرس رحمه الله انتهى .

قلت :

توفي بعد الظهر يوم الخميس خامس عشري المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بقصره الأبلق[1] بدمشق ، وميلاده في حدود العشرين وستمائة ، ودفن بمدرسته

---

(١) كان مكان التكية السليمانية قصر إمارة من زمن الفاطميين ، تم جدده الظاهر بيبرس وىناه بالحجر الأبيض والأسود فدعي بالقصر الأبلق ثم هدم هذا القصر زمن تيمورلنك وبقي مهدوماً إلى زمن السلطان سليمان القانوني فأنشئت بأنقاضه التكية الموجوده الآن . ويقول ابن طولون عن القصر الأبلق : كان من عجائب الدنيا يشرف على الميدان الأخضر شرقيه انشاه الملك الظاهر ركن الدين عقب رجوعه من حجته سنة ثمان وستين وست مئة . كذا رأيت هذا التاريخ أعلا بابه الشمالي ، وعلى اسكفته ضرب خيط من رخام أبيض ووسطه مكتوب (عمل ابراهيم بن غانم المهندس) وبابه الآخر ينفذ إلى الميدان ، وفي واجهته القبلية ثلاثون شباكاً =

الظاهرية الجوانية ، وكانت دار العقيقي[1] ـ كما قاله ابن كثير ـ ودار أيوب والد صلاح الدين ، مكان سوق بيع العقيق والله أعلم .

قال :

ثم تولى بعده ولده الملك السعيد وحضر إلى دمشق ، واضطربت عليه الأمور ، وتغيرت عليه قلوب الأمراء ، واختلفوا عليه وخلعوه من الملك ، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش ، فعند ذلك مسك نائب الشام أيدمر وأودع القلعة .

[سنقر الأشقر]

٥

ثم تولى بعده الأمير الكبير شمس الدين سنقر الأشقر وكان معظماً عند الملك الظاهر ، ودخل دمشق في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وستمائة .

ولما خلع السلطان بدر الدين سلامش وتولى بعده الملك المنصور قلاوون عصى سنقر الأشقر نائب الشام وتسلطن بدمشق ، وملك قلعتها ، ولقب

= سوى القماري ، ووسطه قاعة بأربعة لواوين ، قبلي وشمالي في صدرهما شاذروانان ، وغربي وشرقي في صدر كل منها ثلاثة شبابيك ، فالغربيات مطلات على الطريق الآخذ إلى الحمام وتربة الصوفية ، والشرقيات مطلات على الميدان ، وعلى واجهته الشرقية مئة أسد منزلة صورها ، وعلى الشمالية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بأبيض في أسود (مجلة المجمع العلمي العربي ١٤٨/٢) .

(١) المدرسة الظاهرية هي التي تقوم فيها المكتبة الظاهرية اليوم ، والعقيقي هو أحمد بن الحسين العقيقي المتوفى سنة (٣٧٨) كان من كبار أشراف دمشق وأجوادها وإليه تنسب الدار التي أصبحت المدرسة الظاهرية والحمام العقيقي إلى جانبها ، ولم نر أحداً قبل المؤلف قال إنها مكان سوق بيع العقيق (انظر عن المدرسة الظاهرية كتاب : في رحاب دمشق للمحقق ص ١١٢ .)

بالكامل ، وخطب له على منابر دمشق إلى صفر سنة تسع وسبعين وستمائة حضر جيش من مصر فهرب منها إلى الرحبة .

[حسام الدين لاجين]

٦

ثم تولى بعده الأمير الكبير حسام الدين لاجين(١) المنصوري ، وكان لما تسلطن سنقر الأشقر ودخل إلى القلعة كان لاجين المذكور نائباً بها ، فمسكه وسجنه بها ، فلما هرب سنقر المذكور ، ودخل جيش مصر وكان المقدم عليهم علم الدين سنجر الحلبي فأخرج لاجين من السجن . وولاه نيابة دمشق ، ودخل معه إلى دار السعادة(١) في شهر صفر سنة تسع وسبعين وستمائة ، وكانت نيابته إحدى عشرة سنة ، وكانت سيرته حسنة ، ثم عزل عنها .

[سنجر الشجاعي]

٧

وتولى الأمير الكبير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري وزير الديار المصرية ، ودخل إلى دمشق في شهر جمادى الآخر سنة تسعين وستمائة - وتولى

---

(١) نقرأ : لاشس ، بالشين .

(٢) دار السعادة كانت داراً للملك الأمجد الأيوبي صاحب بعلبك ثم امتلكها الملك الأشرف . وفي العهد المملوكي أصبحت مقراً لنواب دمشق وكان موضعها غربي التكية الأحمدية في سوق الحيدبة (جامع الأحمديه اليوم) .

وقد انتقل هذا الاسم من دمشق إلى بقية المملكة المملوكية فأصبح في كل من القاهرة وحمص وحماة وحلب دار سعادة ، ثم انتقل هذا الإسم في العهد التركي العثماني إلى البلاد التركية فسميت بعض قصور السلاطين بدار السعادة ، ثم أطلق على عاصمة العثمانيين فكانت استانبول تدعى : « در سعادت » .

عوضه الوزارة بالقاهرة ابن السلعوس ـ وهو الذي بنى البنيان فوق برج الطارمة[1] في أيام الأشرف خليل .

[أيبك الحموي]

٨

ثم تولى بعده الأمير الكبير عز الدين أيبك الحموي ، ودخل إلى دمشق في شهر شوال سنة أحد وتسعين وستمائة ، ولم يزل نائباً بها حتى وصل إلى دمشق الملك (ص ٢) العادل كتبغا في ذي القعدة سنة خمس وتسعين / وستمائة وعزله .

[غرلو]

٩

وولى بعده الأمير الكبير شجاع[2] الدين غرلو العادلي في السنة المذكورة ، ولم يزل نائباً بها حتى خلع العادل كتبغا وتسلطن لاجين .

---

(١) برج الطارمة أحد أبراج قلعة دمشق الغربية وفي البداية والنهاية (١٣ / ٣٢٦) ثم دخلت سنة (٦٩١ هـ) ... ونائب الشام علم الدين سنجر الشجاعي والعمارة في الطارمة في دور السلطانية بالقلعة ... وفي ربيع الأول كمل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبة الزرقاء وجاءت في نهاية الحسن والكمال والارتفاع ، وفي السلوك (١ / ٧٧٥) سنة (٦٩٠ هـ) ووقع الشروع في عمارة (قلعة) دمشق من شوال ، فبنيت بها الأُدُر السلطانية والطارمة والقبة الزرقاء ، وتولى ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وبالغ في تحسينها ، فكانت جلة ما عمل في سقوفها أربعة آلاف مثقال ذهب .

وعلق محقق السلوك على كلمة « الطارمة » مايلي : الطارمة هنا بيت من خشب يبنى سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان وهي لفظة فارسية الأصل وجمعها طارمات (محيط المحيط) .

Dozy : Supp. Dict. Ar.

المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ٢ ، ص ٤٤٤ .

(٢) الذي في تاريخ أبي الفدا سيف الدين غرلو .

[قبجق]

١٠

ثم تولى بعـد الأمير الكبير سيف الـدين قبجق المنصوري ودخل إلى دمشق في شهر ربيـع الأول سنـة ست وتسعين وستمائـة ، وقفـز إلى قـازان ، ومعـه بكتمر السلحدار ، فلما حضر قـازان سنـة تسع وتسعين وستمائـة حضرا صحبتـه ، ثم ترك قبجق نائب الشام على عادته ، ثم أنه أطاع السلطـان بعـد عود قـازان وخرج إلى مصر ، وحديثه فبه طو يل .

[آقوش الأفرم]

١١

ولما قفز قبجق إلى قازان حضر إلى دمشق نائباً بها الأمير الكبير جمال الـدين أقوش الأفرم ، واستمر بها إلى أن دخلها قازان ، فعند ذلـك هرب إلى القـاهرة إلى عند السلطان الملك الناصر ، فلما عاد قازان إلى بلاده عاد الأفرم إلى نيـابتـه وبنى الجامع[1] بصالحية دمشق المحروسة سنة سبع وسبعمائة وكانت سيرته حسنة .

[قراسنقر]

١٢

ثم تولى بعـده الأمير الكبير قراسنقر المنصوري ، ودخـل إلى دمشـق في أواخر سنه تسع وسبعمائة ، وكان قد تولى نيابة مصر وحلب ، وكان معروفاً بالشجاعة .

---

(١) حامع الأفرم جامع معروف مسهور في حي المهاجرين فى الطريق الدي فيه فبة العادل كتبغا (انظر مكانه في مخطط الصالحبة لمحمد أحمد دهمان رقم ١٨٩) وهذا الجامع دثر مند ثمانين عاماً واحذت احجاره فرصفت بها طرق الصالحية ، ثم جدد بناءه داود بن عبد الحبار البخارى سنة (١٣٢٧ هـ) ثم هدم هدا الجامع حينما نظمت المنطقة التي هو فيها وعمر حديثاً سنة (١٣٧٨ هـ) على طرار جميل .

[كراي]

١٣

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين كراي المنصوري ، فدخل إلى دمشق في شهر الله المحرم سنة أحد عشر وسبعمائة وكان كريماً جواداً سيرته حسنة .

[آقوش]

١٤

ثم تولى بعده الأمير الكبير جمال الدين آقوش الأشرفي نائب الكرك كان ، ودخل إلى دمشق في جمادى الآخرة سنة أحد عشر وسبعمائة .

[تنكز]

١٥

ثم تولى بعده الأمير الكبير العالم العادل تنكز سيف الدين ودخل إلى دمشق في شهر ربيع الآخر سنة اثني عشر وسبعمائة ، وتمكن بها وسار بالعساكر وفتح ملطية[1] سنة خمس عشرة وسبعمائة انتهى .

---

(١) ملطية ، أو ، ملاطية هي في عصرنا : مدينة في ولاية معمورة العزيز من بلاد الجمهورية التركية تقوم على ضفة نهر يصب في نهر « طوقة » أحد روافد الفرات . وتبعد عن « خربوط » نحو « ٨٥ » كيلو متراً وهي مركز متصرفية ، نفوسها نحو أربعين ألفاً ، افتتحها من أيدي الروم أبو جعفر المنصور سنة (١٤٠ هـ) ثم استعادتها الروم ، ثم استخلصها منهم السلجوقيون مرة ثانية وبقيت في حكمهم .

ولما خرج التتار واجتاحوا بلاد الشرق دخلت بلاد الروم (الأناضول) تحت سلطتهم . فأقطع ملك التتار السلطان خربندا محمد بن أرغون مدينة ملطية لأحد رجال دولته المدعو (بالحوبان) فوضع الجوبان وكيلاً عنه فيها ، فأساء الوكيل السيرة في أهلها ، فكاتب أهلها ملك مصر والشام السلطان الناصر بن قلاوون ، فأصدر أمره إلى الأمير تنكز بالمسير إليها وفتحها . =

قلت :

الذي رأيته في أوائل ذيل السيد الحسيني : أنه سار سنة خمس عشرة فافتتح ملطية وهذا يقتضي أنه فتح ملطية قبل أن يلي نيابة دمشق[1] والله أعلم .

ثم قال :

كان يخرج ليلاً يمشي بنفسه في المدينة بمفرده ويتفقد أحوال الناس ، وكان السلطان لا يفعل شيئاً إلا برأيه ، وكل سنة يتوجه إلى القاهرة المعزية ويعود معظماً مكرماً ، وقد حكي عنه أن في بعض السنين بلغ أنعام السلطان عليه يعني الملك الناصر سبعمائة ألف ألف من الخزانة الشريفة خارجاً عن الخيول والقماش ، وكان تشريفه في كل سنة غرامته ألفا دينار ، وجميع ما على مركوبه ذهب حتى الطبل باز ذهب ، وكان السلطان يخرج يلاقيه إلى بير السعا[2] ويترجل السلطان

= وفي يوم الإثنين مستهل المحرم سنة (٧١٥ هـ) خرج الأمير تنكز في الجيوش قاصداً ملطية فدخل حلب في (١١) المحرم ، ثم سار إلى ملطية فحاصرها في (٢١) منه ولم تكن فيها حامية كافية للدفاع عنها فاستسلمت ودخلها الجيش المملوكي دخول الفاتحين فقتل كثيراً من أهلها غير المسلمين ثم تعدى أذاه إلى المسلمين ، ولقي أهلها بأجمعهم شراً مما كانوا فيه ، ثم رجع إليها صاحبها الجوبان فعمرها وأسكن فيها خلقاً كثيراً من الأرمن وغيرهم تعويضاً عما فقد من أهلها .

(١) ماذهب إليه المؤلف غير صواب ، ولعله كان يريد أن يكتب « بعد أن تولى نيابة دمشق » فسبق قلمه وكتب : « قبل أن يلي نيابة دمشق » .

(٢) بير السعا هكذا وردت في الأصل ، ولا أعرف بئراً بهذا الإسم ، والذي يتراءى لي أنه مصحف عن « بئر البيضاء » .

« وبئر البيضاء » مكانها اليوم عزبة أبي حبيب الواقعة في حوض البيضاء بأراضي ناحية الروامل بمركز بلبيس ، ولا يزال اسم البيضاء المنسوب إليه هذه البئر يطلق على الحوض المذكور .

تعليقات النجوم الزاهرة (٨ / ٤٤) .

ويكارشه[1] وتزوج السلطان بنت تنكز ، وزوج أولاد تنكز بناتـه ، ثم أن السلطان خرج للصيد وتنكز بالقاهرة فخرج في خدمتـه ، وكان قـد سبق السلطان فجهز إليه خاصكيا[2] يعلمه أن السلطان واصل وأنه لا ينزل عن جواده ، فما كان إلا لحظة حتى أقبل السلطان وقدامه أربعة أمراء خاصكية : ملكتمر الحجازي ويلبغا اليحياوي والطنبغا المارداني ، وآق سنقر ، على يد كل منهم سقر خاص فقال له السلطان لما وصل إليه ياأمير تنكز أنا أمير شكارك[3] وهؤلاء بزدارتك[4] ، وهذه الأربع سقورة إذا توجهت إلى الشام يكونوا صحبتك ، فقصد تنكز النزول وتقبيل الأرض بين يديه فمنعه السلطان من ذلك ، وهذا لم يتفق لأحد .

وكان تنكز رجلاً جيداً ديناً عاقلاً عالماً عادلاً عارفاً ذا حرمة وحشمة وافرة ، ٣ ب) وكان له كاتب للزكاة لا يعمل غيرها ، فإذا حال الحول / كتب جميع ما في حواصله

---

(١) المكارشة هي أن يلتقي المسافر بالمسلم عليه فيلصق كل منهما بطنه ببطن الآخر بحركات رشيقة ويقبل أحدهما الآخر وقد شاهدت اثنين من رجال الهند يلتقيان ويتكارشان ، وهذه العادة غير معروفة في بلادنا اليوم .

(٢) الخاصكي نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغاراً ويجعلهم حرسه الخاص ، وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون على الملك في أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين ، ويحضرون طرفي كل نهار في خدمة القصر والإسطبل ، ويركبون لركوب السلطان ليلاً ونهاراً ، ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ، ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم المطرز المزركش ، ويتوجهون في المهات الشريفة ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم (تعليقات السلوك ٦٤٤) .

(٣) أمير شكار : هو الذي إليه أمر الطيور والكلاب المعدة للصيد (المؤلف : نقد الطالب لزغل المناصب مخطوطتي ص ٣٩) .
وشكار لفظ فارسي معناه الصيد فيكون المراد ، أمير الصيد . وانظر صبح الأعشى (٤ / ٢٢ و ٥ / ٤٦١) .

(٤) البردار هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده (صبح الأعشى ٥ / ٤٦٩) .

بما يجب صرفه من الزكاة و يصرفه لمستحقيه رحمه الله تعالى .

ولم يزل على هذه الصفة حتى مسك في شهر ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة انتهى .

قلت :

ثم قيد ثم أهلك بالاسكندرية بالسم عن بضع وستين سنة ، قاله الذهبي في مختصر تاريخ دول الإسلام في السنة المذكورة .

وكان الذي مسكه السلطان الجديد الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي[١] .

ثم خلع أبو بكر في تاسع عشر صفر سنة اثنين وأربعين وحبس بقوص ، ثم قتل في جمادى الآخرة منها .

وأقاموا أخاه الملك الأشرف كجك وهو مميز ثم خلع بعد نحو سبعة أشهر .

وبايعوا أخاه الملك الناصر أحمد في عاشر شوال منها والله أعلم .

ثم قال :

ووجد عنده يعني تنكز لما مسك ثمانمائة حمل جمل من الذهب والفضة والقماش غير الخيول والجمال والبغال والمماليك والجواري وكان مدة نيابته أربعة وعشرين سنة رحمه الله تعالى .

---

(١) الصحيح أن مسكه وإعدامه كان أيام الناصر محمد بن قلاوون ، وبعد مسكه انتثت قبة تذكارية للنصر على الأمير تنكز وهذه القبة تبتعد عن دمشق (٢٧) كيلو متراً قبل ثنية العقاب على طريق حمص وتعرف اليوم بقبة العصافير وهي في حالة سيئة تحتاج إلى ترميم وعناية من قبل دائرة الآثار خاصة وأنها الوحيدة من نوعها في سوريا .

[الطنبغا]

١٦

ثم تولى بعده الأمير الكبير ألطنبغا الحاجب الناصري ، ودخل إلى دمشق في شهر الله المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ولم يزل نائباً بها حتى خرج السلطان أحمد من الكرك وعصى حمص أخضر[1] بحلب وكان نائباً بها ، وقام في تولية السلطان أحمد فطلع إليه الطنبغا نائب الشام من دمشق ، فلما وصل إلى حلب هرب منها حمص أخضر يعني المسمى بطشتمر وقصد بلاد سيس ، فلما عاد نائب الشام إلى دمشق وجد بها قطلوبغا الفخري قد ملكها ، وكان الأمير قوصون قد جهزه من القاهرة وصحبته ألفا فارس يحاصر السلطان أحمد بالكرك ، فلما سمع أن نائب الشام قد توجه إلى حلب أخرج السلطان أحمد من الكرك والتف عليه الناس ، وخامر عسكر الشام إليه ، فعند ذلك هرب الطنبغا نائب الشام إلى القاهرة ، وكان من جهة قوصون ، ثم ان قوصون مسك ومسك ألطنبغا المذكور ، وطلع الفخري والسلطان أحمد والعساكر إلى القاهرة ، وتسلطن السلطان أحمد وعاد طشتمر حمص أخضر من سيس وطلع إلى مصر وفرح به الفخري .

[قطلو بغا الفخري]

١٧

ثم أن السلطان أحمد ولى نائباً بدمشق قطلو بغا الفخري ، وبحلب أيدغمش ، وبصفد الأحدي[2] ، وبغزة آق سنقر ، وبالقاهرة طشتمر حمص أخضر ، وأمر النواب بالخروج إلى محل ولايتهم .

---

(١) اسمه طشتمر ، ولقب حمص أخضر لأنه كان يحب أكله (الدرر الكامنة ٢ / ٢١٩) .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب الأحمدي وهو بيبرس الاحمدي المنصوري أمير جاندار جركسي الجنس توفي سنة (٧٤٦) النجوم الزاهرة (١٠ / ١٤٣) .

ثم إن السلطان جهز من مسك الفخري من الدرب .

وولى أيدغمش نيابة الشام ، وجهز الفخري وحمص أخضر إلى الكرك ، وهما اللذان أقاماه وسلطناه انتهى .

قلت :

فضربت عنق الفخري وعنق طشتمر حمص أخضر خارج الكرك في العشر الأخير من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين[1] .

ثم قتل ألطنبغا نائب الشام وجماعة من الأمراء المصريين قاله الحسيني في ذيله .

[أيدغمش]
١٨

ثم قال :

ثم تولى بعده علاء الدين أيدغمش الناصري ودخل إلى دمشق في أواخر سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، وتوفي بدمشق وكانت وفاته من أعجب العجب وهو أنه سمع حس جواره بدار السعادة[2] فأخذ بيده عصا ودخل لهن فضرب منهن واحدة حصاتين ووقع ميتاً رحمه الله تعالى انتهى .

قلت :

كانت وفاته فجأة في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

---

(١) كذا في الأصل . وفي الدرر الكامنة (٢ / ٢٥٢) إن قتلها كان سنة (٧٤٤) وفي رواية أخرى (٧٤٣) ولعل هذه الأخيرة هي الصواب .

(٢) انظر ص (٣٥) تعليقه رقم (٢) .

قال الذهبي في مختصره : ودفن بالقبيبات[1] وكانت سيرته حسنة والله أعلم .

[طقزدمر]

١٩

قال : ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين طقزدمر الناصري نائب حلب ودخل إلى دمشق نائباً لها في نصف شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة انتهى ./ (ص ٤)

قلت :

ثم جهزه الملك الكامل إلى مصر بعد أن أوقف وقفه الكائن بسطح المزة[2] واتصل ...[3] والله أعلم .

---

(١) القبيبات هي ما يطلق عليها الآن « الميدان الفوقاني » وكانت قديماً تعد من قرى دمشق ولا تزال فيها حارة تدعى بالقبيبات لأنها بنيت بالقباب على طريقة القرى التي بين حماة وحلب ، وجامع الدقاق المسمى قديماً بالجامع الكريمي أنشئ في قرية القبيبات .

(٢) المزة قرية على يمين القادم من بيروت لدمشق فوق الربوة غربي دمشق تبعد عنها نحو أربع كيلومترات نزلها منذ الفتح الإسلامي قبائل يمنية من كلب فسميت مزة كلب ، وقد صاهرهم لقوتهم معاوية ثم مروان فكان بنو كلب واليمنيون من أكبر أنصارهما ، وكان لأسامة بن زيد أقطاع فيها فباعه ابنه الحسن لبني كلب وفيها يقول حكيم بن عباس الأعور الكلبي :

إذا ذكرت أرض لقوم بنعمة ... فبلدة قومي تزدهي وتطيب
بها الدين والأفضال والخير والندى ... فمن ينتجعها للرشاد يصيب
ومن ينتجع أرضاً سواها فإنه ... سيندم يوماً بعدها ويخيب
تأتي بها حالي أسامة منزلا ... وكان لخير العالمين حبيب
حبيب رسول الله وابن رديفه ... له ألفة معروفة ونصيب
فأسكنها كلباً فأضحت بليدة ... بها منزل رحب الجنان خصيب
منصف على بر فسيح رحابه ... ونصف على بحر أغر يطيب

(انظر تاريخ ابن عساكر تهذيب بدران ٤ / ١٥٢ و ١٥٣ و ٤٢٢ ، والمعزة فيما قيل في المزة « ٤٥ ») .

(٣) موضع النقط كلمة أكلت الأرضة موضعها في الأصل فلم تظهر في التصوير .

[يلبغا]

٢٠

ثم قال :

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين يلبغا اليحياوي وكان له منزلة عند الملك الناصر ، وكان جميلاً حسناً ، ودخل من حلب إلى دمشق في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعمائة ، ولم يزل نائباً بها حتى طلبه السلطان إلى القاهرة ، وقتل بقلعة قاقون ، ودفن بها تجاه باب خان قاقون[١] رحمه الله تعالى .

وكان قد بنى الجامع المعروف بجامع يلبغا انتهى .

قلت :

الذي قاله السيد في ذيله أنه دخل إلى دمشق بكرة يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبعمائة وبنى الجامع المذكور في سنة سبع وأربعين وحز رأسه ومضوا به إلى القاهرة في سنة ثمان وأربعين والله أعلم .

[أرغون شاه]

٢١

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين أرغون شاه[٢] وكان له منزلة عند الملك الكامل ، ودخل من حلب إلى دمشق في ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وكان في أيامه الغلاء ثم إن الجيبغا والفخري الصغير قتلاه بالقصر ليلاً ،

---

(١) قاقون من أمهات قرى قضاء طول كرم ، في منتصف سهل سارون الكبير ، على طريق القوافل بين دمشق والقاهرة .

(٢) انظر وصف دمشق في رحلة ابن بطوطة ففي أيام ولاية أرغون شاه دخل ابن بطوطة دمشق .

وكان قد أمر بقتل الكلاب وحبسهم بالخندق إلى أن ماتوا وأكل بعضهم بعضاً .

ومن الغريب مااتفق أن امرأة كانت حاملة ولداً لها فراحت إلى الخندق ومعها خبز ترميه للكلاب على سبيل الصدقة ، فقصدت أن ترمي الخبز فوقع ولدها فتخاطفوه الكلاب قطعة قطعة وهي تنظر .

[آيتمش]

٢٢

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين آيتمش الجمدار الناصري ، وكان وزيراً بالقاهرة في أيام الملك الصالح ، ودخل إلى دمشق في ثاني جمادى الآخرة سنة خمسين وسبعمائة انتهى .

قلت :

قال الحسيني : وكان لين الجانب ، وقال في سنة اثنين وخمسين : وعزلوا أيتمش في آخر رجب وأخذوه للقاهرة والله أعلم .

[أرغون الكاملي]

٢٣

ثم قال : ثم تولى بعده الأمير الكبير أرغون الكاملي مملوك الملك الصالح ودخل إلى دمشق في صفر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة .

وفي تلك السنة قتل بيبغا أروس انتهى .

قلت :

إنما دخلها من حلب في حادي عشر شعبان سنة اثنين وخمسين وسبعمائة كذا قاله الحسيني في ذيل العبر .

ثم قال أيضاً في سنة خمسين وسبعمائة : ومات بالقدس الأمير الكبير العادل سيف الدين آرغون الكاملي نائب دمشق وحلب ، وكان رجلاً حازماً عادلاً له فهم ومعرفة على صغر سنه ، توفي في شوال ودفن بتربته بالقدس رحمه الله تعالى انتهى .

[أبو علي]

٢٤

ثم قال : ثم تولى بعده الأمير الكبير أبو علي المارداني رأس نوبة الملك الناصر ورأس نوبة الملك الأشرف ، وكان رجلاً عاقلاً ديناً فاضلاً عفيفاً يحفظ القدوري على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، واتقن قراءة القرآن ، وسمع البخاري ، وحج حجتين ، وكان في الجود نهاية ، ودخل دمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، ثم عزل وتوجه إلى حلب نائباً بها انتهى .

قلت :

قال السيد الحسيني في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين : وفي هذا الشهر قدم علاء الدين الماردابي من القاهرة إلى دمشق على نيابتها عوضاً عن آرغون الكاملي فدخلها في خامسه واستقر أرغون على نيابة حلب انتهى .

وقال : ثم عزل يوم السبت خامس عشري جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وسبعمائة انتهى .

[منجك]

٢٥

ثم قال : ثم تولى بعده الأمير الكبير العادل سيف الدين منجك ، وكان وزيرا بمصر ، وتولى نيابة طرابلس ، ودخل دمشق في جمادى الآخرة سنة أربع

وخمسين وسبعمائة ، وأقام بها نائباً إلى يوم عرفة من السنة المذكورة فعزل وتوجه إلى صفد نائباً بها انتهى .

(ص ٥) **قلت : الذي قاله / السيد الحسيني :**

في ذيل العبر في سنة تسع وخمسين وسبعمائة ماصورته : ونقل الأمير سيف الدين منجك من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب ، وفي يوم السبت خامس عشري جمادى الأولى صرف الأمير علاء الدين المارداني عن نيابة دمشق إلى نيابة حلب وقدم الأمير سيف الدين منجك من حلب على نيابة دمشق فدخلها يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة ، وباشر نظر ديوانه الصاحب تقي الدين بن مراجل انتهى .

ثم قال : وفي صبيحة يوم عرفة صرف الأمير سيف الدين منجك من نيابة دمشق إلى نيابة صفد انتهى .

ثم قال في سنة ستين : وفي العشر الأول من صفر صرف الأمير سيف الدين منجك من نيابة صفد وأخذ إلى القاهرة فانفلت منهم بقرب غزة ومضى لسبيله فلم يوقع له على خبر ، وأوذي بسببه خلق وجرى لأهل القدس أمور انتهى .

ثم قال في سنة إحدى وستين : في سابع عشري المحرم ظهر الأمير سيف الدين منجك الذي كان تسحب في صفر من العام الماضي فأخذ من الشرف الأعلى[1]

---

(١) الشرف المكان المشرف على غيره والشرفان في دمشق المكانان الطلان على المرجة فالشمالي يسمى الشرف الأعلى وهو الذي فيه مدرسة التجهيز الأولى ، والقبلي يسمى الشرف الأدنى وهو الآن شارع جمال باشا أو شارع النصر وسمي أدنى لأنه دون الأول في الارتفاع ، قال الراجز :

الشرفـــان عقلـــة المجتـــاز ... همـــا جنـــاحـــان لصـدر البـــازي
والنهر خــــــط لهما مــــــوازي ... يـــــذكرني منـــــازل النـــــازي
حيث الحصى ظن لآلي در

ظاهر دمشق ونقل إلى القاهرة ، فعاتبه السلطان على فعله ، ثم رضي عليه وأطلقه وكتب له وارداً بأن يقيم حيث شاء ، وأقطعه إقطاعاً وأقام بالقدس انتهى والله أعلم .

[امير علي مرة ثانية]

ثم قال : ثم عاد آمير علي المارداني من حلب إلى دمشق ودخلها في يوم الأربعاء ثاني المحرم سنة ستين وسبعمائة انتهى .

قلت :

وأقام إلى ثاني عشري رجب فقبض عليه وتوجهوا به إلى القاهرة ، فأعيد من الطريق إلى نيابة صفد ، قاله السيد .

ثم قال في سنة إحدى وستين : وفي صفر صرف الأمير علاء الدين المارداني من نيابة صفد واستقر على نيابة حماة انتهى والله أعلم .

[أسندمر]

٢٦

ثم قال : ثم تولى الأمير الكبير سيف الدين أسندمر اليحياوي أخو يلبغا ودخل دمشق في شهور سنة ستين انتهى .

قلت :

وكان دخوله في يوم الاثنين حادي عشر شعبان منها ، وفي ليلة الأربعاء رابع عشري رجب قبض عليه ، ثم أقيم بطرابلس قال ذلك السيد والله أعلم .

[بيدمر]

٢٧

ثم قال : ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين بيدمر الخوارزمي ودخل إلى دمشق من حلب في شهور سنة إحدى وستين وسبعمائة ، يعني في يوم السبت تاسع عشري شعبان منها ، وكان ذلك في أيام الناصر حسن ، وفي هذه الولاية عصى بيدمر وأخذ القلعة واتفق له ما اتفق .

[أمير علي مرة ثالثة]

ثم تولى أمير علي المارداني مرة ثالثة ودخل إلى دمشق في شهور سنة اثنتين وستين وسبعمائة .

[بيدمر مرة ثانية]

ثم تولى بعده بيدمر ودخل دمشق في شوال سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

[منجك مرة ثانية]

ثم تولى بعده منجك مرة ثانية ودخل دمشق في شهور سنة سبعين وسبعمائة وفعل الخيرات وبنى الأعقار بالدروب ، وبنى زاوية بالكسوة[1] وعمل لها سماطاً ، وعزل الطرقات والعقبات ، وعدل في الرعايا ، ثم عزل وطلب إلى القاهرة .

---

(١) قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر ، قال الحافظ أبو القاسم : وبلغني أن الكسوة إنما سميت بذلك لأن غسان قتلت بها رسل ملك الروم لما أتوا إليهم لأخذ الجزية منهم واقتسمت كسوتهم (معجم البلدان) وهي اليوم مركز ناحية تابعة لقضاء قطنا تقع قبلي دمشق وتبعد عنها (١٩) كم ونفوسها نحو (٢٧٠٠) نسمة وتشتهر بتومها الذي يمون مدينة دمشق وفيها بساتين عامرة ، يمر بها النهر الأعوج .

[بيدمر مرة ثالثة]

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين بيدمر ثالث مرة ودخل من حلب إلى دمشق في شهر شوال سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

وفي هذه السنة كان ببلاد حلب غلاء زائد حتى أكلت الكلاب والميتة ، وحضر إلى دمشق من بلاد الشمال خلق كثير ، وغلا الخبز أيضاً بدمشق حتى وصل الرطل إلى درهمين ونصف ، وبيدمر بدمشق قد أهمل مصالح المسلمين مشغول بأخذ أموالهم .

[صناعات دمشق]

وقد طلب منه السلطان الملك الأشرف يعني شعبان بن الملك الناصر حسن ماتحتاج إليه العمارة التي أنشأها بالرميلة تحت قلعة مصر مثل شبابيك وأبواب وحلق وصفائح وغير ذلك فشرع بيدمر في استعمال المطلوب والناس مع ذلك في غلاء وشدة وفناء ، والعمل مع ذلك دائر بدار السعادة[1] حتى / انتهى العمل . (ص ٦)

ثم إنهم جمعوا الآلات مثل مفاتيح ، وحلق ، ومسامير ، ورزان ، وسواقط ، وأطواق ، وهلالات برسم القباب ، وقبنوا ذلك فكان اثنى عشر قنطاراً من الذهب والفضة ، وذلك خارجاً عن النحاس المطعم بالذهب والفضة ، وحمل جميع ذلك إلى القاهرة على مئة وستين جملاً ، ثم إن السلطان طلب بيدمر إلى القاهرة وعظمه وأكرمه وأعاده إلى نيابته .

ثم بعد أيام ورد عليه مرسوم السلطان يتضمن عمل طرز ، وزوايا زركش برسم الحريم ، وبعمل أيضاً كنابيش زركش للهجن ، وسلاسل فضة وذهب ، وأكوار مفرقة برسم الحجاز الشريف ، فعند ذلك طلب التجار بدمشق وطرح

(١) انظر ص (٣٥) تعليقه رقم (٢)

عليهم الأصناف ، وطلب الصياغ ، وأخرج لهم الذهب والفضة وأمرهم أن يعملوا ذلك ، وكان من جملة الاستعمالات سبعمائة زاوية زركش ، في كل واحدة من الذهب من ثلثمائة مثقال إلى خمسمائة مثقال ، وعمل أيضاً إبر ذهب برؤوس لؤلؤ ألفي إبرة ، وفضة برؤوس ذهب باسم الجوار ثلاثة آلاف ، وطرز يلبغاوية ألف ومائتي زوج ، ومثلها كنابيش ، وأخراج أطلس زركش مائة وعشرين خرجاً برسم الأكوار ، وثلثمائة كور ملبسة ذهب وفضة ، وركب ذهب وفضة ستين زوجاً ، وسلاسل ومخاطم برسم الهجن والجمال شيء كثير ، وكانت الخزائن من عنده متصلة إلى القاهرة أولاً فأول ، خزانة بالقاهرة ، وأخرى بغزة ، وأخرى بالغور ، وأخرى خارجة من دمشق ، وأخرى في أيدي الصناع .

وفي هذه السنة حج السلطان الملك الأشرف شعبان المذكور وهي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة واتفق له بالدرب ما اتفق ، ثم عزل بيدمر .

[طشتمر]

٢٨

وتولى طشتمر الدوادار ودخل دمشق ثم اتفق له ما اتفق فعزل .

[أقطمر]

٢٩

وتولى الأمير الكبير سيف الدين أقطمر الحنبلي وكان ديناً عاقلاً فاضلاً كريماً دخل دمشق في تسع وسبعين وسبعمائة وتوفي بها بعد مدة يسيرة رحمه الله تعالى .

[بيدمر مرة رابعة]

ثم تولى بعده بيدمر مرة رابعة وكان بطالاً بدمشق وكانت مدته يسيرة من السنة المذكورة .

[كمشبغا]

٣٠

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين كمشبغا اليلبغاوي الحموي ودخل إلى دمشق في سنة ثمانين وسبعمائة ثم عزل .

[بيدمر مرة خامسة]

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين بيدمر مرة خامسة ودخل دمشق في شهر الله المحرم سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ثم عزل .

[أشقتمر]

٣١

وتولى بعده الأمير الكبير سيف الدين أشقتمر ودخل دمشق في شهور سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ثم عزل .

[بيدمر مرة سادسة]

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين بيدمر سادس مرة ودخل دمشق في شهور سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ثم مسك وأودع بالقلعة ومات بها ودفن باليونسية[1] بالشرف الأعلى[2]

---

(١) في الشرف الأعلى عمارتان تدعى كل منهما باليونسية : الأولى الزاوية اليونسية وكانت غربي المدرسة العزية وقد دثرت وهي أقدم اليونسيتين ، والثانية الخانقاه اليونسية الدوادارية وهي شرقي المدرسة العزية وتعرف في عصرنا بالطاغوسيه أثبتنا مكانها في مخطط الصالحية ، ولم يعين المؤلف في أي اليونسيتين دفن الأمير المذكور واليونسية الأخيرة يقع تاريخ إنشائها بعد وفاة الأمير المذكور بعام .

(٢) عن الشرف الأعلى انظر التعليقة (١) في ص (٤٨) .

[أشقتمر مرة ثانية]

ثم تولى بعده الأمير أشقتمر وكان بطالا بالقدس الشريف وكان مدته دون الشهرين .

[الطنبغا]

٣٢

ثم تولى بعده الأمير الكبير العادل علاء الدين ألطنبغا الجوباني(١) ، وكان نائباً بالكرك ودخل دمشق في صفر سنة تسع وثمانين وسبعمائة وكان عاقلاً ديناً كريماً شجاعاً لم ير مثله انتهى .

قلت :

ثم أمسك في سنة تسعين وأمسك معه أيضاً الطنبغا المعلم وقردم الخشني ، وفيها توفي بيدمر والله أعلم .

[طرنطاي]

٣٣

ثم قال : ثم تولى بعده الأمير سيف الدين طرنطاي الحاجب في أواخر ذي القعدة سنة تسعين وسبعمائة .

[بزلار العمري]

٣٤

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين بزلار ودخل دمشق في شوال عام احد وتسعين وسبعمائة ومات بها .

---

(١) في الأصل الحرباني والتصحيح من الدرر الكامنة (٤٠٧/١) وتاريخ ابن الفرات (٢٤٠/٩) .

[جردمر]

٣٥

ثم تـولى بعــده الأمير الكبير سيف الــدين جردمر أخـوطــاز في أواخر شهر رمضان سنة اثنين وتسعين وسبعمائة .

[الطنبغا مرة ثانية]

ثم / تـولى بعـده الأمير الكبير الطنبغـا الجـوبـاني مرة ثـانيـة وكان محبـوســاً (ص ٧) بالإسكندرية ودخل دمشق في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائـة ثم قتل بحمص بوقعة منطاش ونعير .

[يلبغا الناصري]

٣٦

وكان يلبغا النـاصري إذ ذاك نـائب حلب فعزل وتولى نيـابـة دمشق في شهر شعبان منها .

[بُطا]

٣٧

ثم تولى بعده الأمير الكبير بطا الدوادار الظـاهري ، ودخل دمشق في الحجـة عام ثلاث وتسعين وسبعمائة ومات بها .

[سودون]

٣٨

ثم تولى بعـده الأمير الكبير سيف الـدين سودون الطرنطـاي ، ودخل دمشق في شهر ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وسبعمائة وكانت أخلاقه سيئة ثم مات بها .

[كمشبغا]

٣٩

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين كمشبغا الخاصكي ، ودخل دمشق في شوال منها ومات بها في أواخر سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

[تنبك]

٤٠

ثم تولى بعده الأمير الكبير سيف الدين تنبك(١) الحسني وكاز أتابك العساكر بدمشق في أواخر سنة خمسة وتسعين وسبعمائة ، واستمر إلى رمضان سنة اثنين وثمانمائة ، وكان قد عصى على الملك الناصر فرج بن برقوق بعد موت والده وجمع العساكر وطلع إلى جهة القاهرة لقتال المصريين ، فالتقى هو وعسكر مصر على الجبة بالقرب من غزة وانكسر ومسك وأحضر إلى دمشق مقيداً ، ثم قتل صبراً بقلعة دمشق في ليلة يسفر صباحها عن ثالث شهر رمضان المذكور ، وكان ذا عقل ودين وشجاعة وعدل ولين الجانب .

[سودون الدوادار]

٤١

ثم تولى بعده الأمير شرف الدين سودون أخو بيبرس الدوادار ، وكان ابن أخت الملك الظاهر برقوق ، وخلع عليه بدمشق بحضرة الملك الناصر في أواخر شهر المحرم سنة ثلاث وثمانمائة ، ثم قتل بحلب بوقعة اللعين تمرلنك في أواخر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانمائة .

---

(١) يسمى أيضاً « تنم » وهو صاحب التينبية بالميدان .

[تغري بردي]

٤٢

ثم تولى بعده الأمير الكبير تغري بردي الظاهري[1] بعد رحيل العدو تمر عن البلاد ودخل دمشق بعد إحراقها ونهبها وسبي أهلها في أواخر رمضان سنة ثلاث وثمانمائة واستمر نائباً بها إلى شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة ، فبلغه أن السلطان قصد مسكه فعند ذلك هرب إلى حلب .

[أقبغا]

٤٣

ثم حضر تقليد النيابة للأمير الكبير علاء الدين أقبغا الجمالي الأطروش نائب حلب وكان يومئذٍ أتابك العسكر بدمشق ونزل بعمارة يونس[2] الدوادار بالشرف الأعلى لكون دار السعادة محرقة من العدو تمر سنة أربع وثمانمائة وكان عاقلاً لبيباً ديناً .

[شيخ]

٤٤

ثم تولى الأمير الكبير العالم العادل شرف الدين شيخ الخاصكي نائب طرابلس ، كان في ذي القعدة سنة أربع وثمانمائة ودخل دمشق في ثاني محرم سنة خمس وثمانمائة ونزل بعمارة يونس وأمر بعمارة دار السعادة والجامع الأموي والمارستان[3] والمدارس وكان ابتداء ذلك في أوائل سنة ست وثمانمائة ، وعمل ثوباً

---

(١) ذكر يوسف بن تغري بردي في « المنهل الصافي ٢٢٣٨١/١ » أن أباه تولى دمشق ثلاث مرات ويقول : ودامت الصحبة بينهما إلى أن توفي والدي بدمشق في نيابته الثالثة في سنة خمس عشره وثمان مئة .

(٢) هي الخانقاه اليونسية انظر ص (٥٣) .

(٣) أي مارستان نور الدين لأن دمشق دمرها تيمور سنة (٨٠٣) .

للمحمل ، وجهز وفداً لله تعالى في تلك السنة إلى الحجاز الشريف ، وكان أمير الركب فارس الدوادار التمي ، وكان الحج قد انقطع مدة ثلاث سنين لأجل خراب البلاد ، ثم إن شيخ عصى وجمع العساكر وقصد القاهرة وانكسر وعاد إلى دمشق ثم هرب إلى الصبيبة واتفق في غضون ذلك أمور يطول شرحها .

[نوروز]

٤٥

ثم تولى الأمير الكبير سيف الدين نوروز الحافظي ودخل في ثاني عشر من شهر صفر سنة ثمان وثمانمائة ونزل بدار السعادة لأن شيخ كان قد عمرها .

[شيخ مرة ثانية]

ثم حضر الأمير الكبير شيخ الخاصكي من الصبيبة إلى دمشق وأخذها من نوروز بعد وقعات كثيرة يوم الثلاثاء ثاني عشري من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة .

وهرب نوروز إلى جهة حلب فتوجه الأمير شيخ في أثره فحضر إليه تقليد من القاهرة بالنيابة .

(ص ٨) ثم حضر الأمير نوروز إلى دمشق بعد آن توجه الأمير شيخ / إلى القاهرة في سادس ذي الحجة سنة ثمان وثمانمائة ثم حضر الأمير الكبير من القاهرة في حملة السلطان الملك الناصر في التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وثمانمائة .

ثم حضر الأمير نوروز الحافظي إلى دمشق بعد توجه السلطان إلى القاهرة في مستهل شهر رجب سنة تسع وثمانمائة واستمر إلى ثاني شهر صفر سنة عشرة وثمانمائة ثم خرج إلى حلب ثم دخل شيخ من صفد في تاسع صفر منها وشرع في أخذ الأهبة لدخول السلطان الملك الناصر فرج ثم إن السلطان مسكه ومسك معه يشبك واعتقلها بالقلعة ثم تسحبا من السجن وقصدا تدمر .

[بيغوت]

٤٦

ثم تولى الأمير بيغوت وخلع عليه بدمشق في يوم الثلاثاء أول شهر ربيع الأول منها .

[شيخ مرة ثالثة]

ثم حضر شيخ من تدمر وأخذ دمشق وجهز يشبك وجركس المصارع إلى بعلبك لقتال عسكر نوروز ، فقتلا بها يوم الخميس رابع عشري ربيع الآخر سنة عشرة ، فلما بلغ شيخ ذلك خرج من دمشق ليلة الجمعة خامس عشر الشهر المذكور ثم حضر الأمير الكبير نوروز الحافظي نهار السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة عشرة وثمانمائة وشيخ على قرية القرعة ، ثم وقع الصلح بينه وبين نيروز الحافظي نهار السبت حادي عشر جمادى الآخرة سنة عشر وثمانمائة واجتمعا وحضرا إلى دمشق واتفقا على العصيان على السلطان ، واتفق الحال على أن يكون نوروز نائب الشام وشيخ نائب طرابلس ، واستمر نوروز نائب الشام إلى أن قتل الملك الناصر فرج بقلعة دمشق بعد أمور يطول شرحها .

[نوروز مرة ثانية]

ثم لما قتل السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق بدمشق تولى الأمير نوروز النيابة عن أمير المؤمنين المستعين بالله واستمر إلى أن تسلطن شيخ بالقاهرة ونزل إلى دمشق وحاصره بالقلعة وقتله في سنة سبع عشرة وثمانمائة انتهى .

قلت :

وجدت بخط الحافظ ابن ناصر الدين في رابع عشري صفر سنة خمس عشرة : تولى نوروز الحافظي نيابة الشام بخلعة الخليفة أمير المؤمنين انتهى .

وقال الأسدي في تاريخه في المحرم سنة سبع عشرة وثمانمائة : وفي رابعه خرج السلطان شيخ المؤيد من مصر قاصداً الشام بسبب نوروز .

وفي ثامن عشره طلب النائب نوروز القضاة وحضر النواب والأمراء واستفتاهم في قتال السلطان الملك المؤيد .

فقال القاضي الشافعي : لا يجوز قتالهم ولا قتالكم أنتم عسكر المسلمين .

فقال النائب له : فكيف يكون العمل ؟

فقال القاضي : ندخل بينكم في الصلح .

فقال النائب : كيف الصلح بعد أن وصل ؟

ثم قال النائب : فهذا مسك الخليفة ونكث الإيمان .

فقال القضاة : لابد أن نعرف لأي معنى مسك الخليفة وشبهته في ذلك حتى ننظر هل يجوز قتاله أم لا ؟ ونحو ذلك من الكلام .

وكان هذا الكلام نافعاً للقضاة عند السلطان فإنه نقل إليه هذا المجلس .

وغضب نوروز من ذلك ورسم للقضاة باستمرارهم في المدينة انتهى .

ثم قال الأسدي في ربيع الآخر منها : فيه نزل نوروز من القلعة وسلم نفسه هو وجماعته ، وقطع رأسه بعد عشرين ليلة مضت منه ، وبعث رأسه إلى مصر ، ودفنت جثته بالخراب خلف دار السعادة ، ثم نقل ودفن بالقلندرية[1] بباب الصغير[1] والله أعلم .

---

(١) القلندرية كلمة أعجمية معناها المحلقون . وهي طائفة صوفية يحلقون رؤوسهم وشواربهم ولحاهم وحواجبهم . وكانت هذه الفرقة مكروهة من الفقهاء ورجال الدين . نشأت في عهد الظاهر بيبرس . وهو الذي شجعها وكان سبب انتشارها في الشام ومصر . ومن مشاهير رجالها الشيخ عثمان كوهي الفارسي وهو الذي ورد اسمه في قصة الظاهر بيبرس الشعبية باسم (عثمان بن =

[قانباي]

٤٧

ثم قال :

ثم تولى الأمير قانباي المحمدي النيابة بعد نوروز ولاه المؤيد شيخ وعصى عليه ، وحاصر القلعة ولم يأخذها ، ثم نزل السلطان من القاهرة إليه .

= الجبلة) . وذكر ابن إسرائيل الشاعر أن هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة (٦١٦) ، وفي خامس ذي الحجة سنة (٧٦١) ورد كتاب من السلطان بإلزام القلندرية ترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم وترك زي الأعاجم والمجوس ، وأن لا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزي المبتدع واللباس المستشنع ، ومن لا يفعل ذلك يعزر شرعاً فنودي عليهم بذلك في أنحاء دمشق ، وكان لهم عدة زوايا في دمشق ومصر أشهرها هذه التي يتكرر ذكرها في هذا الكتاب ومكانها في مقبرة باب الصغير لصيق مزار السيدة سكينة من جهة القبلة والشرق والباقي منها قبة كتب عليها مايلي بسطر واحد : السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي ، وعلى كل من دعامتي الباب الشرقية والغربية صورة أسد ، وهو رنك الظاهر بيبرس ، والراجح أن هذه القبة هي بقايا الزاوية القلندرية وقد جاء في كتاب الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحوراني مايلي : وقبر سكينة بتربة القلندرية داخل القبة وهذا النص يؤيد مارجحناه وهذه القبة مع قبة سكينة حديثتا البناء جددتا سنة (١٣٣٠ هـ) وما على باب القلندرية من الكتابة والرنك مأخوذ من البناء القديم .

وقد دفن في القلندرية وحولها عدد من الأمراء والمشاهير . انظر (البداية والنهاية) ٧٦١/١٤ ، وتنبيه الطالب ٢١٠/٢ ـ ٢١٢ ، والإشارات (١٦) ، وولاة دمشق في عهد المماليك ، الطبعة الثانية : منشورات دار الفكر (ص ٢٢٠) .

والباب الصغير أحد أبواب دمشق ويسمى الآن باب الشاغور ، وعلى مقربة منه أكبر مقبرة في دمشق وأعظمها وتدعى مقبرة باب الصغير ، وأهل دمشق يطلقون على هذه المقبرة باب الصغير فيقولون : دفن فلان في باب الصغير وعلى هذا مشى المؤلف .

[ألطنبغا العثماني]

٤٨

وكان قد ولي الأمير الطنبغا العثماني النيابة ثم مسك قانباي المذكور بحلب وقتل بها في شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، وكانت تولية الأمير الطنبغا / (ص ٩) المذكور في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، واستمر إلى أواخر المحرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ، ثم مسك واعتقل بالقلعة بدمشق ، ثم أفرج عنه بعد أشهر وتوجه إلى القدس الشريف بطالا ، وأقام بها إلى أن مات رحمه الله تعالى .

[أقباي الدوادار]

٤٩

ثم تولى بعده الأمير أقباي الدوادار نقلا من حلب إلى دمشق في أول سنة عشرين وثمانمائة فلم تطل مدته ، ثم مسكه السلطان بقلعة دمشق عند عوده من حلب من وقعة قانباي ، ثم حبسه بالقلعة وكان ذلك في شهر صفر سنة عشرين وثمانمائة .

ثم إنه طلع من الحبس وأخذ القلعة ، وحوصر أياماً يسيرة ، ثم نزل من القلعة ليلاً ومسك بنهر بردى داخل باب الفرج ، ثم أعيد إلى الحبس وحضر بعد ذلك مرسوم السلطان بقتله فقتل في ذي القعدة من السنة المذكورة انتهى .

قلت :

ثم قطع رأسه وأخذ إلى مصر ودفنت جثته غربي زاوية القلندرية والله أعلم .

[تنبك ميق]

٥٠

ثم قال :

وكان قد تولى بعده النيابة حال مسكه الأمير تنبك ميق العلائي ثم طلبه السلطان إلى مصر وأعطاه أمرته في شهر رمضان سنة أحد وعشرين وثمانمائة .

[جقمق الدوادار]

٥١

وتولى الأمير جقمق الدوادار نيابة الشام بعده ، وحضر إلى دمشق في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر إلى أن توفي السلطان الملك المؤيد شيخ ، وتولى ولده السلطنة فعند ذلك عصى ، ثم مسك في ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة وقتل بقلعة دمشق صبرا في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء سابع عشر شوال من السنة المذكورة .

[تنبك ميق مرة ثانية]

وكان قد تولى مكانه الأمير تنبك ميق العلائي ثانية في شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثمانمائة من قبل المظفر أحمد بن المؤيد شيخ انتهى .

قلت :

قال ابن حجر في تاريخه في سنة اثنين وعشرين وثمانمائة : وفي الثاني من جمادى الأولى ولد الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد شيخ ، فقدر الله أنه ولي السلطنة في أول سنة أربع وعشرين وعمره سنة واحدة وثمانية أشهر وأياماً انتهى .

ثم قال :

في سنة ثلاث وعشرين وفي العشرين من شوال عهد المؤيد لولده أحمد بالسلطنة وعمره سنة ونصف .

ثم قال فيها :

وفي ثالث شوال قرر جقمق في نيابة الشام عوضاً عن تنبك ميق ، وقرر تنبك ميق في تقدمه ألف على إقطاع جقمق ، واستقر مقبل الدوادار في وظيفة جقمق انتهى .

ثم قال :

في سنة أربع وعشرين وفي أولها عصى جقمق وأخذ قلعة دمشق ثم قام عليه القرشي وأخرجه في جمادى الأولى .

[تنبك ميق مرة ثالثة]

ثم أعيد ثانية إلى دمشق مكانه تنبك المذكور في سادس عشر جمادى الأولى منها ، وكانت وفاة جقمق ليلة الثلاثاء سابع عشري شعبان منها ، ودفن يوم الأربعاء بمدرسته التي أنشأها عند باب الجامع الأموي الشمالي ، وكان ظالماً غشوماً متطلعاً إلى أموال الناس انتهى كلام ابن حجر .

ثم قال :

فلما خلع المظفر المذكور في ثامن عشري شعبان من السنة المذكورة يعني سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتسلطن ططر بدمشق استمر الأمير تنبك العلائي نائباً على عادته ، فلما تولى الصالح محمد بن ططر السلطنة بعد وفاة أبيه طلب نائب الشام المذكور إلى القاهرة على يد المقر الناصري محمد بن منجك ، فتوجه إلى

القاهرة يوم الاثنين ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، فلما وصل إلى القاهرة تسلطن الأمير برسباي الدقاقي الظاهري انتهى .

قلت :

كانت سلطنته / يوم الأربعاء تاسع ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة (ص ١٠) وهو الذي دخل دمشق في عاشر شعبان سنة ست وثلاثين وعلى رأسه الغاشية يحملها النائب جارقطلي ، وقدامه الخليفة وقضاة مصر صفا ، وقدامهم قضاة الشام ، وقدامهم نوابهم ، وقدامهم مقدمون الألوف سودون من عبد الرحمن ، وجقمق فمن دونها ، ونزل بالمسطبة[1] وقد جددت له ، وحصل للناس خير بنزولهم هناك .

---

(١) المسطبة أو مسطبة السلطان :
كانت دولة المماليك تعنى بالأمور الشكلية أو الأمور الظاهرة مما يزيد في هيبتها ، ويجعل العامة تؤمن بعظمة الدولة وكبريائها ، ولذلك اتخذت أساليب العرض والمواكب العسكرية فأقامت قبيل مدينة دمشق في قرية القدم قبة تدعى قبة النصر ، وقبة يلبغا ، انظر وصف هذه القبة ص (٤١) وكانت هذه المنطقة أعظم مدخل لدمشق فهي طريق بيت الله الحرام (بوابة الله) وطريق فلسطين والأردن وحوران ، وطريق عاصمة المملكة (القاهرة) .

والطريق الآخر هو طريق رحبة مالك بن طوق والجزيرة الفراتية وطريق حمص وحماة وحلب وما إلى ذلك ، واتخذت على هذا الطريق مسطبة تدعى بمسطبة السلطان .

وهي مسطبة عظيمة كانت في سهل القابون بين القابون وبرزة كان الملوك والنواب والعظماء من القواد ينزلون فيها إذا قدموا من جهة حلب ، ثم تخرج جيوش دمشق لملاقاتهم بها ويدخلون دمشق بموكب حافل ، وكذلك شأنهم إذا أرادوا السفر إلى حلب وجهاتها . ويقول البدري المتوفى سنة (٨٩٤) إنها قدر فدان يصعد إليها في نيف وعشرين درجة من جهاتها الأربع ، وفيها قصر حسن البناء ينزل به الملوك والسلاطين عند توجههم إلى الأسفار اهـ . وبقي شيء من آثارها إلى سنة (١٣٥٠) وقد شاهدتها وهي تعلو عن الأرض نحو متر وقد أخذ الفلاحون في هدمها وتسويتها بالأرض وأصبحت اليوم أرضاً زراعية .

[ابن حجر يدرس بالجامع الأموي]

وفي يوم الاثنين سادس عشر نزل قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من الوطاق[1] إلى الجامع ومعه قاضيا مصر المالكي والحنبلي وأملى أحاديث بمحراب الحنفية وحضر عنده القاضيان الحنفي والمالكي وجماعة من العلماء وكثير من الطلبة ، وظهر من المملي المذكور فصاحة وذكاء زائد ، وتؤدة في الكلام وظرف ، قاله الأسدي في ذيله في سنة ست وثلاثين المذكورة .

واستمر (برسباي)[2] سلطاناً إلى أن عهد لولده العزيز في ذي القعدة سنة أحد وأربعين وثمانمائة والله أعلم .

ثم قال :

فاستمر يعني برسباي السلطان بالمشار إليه يعني تنبك ميق في نيابة الشام على عادته وأعادته إلى محل كفالته فدخل دمشق يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وهذه النيابة هي الثالثة ، واستمر إلى أن أتاه حمامه ، فمات يوم الاثنين عند أذان العصر بالاصطبل تجاه دار السعادة[3] سابع عشر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة ، ودفن عند بناته في تربة مغصوبة أصلها إنشاء أمير حاج استادار العثماني[4] وهذه التربة تجاه تربة مختار الطواشي ، وهي

---

(١) الوطاق كلمة تركية تأتي بمعنى الخيمة وبمعنى المخيم .

(٢) أضيفت هذه الكلمة للإيضاح .

(٣) انظر عن دار السعادة ص (٣٥) في التعليقات .

(٤) هذه التربة ذكرها النعيمي في تنبيه الطالب (٢٤٠/٢) في التربة التنبكميقية لصيق نربة ابن دي النون ، وقد أصححت هذه التربة داحلة في المقبرة العامة . أما تربة ابن ذي النون فلم يترجم لها أحد من مؤرحي الأبنية الإسلامية ،وهي لاتزال موجودة بين مخفر الشيخ حسن والمدرسة الصابوبية على صف المقبرة وجبهتها جميلة محتاح إلى إصلاح وقد كتب على بابها (قبر ذا النون المصري) وابن ذي النون صاحب هذه التربة هو : علي بن ذي النون الإسعردي ثم =

لصيق تربة ابن ذي النون غربي مقابر باب الصغير خارج باب الجابية بكرة نهار الثلاثاء وكانت جنازته حافلة وخلف أموالاً كثيرة لا تحصى ، وقماشاً وكراعاً ، ثم حمل الجميع إلى القاهرة المحروسة .

[تنبك البجاسي]

٥٢

ثم تولى بعده النيابة تنبك البجاسي نائب حلب في رمضان سنة ست وعشرين وثمانمائة ، وحضر إلى دمشق يوم الخميس العاشر من شوال منها ، وقرأ تقليده بدار العدل القاضي بدر الدين كاتب السر وناظر الجيوش المنصورة بالشام المسمى بحسين ، وكان لدخوله يوماً مشهوداً ، وفعل مع الحجاج خيراً كثيراً ، ثم بعد أيام أرادوا مسكه فنقب له من السور من مقابل المسجد المستجد العمري وخرج عليهم ، فهربوا ،وكتب محضراً بأنه لم يخامر ، ثم علم بأنه لا يفيد ، فشرع يخامر ، ورمى عليه النجيبي من القلعة ، ثم دخل النائب الجديد الآتي ذكره والنائب هذا خارج البلد ، ثم رجع وكلهم خلفه حتى تقنطرت به فرسه فوقع عنها وجاءته رمية في رأسه وفي خاصرته فسقط قدام حمام جكاره وجر في الطريق إلى القلعة وقتل بها صبراً ، ودفن خارج باب الفراديس عند قبر الناصر فرج وتأسف الناس لأنه سار سيرة حسنة في الناس رحمه الله تعالى .

= الدمشقي صاحب الخان المشهور بقرب الكسوة وكان من التجار وعمر هذا الخان وحصل به نفع للناس مات في ذي القعدة سنة (٧٧٤) (إنباء الغمر) وهذه هي المرة الأولى التي يجري بها التسيه على هذه التربة والتعريف بصاحبها .

[سودون]

٥٣

ثم ولي بعده نيابة دمشق الأمير سيف الدين سودون من عبد الرحمن الظاهري الدوادار انتهى .

قلت :

قال ابن حجر : وفي أواخر المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة استقر سودون من عبد الرحمن في نيابة دمشق عوضاً عن تاني بك البجاسي الذي استقر بها في العام الماضي ، وكان استكثر من شراء المماليك وعزم على الخروج ، فبلغ ذلك السلطان فعزله ، واستناب سودون ، وأمر بالقبض على تاني بك البجاسي ، ثم (ص ١١) أحضر رأسه إلى القاهرة وعلق بباب زويلة[١] / انتهى .

قال :

ودخل دمشق يعني سيف الدين سودون قبل مسك تنبك البجاسي بيوم واحد ، وكان عاشر صفر سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، وطلب إلى القاهرة أربع مرات فيتوجه ، ثم يعود مستمراً في النيابة ، ثم في آخر مرة عزله السلطان من النيابة وخلع عليه بالإمرة الكبرى بالديار المصرية عوضاً عن جارقطلي .

[جارقطلي]

٥٤

واستقر جارقطلي في نيابة الشام وكان ذلك في شهر رجب سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فحضر جارقطلي المذكور إلى دمشق نائباً بها يوم السبت خامس

---

(١) أحد أبواب القاهرة ، واختص هذا الباب بأن يعلق عليه من يعدم تشهيراً به .

عشري شعبان سنة خمس وثلاثين المذكورة ، ونزل بدار السعادة على العادة ، وقرأ تقليده ، القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف ، فأقام في النيابة إلى أن مات في ليلة يسفر صباحها عن يوم الاثنين تاسع شهر رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ودفن بمقبرة باب الصغير يعني بالقبة القلندرية[1] ، ولم يخلف ولداً وكانت جنازته مشهورة ، سار سيرة حسنة في الناس ، وتعفف عن أموالهم ولم يلتفت إليها فأسف الناس عليه وخلف موجوداً كثيراً حمل إلى القاهرة وكان قد ولي نيابة صفد وحماة وحلب والامرة الكبرى بمصر .

وأما سودون من عبد الرحمن فجهز بعد ذلك منفياً إلى دمياط بطالا في شهر رجب منها ، ثم مات بها انتهى .

قلت :

قال ابن حجر : وفي ثامن عشر ربيع الأول أخرج إقطاع الأمير الكبير سودون وأمر بلزوم بيته ، ثم أرسل صبيحة ذلك اليوم جميع ما عنده من الخيل والجمال والبغال للسلطان ، ثم أمر السلطان بنفيه إلى دمياط في جمادى الآخرة ، واستمر إلى أن مات ، وفي هذا الشهر ولد له ولدين من جارية ولم يكن له ولد انتهى والله أعلم .

[قصروه الظاهري]

٥٥

ثم ولي النيابة بدمشق الأمير قصروه الظاهري نائب حلب في شعبان وحضر إلى دمشق نهار الاثنين تاسع شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، ثم ضعف ومات بدمشق في تاسع عشر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، ودفن خارج

---

(١) تقدم الكلام عليها ص (٦٠) .

باب الجابية وقد ناهز الثمانين سنة ، قرأ تقليده القاضي نجم الدين يحي بن المدني كاتب السر الشريف انتهى .

قلت :

الصواب أنه توفي في ثالث ربيع الآخر ودفن بتربة أنشأها طواشيه شمالي المأذنة تحتها بمحلة مسجد الذبان[1] تجاه التربة المزلقية ، وكان من بقايا مماليك الظاهر برقوق .

[إينال الجكمي]

٥٦

قال ابن حجر : وفي حادي عشر ربيع الآخر وصل الخبر بموت قصروه نائب الشام فقرر مكانه إينال الجكمي الذي ذهب قريباً إلى حلب وتوجه القاصد إليه بنقله من حلب إلى دمشق وقرر تغري برمش أمير آخور التركاني نائباً بحلب ، وقرر عوضه جانم أخو السلطان الأشرف من أمه أمير آخور انتهى والله أعلم .

ثم قال :

ثم تولى بعده الأمير إينال الجكمي نائب حلب وحضر إلى دمشق بعد قصروه يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، وقرأ تقليده القاضي نجم الدين يحي بن المدني ، فأقام في النيابة إلى أن مات الأشرف برسباي وتسلطن ولده العزيز يوسف ، ثم لما خلف الأمير جقمق وتسلطن وتلقب بالظاهر شق عليه ذلك وأنف الدخول في طاعته فعصى عليه ، يعني في العشر الأول من رمضان سنة اثنين وأربعين وثمانمائة ، وخرج عن الطاعة وأمسك

---

(١) مسجد الذبان هو غربي مقبرة الباب الصغير وهو المشهور اليوم بمخفر الشيخ حسن والتربة دثرت الآن ومكانها قرب المخفر المذكور .

برسباي الحاجب الكبير بدمشق والمباشرين وبعض الأمراء فاعتقلهم بدار السعادة يوماً واحداً ، ثم أفرج عنهم وكان ذلك يوم الاثنين تاسع رمضان منها وحصر القلعة بمن فيها ، وأظهر الإنكار على السلطان جقمق في قتله قرقماس القتلة الشنيعة ، واستمر عاصياً بدار السعادة إلى يوم الأربعاء ثاني شوال منها ، فخرج ونزل بالقصر[1] ، وشرع يحاصر القلعة ، وحصنت القلعة واتفق في دمشق / في (ص ١٢) غضون ذلك أضرار كثيرة ، ثم إن السلطان جهز عسكراً لقتاله من مصر فوصل العسكر المذكور ، فلما بلغ إينال الجكمي وصوله رحل من الميدان وتوجه إلى جهة العسكر فوصل إلى الحارة بالقرب من غدران ، فكانت الوقعة هناك وحصل بين المصريين وبين المذكور وقعة آلت إلى كسره ، فهرب وقصد دمشق فوصل إلى الغوطة ، ونزل بقرية حرستا الزيتون[2] ، فأعلم به نائب القلعة فجهز جاني بك دوادار برسباي الحاجب فوجده ببستان بقرية حرستا المذكورة ، فأمسكه ومعه بعض أنفار من مماليكه وأحضره إلى القلعة يوم الخميس بعد الظهر ثاني ذي القعدة سنة اثنين وأربعين ، ثم دخل العسكر ثاني يوم إلى دمشق ، واعتقل على إينال الجكمي ببرج الخيالة بدمشق بالقلعة ، ثم ورد مرسوم السلطان جقمق بقتله فقتل صبراً بالقلعة يوم الاثنين العشرين من ذي القعدة ضحوة نهار ، فتأسف الناس عليه رحمه الله وسامحه انتهى .

قلت :

قال ابن حجر : وفي خامس عشر شوال قبض على إينال وأصعد إلى القلعة بدمشق مقيداً ، وفي السابع والعشرين من ذي القعدة وصل رأسه إلى القاهرة وطيف به على رمح انتهى والله أعلم .

---

(١) أي : القصر الأبلق .

(٢) قرية مشهورة بالغوطة على طريق حمص تبعد عن دمشق نحو ثمانية كيلو مترات .

[أقبغا التمرازي]

٥٧

ثم قال :

وكان السلطان قد ولى نيابة دمشق الأمير أقبغا التمرازي وقد حضر من مصر صحبة العسكر المصري ، فحضر المشار إليه يوم الجمعة حادي عشري ذي القعدة قبل صلاة الجمعة ، وفي ذلك اليوم قامت الغوغاء بدمشق وقتلوا محمد بن خريص المعروف ببلبان شيخ كرك نوح(١) وولده الجرناني ومحمد بن سعد الدين مقدم حمارا(٢) وأراح الله البلاد والعباد من المذكورين ، وكانت توليته يوم الاثنين ثالث عشري رمضان منها ، واستمر في النيابة إلى يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، وركب إلى الميدان ولعب بالكرة والبرجاس والرمح ، وعمل أعمالاً لم يعملها قبل ذلك ، ثم حصل له وهو راكب بالميدان(٣) دوخة فنزل عن جواده ونام لحظة ، ثم أحضروا له محفة فمات بها قبل وصوله إلى

---

(١) كرك نوح - بتسكين الراء تمييزاً لها عن كرك الأردن - قرية كبيرة كانت قصبة البقاع (اللمعات البرقية ص ٤٤) وهي شمالي زحلة والمعلقة وقد أصبحت هذه الثلاث بلدة واحدة .

(٢) حمارا قرية في البقاع تابعة لمديرية قب إلياس (قاموس لبنان) وترسم حمارة أيضاً .

(٣) المراد بالميدان هنا ميدان المرجة وهو المكان الواقع شرقي التكية والمدرسة السليمانية وتشمل بقعته دائرة الشرطة وقصر الحكومة اليوم وهذا الميدان هو أحد ميادين أربعة بدمشق .
والميدان الثاني ميدان ابن تابك وتشمل بقعته الملعب البلدي ومديرية الآثار العامة وابن تابك هذا (أتابك) هو نور الدين محمود بن الأتابك زنكي .
والميدان الثالث ميدان الشرف الأعلى وهو يشمل الأمكنة التي تحت مدرسة التجهيز الأولى حديقة الأمة ، وفي ذلك يقول مجير الدين محمد بن تميم :

عجباً لميداني دمشق وقد غدا ... كل له شرف إليه يؤول
والنهر بينهما لغير جناية ... سيف على طول المدى مسلول

والميدان الرابع هو ميدان الحصى وهو الذي يقوم فيه الآن مسجد مصلى العبدين ، ويسمى في عصرنا باب المصلى .

دار السعادة ، وسار سيرة حسنة في النـاس وكان محبـاً للفقراء يزور الزوايـا وفيـه عدل وخير .

[جلبان المؤيدي]

٥٨

ثم ولي النيابة بدمشق بعـده الأمير جلبـان المؤيـدي نـائب حلب وحضر إلى دمشق يوم الثلاثـاء حـادي عشر جمادى الآخرة سنـة ثلاث وأربعين ، فنزل بـدار السعـادة ، وقرأ تقليـده القـاضي شهـاب الـدين بن قـاضي عجلـون كاتب السر الشريف ، ثم عزل القاضي شهاب الدين المذكور ، وولي بعده كتابة السر الشريف القاضي صلاح الدين خليل بن السابق الحموي ، وحضر من حماة إلى دمشق وبـاشر ذلك ، وتوجه الكافل المذكور إلى الديار المصرية ويعود إلى كفالته مكرمـاً ، وفي كل مرة يخرج السلطان للقاه ، وينزل عن مركوبـه للسلام عليـه ، ويفيض عليـه التشـاريف ، ويقـدم لـه المركوب الشريف بـالبـاس الـذهب ، ويركب عن يمين السلطان انتهى .

قلت :

كان السلطان الظاهر جقمق فإنه تولى في سـابع عشر ربيع الأول سنـة اثنين وأربعين وثمانمائة ، وتوعك في محرم سنـة سبع وخمسين ، ونزل لولـده عثمان ومـات في ثالث صفر منهـا ، ثم تولى بعـده الملـك المنصور عثمان ثم خلعـه إينـال الأجرود وتولى عوضـه في يـوم الاثنين خـامس ربيـع الأول سنـة سبـع وخمسين انتهى والله أعلم .

ثم قال :

ثم إن نائب الشام يعني الأمير جلبان المؤيدي بعد عوده من المرة الرابعـة من مصر ضعف وطالت ضعفته / فأدركه هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، ومـات في (ص ١٣)

ليلة الثلاثاء عند أذان المغرب سابع عشر صفر سنة تسع وخمسين وثمانمائة ، ودفن بكرة نهار الثلاثاء بالتربة التي أنشأها شاذي بك الدوادار بمدرسته بالقنوات[1] وقد ناهز الثمانين عاماً وخلف أربعة أولاد ذكوراً وأموالاً صامتة وناطقة لا تكاد تحصر وطال به الألم وجهز المخلف عنه إلى مصر وجلبان المذكور ابن ناس لم يمسه رق أصله من بهسنا وله بها أقارب لم يتعرف بهم ، انتقلت به الأحوال إلى أن صار نائب الشام ، وولي نيابة حماة ، استمر بها نحو خمس عشرة سنة ، ثم نقل منها إلى نيابة طرابلس ، ثم إلى حلب ، ثم إلى الشام سامحه الله سار بدمشق سيرة حسنة ، وكان فيه طمع وقلة حرمة .

[قانباي الحمزاوي]

٥٩

ثم ولي بعده نيابة دمشق الأمير قانباي الحمزاوي نائب حلب وحضر منها إلى دمشق فدخلها في يوم الخميس خامس عشر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وقد ألبس تشريفه ، فلما وصل تحت القلعة سير على العادة ثم قصد دار السعادة .

[العادة التقليدية للنواب]

فلما وصل إلى باب السر[2] فتح له ووضعت له أوائل دهليز الخشب المعلق

---

(١) هو شاذ بك الجلباني توفي سنة (٨٨٧) ودفن بمدرسته وهي مدرسة مملوكية على هيئة القاعات تحتفظ بوضعها الأصلي لاتزال بالقنوات وقد صحفت العامة اسمها فسموها بالشابكلية وهذه المدرسة لم يذكرها النعيمي في تنبيهه ولا العلموي في مختصره .

(٢) باب السر هو الباب الذي في سوق الخجا وهو الباب الرسمي للقلعة في عصرنا ، وسمي باب السر لكون أهل القلعة يخرجون منه سراً ويدخلون سراً وأمام الباب جسر من خشب تحته الخندق الدائر بالقلعة ينيف عمقه على مئة ذراع يتخزن به الماء وينبت فيه البوص وغير ذلك .

واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولّى نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب

على الخندق فنزل ودخله وصلى خلفه على الخشب التي هي أوائل الجسر الآخـذ إلى داخل القلعة ركعتين بحضرة الدولة وأهل القلعة ، ثم عـاد وخرج منـه . وركب ، ودخل دار السعادة ونزل بهـا على العـادة ، وكان لـدخولـه يوم مشهود ، وشرع في إقامة ناموس المملكة ، وقرئ تقليده بـدار العـدل الشريف[1] ، واحترق في أيـامـه أسواق دمشق ، وتوفي بعد الظهر يوم الأربعـاء ثـاني شهر ربيع الآخر سنـة ثلاث وستين فكانت مدته أربع سنين إلا أياماً وقد ناهز الثانين عاماً ودفن بمدرسة تغري

ركعتين مستقبلاً القبلة بحيث يبقى الباب على يساره ويقف أجناد القلعـة وأربـاب الوظـائف والأتراك في منازلهم على حسب العادة متحملين السلاح إلى أن يفرغ من صلاته ودعـائـه فـإن أريد به شر قبض عليه ودخلوا به من ذلك البـاب ويرفعون الجسر بينهم وبين أعوانـه ، فـإن الجسر بلوالب يحول بينهم وبين أعوانه .

وإن أريـد بـه خير ركب في عزه ووجوه الـدولـة في خـدمتـه إلى أن ينزل بـدار السعـادة (نزهة الأنام ص ٢٧) .

(١) أول من بنى هذه الدار لكشف الظلامات وسماها دار العدل (نور الدين الشهيد) وسبب ذلـك أنه لما ملك دمشق وأقام فيها مع أمرائه وفيهم أسد الدين شيركوه ـ وكان بمثابة مارشال دولة ـ تعدى بعض الأمراء على جيرانهم فكثرت الشكاوى إلى القاضي كمال الـدين الشهرزوري فـأنصف بعضهم من بعض ولم يقـدر على الإنصـاف من جمـاعـة الأمير شيركوه (وهـو عم صـلاح الـدين الأيوبي ومدربه) لأنه كان أكبر أمراء الدولة فبلغ ذلـك نور الـدين فـأمر ببنـاء دار العـدل . فلمـا سمع شيركوه قـال لنوابـه مـابنى نور الـدين هـذه الـدار إلا بسببي ، وإلا فمن يمتنع على القاضي كمال الدين ؟ والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبنـه ، فـامضوا إلى كل من بينكم وبينه شيء فافصلوا الحال معه وأرضوه ، ولو أتى على جميع مافي أيـديكم ، فقـالوا له إن النـاس إذا علموا هـذا اشتطوا في الطلب ، فقـال خروج أملاكي عن يـدي أسهل من أن يراني نور الدين بعينه إني ظالم ، أو يساوي بيني وبين آحاد الناس في الحكومة .

وفي العهـد المملـوكي أضيفت هـذه الـدار إلى دار السعـادة وأصبحت دار العـدل مركـزاً للحكومة يجلس فيها النائب وأركان الحكومة لبحث الأمور المعقدة وإدارة البلاد ومحاكمة كبـار الموظفين .

ورمش[1] تحت قلعة دمشق وسار سيرة خشنة في الناس : ظلم وتعسف وتطلع إلى أموال الرعية وأباد أهل البلاد وأهلك العباد ، خلف أموالاً جمة من جملتها أربع مئة فرس من أجاويد الخيل وخمسمائة شاش وأربعمائة سيف مسقطة بذهب وفضة جهز ذلك جميعه إلى القاهرة .

[جانم الجركسي]

٦٠

ثم ولي بعده نيابة الشام الأمير جانم الجركسي أخو السلطان الأشرف برسباي يعني لأمه ، وكان نائباً بحلب ، فحضر إلى دمشق يوم السبت ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين ونزل بدار السعادة وقرئ تقليده بها .

وكان المشار إليه ببلاد الجركس فحضر إلى هذه المملكة في أواخر أيام أخيه ، ووصل إلى حماة لابساً طرطوراً زي بلاده ، فقامت عليه الخلق على أن يلبس شاشاً زي المسلمين فأبى ، ولا زالوا به إلى أن لبس شاشاً بحماة ، ثم دخل دمشق وقد خرج النائب والعساكر للتقاه إلى قارا[2] وهو كهل ولمته محلوقة أول ماطلع شعرها ولما وصل إلى مصر أكرمه أخوه وجعله مقدم ألف وأقام له بركاً[3] وصار من جملة الأمراء .

وهذا آخر ما وجد بخط الشمس الزملكاني

---

(١) ذكرها النعيمي في قسم الترب فقال : التربة التغري ورمشية قبلي جامع يلبغا على حافة بردى ، والظاهر أنها كانت مدرسة وتربة فاقتطعت دائرة الأوقاف قسم التربة وبنتها دائرة لها . أما المدرسة فكانت على هيئة القاعات مثل الجقمقية والشاذبكية وقد أصابها حريق سنة ١٣٤٧ الموافقة لسنة ١٩٢٨ الميلادية إذ خرجت النار من سينما تحت دائرة الأوقاف فاحترق جميع تلك الجهات وجميع سوق السنجقدار وكانت كارثة عظية .

(٢) قارا بليدة على طريق حمص تابعة لمحافظة دمشق تبعد عنها ٩٥ كيلو متراً وعن حمص ٧٥ كم .

(٣) البرك : المتاع الخاص من ثياب وقماش .

الذيل

[سنة ٨٦٥]

ومن هنا نشرع في الذيل عليه فنقول :

فلما تسلطن الأشرف إينال الأجرود انضم إليه الأشرفية فقرره في نيابة حلب ، فتوجه من مصر إليها ، وكان نائب طرابلس يشبك النوروزي قد أمسك واعتقل ، واستقر نائب حماة الحاج إينال في نيابة طرابلس مكانه فلما مات نائب الشام قانباي الحمزاوي قامت الأشرفية حملة وطلبوا لجانم المذكور نيابة الشام ، فما وسع السلطان إلا توليته فيها فتوجه إليها ، واستقر عوضه بحلب نائب طرابلس الحاج إينال ، واستقر في طرابلس عوضه أياس الطويل نائب حماة ، وبحماة جاني بك نائب صفد ، وبصفد نائب غزة ، وبغزة بردبك دوادار سودون من عبد الرحمن .

واستمر جانم المذكور في نيابة الشام إلى أن توفي الملك الأشرف إينال وتولى ولده الملك المؤيد أحمد وورد عليه خاصكي بإعلامه بوفاة السلطان وتوليته ولده المؤيد المذكور / في سابع عشري جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمانمائة ، وبأن (ص ١٤)
يحلف له مع أمراء دمشق فحلفوا بحضرة القضاة بدار العدل ثم في شعبان من سنة (خمس)[1] وستين المذكورة شرع جانم المذكورة في استخراج درهم الدورة من جميع بلاد الشام وفرضها عليهم ثلاثين ألف دينار غير التساخير والكلف مع وقوف حال الرعية فكاد غالبهم أن يهلك .

---

(١) زيادة خمس اقتبسناها من المقام والظاهر أنها سبق قلم من المؤلف وقد دل على هذه الزيادة أيضاً واو العطف قبل قوله : ستين .

وفي أوائل شهر رمضان منها كاتب الحاجب الكبير جاني بك البرسبائي إلى مصر بعصيان جانم المذكور وأن قصده الخروج عن كفالته على السلطان الملك المؤيد المذكور ، فلما بلغ السلطان ذلك وكان على أواخر أيامه رسم بالركوب على جانم المذكور .

فلما كانت ليلة الثلاثاء رابع عشر رمضان خسف القمر واستمر أسود أربع ساعات ثم بكرة اليوم المذكور اجتمع الحاجب المذكور والأمراء بالقلعة ، واجتمع السواد الأعظم بباب النصر ، وكان جانم المذكور راكباً ، فلما عاد من ركوبه ورأى الناس فأخبر بأن الأمراء بالقلعة ، وذكروا قد عصيت على السلطان ، فدخل دار السعادة وأرسل إلى القضاة وأخبرهم بما قيل له ، وشرع يستشير قاضي الشافعية بدمشق يومئذٍ ولي الدين البلقيني ، فلم يشعر إلا وقد أمر سودون اليشبكي نائب القلعة يومئذٍ بالرمي عليه وهو بدار السعادة ، والبلقيني المذكور عنده بها ، فخرج البلقيني من نقب نقب له في الجدار الغربي منها قبالى المدرسة العذراوية[1] ثم خرج جانم المذكور لابساً بشتا مخططاً كالحرير القاضياني وحريمه قدامه ، وليس على غالبهم ماتعمه السترة ، ثم أخذ بهم قبلة ومر على الاخصاصية[2] ثم دخل من الزقاق الذي بآخرها خلف جامع الطواشي ثم مر بهم في سوق حكر السماق[3] ثم على القنوات حتى أوصل حريمه إلى بيت الأمير

(١) المدرسة العذراوية منسوبة إلى عذرا بنت شاهنشاه بن أيوب ، وصلاح الدين هو عمها أخو أبيها توفيت عذرا سنة (٩٥٣) وهذه المدرسة أصبحت محلات تجارية وهي على مقربة من جامع الأحمدية بسوق الحميدية انظر مكانها في مخطط دمشق القديمة رقم (٥٠) وانظر إلى جانبها دار السعادة .

(٢) الإخصاصية هي محلة الدرويشية وجامع درويش باشا بني في محلة الإخصاصية ثم تغلب اسم الدرويشية على اسم الإخصاصية .

(٣) حكر السماق حده من طريق جامع تنكز إلى مقابر الصوفية (المستشفى الوطني ودار التوليد) إلى الطريق الثاني الذي به القنوات إلى الطريق الآخذ إلى مدرسة شاذي بك (النعيمي ١٢٠/٢ ، العلموي ١٣٢) .

إبراهيم بن منجك بالمنيبع[1] فحصل للناس عليه وعليهم الحزن الشديد ثم عاد على مقابر الصوفية ونزل القصر الأبلق والميدان وقد تعلقت النار من السهام الخطائية[2] في دار السعادة وبها وبالاسطبل جميع أثاثه وأثاث النساء فهجم الغوغاء على دار السعادة والاصطبل فنهبوا ذلك كله وكل منهم يقول أنا أحق من النار ، ثم صارت دار السعادة خربة في يوم واحد ، ثم في تلك الليلة توجه جانم المذكور من القصر فنزل داريا ، ثم في يوم الثلاثاء المذكور توجه إلى مصر بولده الأمير يحي فوصل إلى الخانقاه بسرياقوس[3] يوم تاسع عشر رمضان المذكور .

---

(١) المنيبع محلة وسويقة (تصغير سوق) وحمام وأفران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس ، ونهر القنوات على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة ، وبها ألواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة خلاوي للطلبة ، وبجوارها دار الأمير الأصيل ابن منجك وهذه المحلة من محاسن دمشق وشرفها (نزهة الأنام ص ٧٦) وقد خربت هذه المحلة ولم يبق لها أثر منذ القرن العاشر الهجري ، ثم بعد ذلك أنشئت فيها ثكنة الحميدية التي تحولت في عصرنا إلى الجامعة السورية .

(٢) السهام الخطائية هي سهام تعلق في رؤوسها مواد متفجرة محرقة . والظاهر أن استعمالها هو مبدأ استعمال البارود ، وانظر ابن فضل الله العمري حين يصفها فيقول : ولا يفرق الأعداء ويحرقهم إلا رعدها المجلجل وبرقها (التعريف بالمصطلح الشريف ٢٠٨) والخطا جيل من الترك القريبين من بلاد الصين ومن هنا جاءت فكرة أخذ العرب استعمال البارود عن الصين .

وهي تماثل قنبلة البازوكا في عصرنا وكانت الخطائية من جملة المماليك المشتروات ففي النجوم الزاهرة (٣٢٠/٦) سنة (٦٣٨) أن الملك الصالح نجم الدين أيوب أقبل على شراء المماليك الترك والخطائية .

ومساكن الخطا تطلق على القسم الشمالي من الصين أي منغولستان والجهة الشرقية من تركستان .

(٣) سرياقوس من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية واقعة على الشاطئ الشرقي لترعة الإسماعيلية في شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلو متراً منها (النجوم الزاهرة ٧٩/٩) .

وفي ذلك اليوم عزل السلطان الملك المؤيد المذكور وتولى مكانه أتابك العساكر خشقدم الرومي ولقب بالظاهر ، وكان يحي ولد جانم المذكور قد سبق والده ليعلم المصريين بوصول والده وبما اتفق له في دمشق ، فوجد الأتابك المذكور قد تسلطن .

فلما علم السلطان بوصوله خاف التزلزل فجهز له ما يكفيه ، وأمره بالإقامة بسرياقوس وأرضاه بكل ما يمكن ، وأنه مقيم على نيابة الشام ، ثم رسم له بالعود ، فامتثل لئلا يصدق المصريون فيه ما كاتب به عدوه الحاجب جاني بك المذكور ، ولأن يأخذ حقه ممن ظلمه بدمشق ، فرحل من سرياقوس إلى بلبيس فأقام بها ثلاثة أيام ثم سافر إلى دمشق ، فلما جاوز قطيا[1] أذن حينئذٍ السلطان الظاهر خشقدم المذكور للخليفة والقضاة والمباشرين بالنزول من القلعة إلى المدينة فنزلوا .

وفي يوم السبت مستهل ذي قعدة سنة خمس وستين وصل نائب الشام جانم المذكور راجعاً إلى دمشق على أحسن حال من الخلع والخيل والذهب ودار السعادة
(ص ١٥) يومئذٍ خراب ، فنزل بدار عدوه الحاجب جاني بك / غربي سوق صاروجا[2] وغربي مقبرة النخلة جوار المسجد لضيق المقبرة وقد هرب منه صاحبها جاني بك المذكور إلى حماة ، فأظهر جانم نائب الشام المذكور التقرب والتواضع للعوام ، فردوا عليه من ماله الذي نهبه الغوغاء شيئاً كثيراً ونعاون بعضهم على بعض ولم

---

(١) قال ياقوت : هي قرية في طريق مصر إلى الشام في وسط الرمل قرب الفرما .
وهي منزلة معروفة في شرقي قناة السويس اشتهرت أخيراً بمعركة كبرى وقعت بين الجيش الإنكليزي والجيش التركي في الحرب العامة الأولى .

(٢) صاروجا هو الأمير صارم الدين صاروجا المظفري أحد الأمراء الناصرية ، كان أميراً بصفد ثم بدمشق وكان خير الطباع سليم الصدر ، وهو من أنصار الأمير تنكز . اعتقل لما قبض على تنكز فكحل فعمي ومات في أواخر سنة (٧٤٣) (الدرر الكامنة ١٩٨/٢) وهو الذي أنشأ سويقة صاروجا فنسبت هذه المحلة إليه .

يـؤذ أحـداً منهم ، ثم شرع يطلب مقـدمي البـلاد ويرسم عليهم ، وطلب منهم أضعاف ما كان يأخذه منهم قبل ذلـك ، هـذا كلـه مع خراب البلاد بسبب فتنتـه المتقدم ذكرها .

وفي أواخر ذي الحجة منها توجه خازنداره إلى البقاع وما جاورهـا من البلاد وأجحف على أهلهـا حتى عـاين بعضهم الهـلاك زيـادة على مـابهم من قلـة المغـل وغلائه وكثرة الغرامات والفتن .

ثم لمـا تمكن السلطـان خشقـدم المـذكـور في السلطنـة أرسـل مرسـومـه مـع الخـاصكي[1] الأمير تنم رصـاص وصحبـه خير بـك نـائب غزة إلى سـودون اليشبكي نائب قلعة دمشق المتقدم ذكره بالرمي على جانم نائب الشام ثانيـاً وإخراجـه من بيت الحاجب المـذكور بل وإخراجـه من دمشق ، فرمى عليـه من فوق طـارمـة القلعـة فخرج على حميـة وسـافر إلى أن وصل إلى مكان بين آمـد والرهـا[2] فلحقـه فداوي فضربه فمات منها سنة ست وستين .

وكان لما كان بدمشق نائباً أمر ببناء تربة لـه غربي آخر مقبرة الصوفيـة شمالي زاوية الهنود قبلي القرمانية .

[تنم المحتسب]

٦١

ثم تولى نيابة الشام بعد جانم المذكور الأمير تنم المحتسب الظـاهري أمير مجلس كان بمصر ودخل دمشق فكان سيئ التدبير مسرفاً على نفسه مع شيخوخته وسمته ، وآذى جماعة من العلماء ، وكان في الموكب السلطاني تضرب الطنبورة بين يديـه ، فلم تطل مدته .

---

(١) انظر ص ٤٠

(٢) من بلدان الجمهورية التركية فآمد اسمها اليوم ديار بكر ، والرها أورفة .

وتوفي ليلة الأربعاء ثالث عشري جمادى الأولى سنـة ثمـان وستين ودفن غربي مقبرة الصوفية بقبة لصيق القبـة التي بنـاهـا جـانم تربـة لنفسـه ووصل سيفـه إلى القاهرة في سلخ الشهر المذكور ، ورسم لنائب حلب جاني بك التـاجي بـاستقراره في نيابة الشام .

وفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة منها وصل إلى القاهرة أيضـاً سيف جانبـك التـاجي المـذكور مـات قبل أن يخرج من حلب فـاستقر نـائب طرابلس برسباي في نيابة الشام واستقر جانبك النـاصري نـائب حمـاة في نيـابـة طرابلس ، واستقر الأمير بلاط نائب صفد في نيابة حماة ، واستقر الأمير يشبـك بـاش قلق[1] المؤيدي أحد الألوف بـدمشق في نيـابـة صفـد وأنعم بـإقطـاعـه على خشـداشـه[2] شرامنت العثماني المؤيدي دوادار السلطان بدمشق .

[برسباي البجاسي]

٦٢

ثم دخـل الأمير بربسبـاي ويعرف بـالبجـاسي زوج بنت السلطـان الظـاهر اينال الأجرود إلى دمشق فكان لا بأس بسيرته غير أنه قـد غلب أمر زوجتـه عليـه وقهرته ، وكان غالب أوقاته ينفرد عنهـا بـالاصطبل غربي دار السعـادة وهي بهـا كالمطلقة .

---

(١) يشبك باش قلق المؤيدي ، معنـاه ثلاثـة آذان مـات بعـد عوده من تجريـدة سوار سنـة اثنين وسبعين (الضوء اللامع ١٠ / ٢٧٥) .

(٢) الخشداش : فارسي معرب معناه ٠ الزميل في الخدمة والخشداشية الأمراء الـذين نشـأوا ممـاليـك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة وكان لهذه الرابطة أثر ظاهر في حوادث المماليـك ، ويرجع هذا الأثر إلى قلة الروابط بين المماليك فكانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة وليس بينهم رابطـة سوى مـا يحـدث لأحـدهم من أمور وشؤون مثـل أن ينشـأ عـدد منهم عنـد سيـد واحد .

واستمر نائباً إلى أن توفي بعد عشاء الآخرة ليلة الأربعاء عشري صفر سنة إحدى وسبعين ، ودفن بزاوية القلندرية بمقابر باب الصغير بالقرب من نائب الشام جراقطلي .

[بردبك الظاهري]

٦٣

وفي يوم الاثنين ثاني عشري صفر المذكور وصل الخبر[١] بوفاته إلى القاهرة فرسم السلطان بنقل نائب حلب بردبك الظاهري المشهور بالأقرع البجمقدار إلى دمشق عوضه ، وأنعم على نانق بتسفيره ، واستقر الأمير يشبك البجاسي نائب حماة في نيابة حلب عوض الأمير بردبك .

ودخل دمشق الأمير بردبك يوم الخميس خامس شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وكان فيه دين وحسن اعتقاد ، وأخرج / الكراسي التي كانت ضيقت (ص ١٦)
الجامع الأموي وأظلم ضوؤه بسببها ، ومنع المشي فيه بالنعال ، ومنع النساء دخوله وكان بنفسه ومماليكه يغسل أرضية الجامع ، وجدد فيه عمارة أشياء ، وجدد عمارة مسجد الرأس داخل باب الفراديس[٢] ، وهم بعمارة الكثيب الأحمر

---

(١) وصل الخبر من دمشق إلى القاهرة بعد يومين بواسطة الحمام الزاجل .

(٢) مسجد الرأس داخل باب الفراديس (في حي العمارة) ويدعى أيضاً مشهد الحسين وهو المعروف في عصرنا بالسيدة رقية (انظر الإشارات طبع المطبعة العلمية ص ٦) ولما استولى التتر على ميافارقين سنة (٦٥٨) قطعوا رأس ملكها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل باني مدرسه العادليه بدمشق وحملوا الرأس على رمح وطافوا به البلاد فمروا على حلب وحماة ووصلوا إلى دمشق ووضعوا الرأس فى شبكة وعلقوها على باب الفرادبس ولما انهزم التتر دفن فى مسهد الرأس هدا وفى ذلك يقول أبو شامة :

اس عارى عزا وجاهد فوما   أثخنوا في العراق والمترقين
طاهرا عالما ومات شهيداً   بعد صبر علبهم عامين

شرقي مسجد القدم[1] ، وبنا له سوراً ورتب له قنديلاً برأس خشبته طويلة يصعد فيها بدرج فيه مسمرة ، وله غير ذلك من وجوه الخير وكان أصلح نياب الشام لم تزل السبحة بيده ويخفيها في يده في مكتومته حتى في الموكب ، ويجهر كثيراً بقوله : ياعزيز بالله .

ثم عزل من نيابة الشام بسبب ماقيل عنه أنه يميل إلى عدم قتال سوار الغادري[2] .

لم يشنه إذ طيف بالرأس منه   فله أسوة برأس الحسين
وافق السبط في الشهادة والحمل   لقد حاز أجره مرتين
جمع الله حسن دين الشهيدين   على قبح ذينك الفعلين
ثم واروا في مشهد الرأس ذلك   الرأس فاستعجبوا من الحالين
وارتجوا أنه سيحيي لدى البعث   رفيق الحسين في الحسنيين

ولا يزال في مشهد الرأس (مشهد السيدة رقية) حجر تذكاري نقش عليه خبر هذه الحادثة وتاريخها وانظر أيضاً ذيل الروضتين لأبي شامة ص (٢٠٥) .

(١) الكثيب الأحمر مكان يقصد للزيارة لا يزال معروفاً إلى الآن . قال ابن الحوراني : والمشهور في دمشق أن قبر موسى عليه السلام بدمشق قاله الربعي في مصنفه ، والمشهور في دمشق أن قبر موسى عليه السلام بالكثيب الأحمر بقرب قرية من دمشق يقال لها مسجد القدم وهو معروف مشهور . وللحافظ الشمس ابن طولون في ذلك جزء لطيف نحو كراسة جمع فيها أقوال العلماء سماه : تحفة الحبيب بأخبار الكثيب ، واعتمد فيه أن موسى الكليم عليه السلام بهذا الكثيب المذكور . انظر الإشارات (ص ١٧) ، رحلة ابن جبير طبع القاهرة سنة (١٣٢٦) ص (٢٦٢) ، رحلة ابن بطوطة مطبعة وادى النيل ص (٥٨) .
والظاهر أن الكثيب الأحمر عبارة عن أنقاض بناء قديم مبني بالآجر (اللبن المشوي) ولذلك سمي الكثيب الأحمر لوجود الآجر الأحمر فيه .

(٢) كانت كليكيا في العصر المملوكي من توابع سوريا ومضافاتها ، وكانت تحكمها أسرة يقال لها الدلغادرية لها شبه استقلال يعين أمراءها ملك القاهرة ، ويقيم الأمير الحاكم لها ببلدة أبلستان . ففي سنة (٨٧٠) كان أميرها سيف الدين ملك أصلان بن سليمان بن ناصر الدين بك دلغادر ، وبيما كان في صلاة الجمعة وثب عليه فداوي في الجامع وضربه بسكين فقتله

[أزبك]

٦٤

وفي بكرة يوم الاثنين سادس عشري ربيع الأول سنة اثنين وسبعين أنعم السلطان الجديد الملك الظاهر يلباي بنيابة الشام على الأمير أزبك رأس نوبة النوب عوضاً عن خشداشه بردبك المذكور ، فذهب بردبك بطالاً إلى القاهرة .

وقتل الفداوي في الحال وقد حامت الظنون في هذا الحادث حول سلطان القاهرة الظاهر خشقدم الذي ظن أنه أرسل الفداوي . وأحضر سيف الأمير المغدور إلى القاهرة وأخبر السلطان بالحادث فعين بدله أخاه « شاه بصع » نائباً على تلك الجهات .

وقام أخ ثان للأمير المغدور هو « شاه سوار » فطالب بالإمارة واتهم سلطان القاهرة باغتيال أخيه ، واستعان بالسلطان محمد الفاتح العثماني . فانقسمت هذه الإمارة إلى قسمين : قسم مع شاه بضع الذي أصبح حاكماً على مرعش ، وقسم مع الأمير شاه سوار الذي استولى على أبلستان .

وقام شاه سوار بإعلان العصيان على الدولة المملوكية واتسعت أرجاء حكومته ، وقد دامت حروبه مع المماليك خمس سنين أصلاهم فيها ناراً حامية وأخيراً حشدت الدولة المملوكية أكبر حشد حربي يمكنها ، وجعلت أمير هذه الحملة يشبك الدوادار فخرج من القاهرة في موكب هائل حتى وصل دمشق فانضم إليه نائبها الأمير برقوق ثم سارت الحملة إلى حمص فحماة فحلب وقد انضم إليها نواب هذه البلاد مع جيوشها حتى وصلوا إلى البلاد الدلغادرية ووقعت بينهم وبين الدلغادرية معارك ليست بذات بال . واعتصم الأمير شاه سوار بقلعة (زمنطو = ضمانتي = سمندو) فحاصروه فيها ثم نزل إليهم بالأمان فقبض عليه نائب دمشق برقوق ثم قُيد وأرسل إلى القاهرة فأعدم مكلباً بكلاليب من حديد في لوحي كتفيه على باب زويلة يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة (٨٧٧) ولكن هذه الثورة لم تخمد فقد قام أخ له يسمى (علي دولات = علاء الدولة) يسعر الحرب على الدولة المملوكية يعضده السلطان العثماني (أبو يزيد = بايزيد) حتى أيام السلطان سليم فأسعر الحرب عليه بعد أن صالح المماليك فأرسل عليه السلطان سليم حملة أبادته وشتت شمل أسرته . ومن سلالة هذه الأسرة بنو الغادري في حلب ومنهم صحفيون وأدباء وموظفون . (انظر تفصيلات واسعة عن هذه الإمارة وحروبها مع حكومة القاهرة في كتاب « سفرة يشبك الدوادار » المعد للنشر) .

وفي ربيع الآخر منها وصل إلى خارج القاهرة فعلم السلطان بذلك فرسم له بالتوجه إلى القدس بطالاً من غير قيد ، فسار إليه في ثامن عشر ربيع الآخر واستقر مكان أزبك المذكور في رأس نوبة النوب الأمير قايتباي .

وقصد السلطان الجديد بتولية يزبك بعده عنه خوفاً منه فدخل إلى محل توليته دمشق في سابع عشري جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وسار سيرة حسنة بحشمة وافرة .

ثم عزل في يوم الخميس ثامن المحرم سنة ثلاث وسبعين بمرسوم السلطان فتوجه إلى القاهرة .

وفي يوم الخميس عشري المحرم المذكور وصل إليها وطلع للخدمة واستقر في الآتابكية عوضاً عن الأمير جانبك قلقسيس .

وفي رمضان سنة ثلاث وسبعين المذكورة دخل إلى قلعة دمشق وهو باش العسكر المصري وصحبته جماعة من أمراء مصر منهم قرقماس الجلب قاصدين البلاد الشمالية لقتال سوار .

[بردبك الظاهري مرة ثانية]

ثم تولى نيابة الشام مرة ثانية بردبك الظاهري المتقدم ذكره بشفاعة زوجته واستمر بها إلى أن دس عليه من سقاه وسقى جماعة من حاشيته .

ومات بكرة يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم سنة خمس وسبعين وتأسف الناس

عليه وكثر حزنهم ، ودفنته زوجته برواق تربة قرابتها منكلي بغا[1] غربي جامع كريم الدين بالقبيبات ، وأقامت بها بعد خروجها من دار السعادة مدة .

[برقوق الظاهري]

٦٥

ثم تولى نيابة الشام الأمير برقوق الظاهري الكوسج بمصر يوم الخميس خامس عشري صفر سنة خمس وسبعين عوضاً عن خُشداشه بردبك المذكور ودخل متسلمه الأمير على بيه إلى دمشق في سابع عشري شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين المذكورة .

وخرج برقوق من مصر إلى كفالته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر منها ، وفي سابع جمادى الأولى منها وصل إلى دمشق ودخلها مدخلاً حافلاً بحرمة زائدة ، واستمر كذلك سيما في المواكب لم يرد بعد قانباي الحمزاوي مثله في ذلك ، وكان سفاكاً للدماء ، قتل جماعة من الأكابر قتلاً شنيعاً .

وفي رابع ذي القعدة سنة خمس المذكورة سافر من دمشق لقتال الأمير سوار بك الغادري فغدر به وقبضه ودخل به دمشق مدخلاً حافلاً في ثالث عشر صفر سنة سبع وسبعين / . (ص ٧

واستمر برقوق المذكور في نيابة دمشق في عز وحرمة باسطة ، وبنى بأعلا جبل قاسيون قبة سماها قبة النصر على سوار[2] قيل إنه وجد موضعها ذهباً كثيراً مدفوناً .

---

(١) ذكر السخاوي في الضوء اللامع اثنين ممن اسمه : منكلي بغا وليس في ترجمتها ما يدل على أن لهما آثاراً بدمشق ، وغربي جامع كريم الدين بناية مملوكية جميلة تدعى بالرشيدية وهو اسم محدث لها وعليها سطر من الخط الجميل ، وما يتعلق باسم بانيها مستور بالبناء الذي أمامها

(٢) قبة النصر تقدم ص (٨٧) الكلام على سوار وأن برقوق نائب دمشق ألقي القبض عليه وأرسل إلى القاهرة فأعدم بها في سنة (٨٧٧) وفي هذه السنة شيد نائب دمشق برقوق المذكور قبة تذكارية على أعلى جبل قاسيون فوق الصالحية سماها قبة النصر على سوار وقد بقيت هذه

ثم في خامس عشر رجب منها سافر من دمشق لقتال حسن باك[1] صحبة العساكر المصرية وقد فاق عليهم في الخيولية وسماع الكلمة وبسط الحرمة فدس عليه السم في عنب أكله فسقطت مخاشمه ومات في سفره المذكور عند سيدي فارس في ثاني عشر شوال سنة سبع وسبعين المذكورة فاهتم له جماعة فصبروه وحملوه إلى مصر مصبراً ، ودفن بالصوة بالقاهرة[2] قريب الرميلة ، وقيل إن ذلك بوصية منه .

القبة إلى سنة (١١٧٣ هـ) وسقطت في الزلزال الذي حدث في تلك السنة وبقي منها بقية إلى عصرنا وكان العوام يسمون هذه القبة كرسي الداية لأنها تشبه الكرسي الذي تجلس عليه المرأة وقت الوضع . ثم في سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م هدمت بقيتها لما دخلت جيوش الحلفاء دمشق خوفاً من أن يتخذها الأعداء علامة لضرب المواقع العسكرية .

(١) حسن باك هو « أوزون حسن = حسن الطويل » أشهر رجال حكومة آق قيونلو « الغنم الأبيض » وهي قبيلة تركمانية نزحت من تركستان زمن غزو التتر إلى آذربيجان ثم اتخذت (آمد = ديار بكر) عاصمة لها ثم توسعت فنقلت عاصمتها إلى تبريز وصاحبت تيمورلنك في حروبه وغزواته وحارب حكامها حكام مصر والشام ، والأتراك العثمانيين وانقرضت دولتهم سنة (٩٢٠) على يد الشاه إسماعيل الصفوي .

يعد حسن باك هذا من أشهر الفاتحين فقد قضى على الحكومة البارانية (قره قيونلو = الغنم الأسود) واستولى على العراق وإيران وقضى على الحكومة الأيوبية في حصن كيفا ولما استولى على سرير الملك (بآمد) نازعه أخواه : جهانكير ، وأويس على الملك فشتت شملهما وأغار على حدود الشام وعلى بلاد أررن الروم ، وأوتيك ، وبايرت ، ونرجان واستولى على بلاد ماوراء النهر وعلى سمرقند بعد أن قتل ملكها أبا سعيد حفيد تيمورلنك وأرسل رأسه إلى ملك القاهرة إرعاجاً له فأرسل إليه ملك القاهرة كتاباً يتوعده به ويهدده بعد أن كان يلين له وجرت بينه وبين ملك أصلان الدلغادري مناوشات حربية ، وغزا الكرج واختلف مع السلطان محمد الفاتح على بعض المدن فاشتبكا بحرب عنيفة اندحر فيها شر انحدار وقتل ولده فيها . ثم توفي سنة (٨٨٣) (راجع تفصيلات هامة عن حسن الطويل وعلاقاته مع حكومة مصر والشام ووصف بلاطه في تبريز في كتاب « سفرة يشبك الدوادار » الذى نعده للطبع) .

(٢) الصوة اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعي ويتوسطها الطريق المعروف بسكة المحجر ودرب المارستان تحت القلعة (تعليقات النجوم الزاهرة ١١/١٤٣) .

[جاني بك قلقسيس]

٦٦

ثم تولى نيابة الشام بعد موت برقوق المذكور الأمير جاني بك قلقسيس[١] الأشرفي الذي كان أمير سلاح بمصر وسافر باشا للعسكر المصري لقتال سوار بك الغادري الممسوك أول مرة ، ثم قبض عليه سوار المذكور مع جماعة ، ثم خلص ورجع إلى مصر .

ثم جهز وعين أيضاً في التجريدة إلى البلاد الشمالية ، فأنعم عليه بنيابة الشام وهو في السفرة المذكورة ، وأرسل متسلمه فدخل دمشق في عشري ذي حجة سنة سبع وسبعين المذكورة .

ثم وصل هو ودخل دمشق من طريق حلب يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين واستمر بها مكرماً عند السلطان إلى أن دخل السلطان دمشق أي قايتباي الذي تولى في سنة اثنين وسبعين في سادس رجبها عوضاً عن الظاهر تمربغا الذي توفي فيها في سابع جمادى الأولى منها راجعاً من زيارة سيدي إبراهيم بن أدهم في منتصف شعبان سنة اثنين وثمانين ، وخرج لتلقيه فرأى منه القبول التام واستمر كذلك .

ثم لما سافر السلطان من دمشق في عاشر رمضان منها ركب قدام السلطان في يوم شديد البرد والمطر والثلج وودعه ثم رجع إلى دمشق واستمر بها وفيه دين ولين .

ثم سافر إلى الخربة فتضعف بها ثم حمل في محفة ورجع إلى دمشق مريضاً قيل إنه سقي بالخربة .

---

(١) ترسم أيضاً . قلقسيز .

ثم توفي بدار السعادة بعد رجوعه منها بليلتين في ليلة الأربعاء ثالث عشري ذي حجة سنة ثلاث وثمانين ودفن بنربته التي أنشأها بأول مقابر باب الصغير قبلي باب الجابية شرقي تربة الأمير بهادر آص[1] يمنة الآخذ في الطريق التي تلي خندق سور دمشق رحمه الله تعالى .

[قانصوه اليحياوي]

٦٧

ثم تولى نيابة الشام بعد موت جاني بك المذكور الأمير قانصوه اليحياوي الظاهري نقلاً من نيابة حلب في سادس عشر شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين ودخل إلى دمشق يوم السبت سابع عشري شهر ربيع الآخر منها واستمر راكباً إلى أن نزل بجانب إيوان محكمة دار السعادة ، وقرأ تقليده نيابة عن قاضي الشافعية يومئذٍ قطب الدين الخيضري[2] لغيبته بمصر شيخنا برهان الدين بن المعتمد على كرسي تجاه المحراب بدار السعادة داخل الإيوان المذكور ، وكان تقليداً مهماً ، ثم نزل عن الكرسي وحلَّفه على طاعة السلطان بحضرة القضاة وأرباب الدولة ، واستمر في عزبها إلى أن سافر مع العساكر المصرية صحبة يشبك الدوادار الكبير

---

(١) قال النعيمي فى تنبيه الطالب (٢٢٧/٢) غربي مقبرة باب الصعير تجاه الخندق بجانب تربة أكز المخري وشمالي المزار المعروف بأوس قبلي الافريدونية وتجاه تربة الأمير فرج بن منجك دفن بها الأمير سيف الدين أبو محمد بهادر بن عبد الله المنصوري سنة (٧٣٠) .
أقول إنها الآن شمالي مقبرة باب الصغير وشمالي قبر أوس بن أوس الصحابي وقبلي تربة مصطفى لالا باشا الني هي الآن مدفن آل مردم بك ، والتربة التي دفن بها قلقسيس لايرال أسفلها باقياً إلى جانب قبة بهادر آص

(٢) القطب الخيضري هو أبو الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الخيضري الدمشقي صاحب دار القرآن الخيضرية بدمشق (الخضيرية) وبلغ من رفعة الشأن في الدولة مكاناً قلما بلغه غيره وله عدة مؤلفات . وتوفي سنة (٨٩٤) انظر الضوء اللامع (١١٧/٩) وتسيه الطالب (٧/١)

لقتال حسن باك فقبض عليه بياندر دوادار حسنباك المذكور بعد قتل يشبك المذكور بمدينة تبريز ، ثم أفلت من بياندر وسار / إلى حلب في رجب سنة ست (ص ١٨) وثمانين معزولاً عن نيابة الشام بسبب انحرافه عن يشبك المقتول .

[قجماس]

٦٨

وكان قجماس قد ولي نيابة الشام من نحو نصف سنة وكان قجماس نائب الإسكندرية ظاهريا اسحاقيا ، ودخل دمشق من مصر وصحبته كاتب السر الجديد نجم الدين بن الخيضري سلخ صفر سنة ست وثمانين ، وكان مدخلاً حافلاً .

وقبض على أتابك دمشق يومئذٍ شاذبك الجلباني بمرسوم شريف واعتقله بقاعة الخازندار بدار السعادة ، وأحاط على ماله ، قيل بسبب دخوله إلى دمشق راجعاً بعد أن انكسر من بياندر في سادس رمضان سنة خمس وثمانين وقُتل الدوادار بتبريز على هيئة المنصورين بطبل وزمر والله أعلم .

واستمر قجماس المذكور بدمشق في عز زائد وقبول كلمته عند السلطان من غير مراجعة .

وفي مستهل شعبان سنة ثمان وثمانين سار لقتال علي دولة[1] أخي سوار الغادري التركماني وهزم علياً المذكور وقتل منه جماعات ثم بعث إلى دمشق منهم عدة رؤوس مقطعة عن جثثها ، وكذا من جماعة أبي يزيد بن عثمان الذي أمده بهم ، ومع الرؤوس المذكورة عدة صناجق منكوسة من صناجق الفريقين ، وانتصر نصراً حسناً ثم رجع إلى دمشق ودخلها في مستهل سنة تسعين وزينت له دمشق يومئذٍ .

---

(١) علي دوله أخو سوار الغادري راجع التعليقة رقم (٢) ص (٨٦) .

ثم في سابع يوم منها أرسل إلى مصر أرمغانا[1] للسلطان وهو نحو تسعين مملوكاً كباراً ، ومثلها خيلاً خاصاً وغير ذلك ، وبسببه تجرأ غالب زعر دمشق والحرامية ووقع بينهم وقعات .

وفي أيامه فكت بيوت الأمراء بدمشق كبيت الحاج إينال بحارة القصر وغيرها .

وفي مستهل شهر ربيع الآخر من سنة تسعين المذكورة أخرج الأمير بداغا أخا سوار بك التركماني[2] من حبسه بقلعة دمشق بغير إذن من السلطان لما يعلم من منزلته عنده وأخذه معه لقتال أخيه علي دولة ، ثم ندم وخشي العاقبة وأرجعه من المصطبة إلى حبسه بالقلعة ، وسار لقتال علي المذكور .

ثم رجع من سفره المذكور في أواخر شعبان منها .

وفي منتصف ذي قعدة سنة تسعين المذكورة شرع في عمارة تربة له ودار قرآن داخل باب[3] النصر جوار دار السعادة برأس الزقاق الآخذ إلى المدرسة العذراوية[4] وعمرت تلك المحلة الخراب .

---

(١) الأرمغان الهدية .

(٢) بداغ أخو سوار بك التركماني هكذا رسمه هنا ، وترسمه بعض المصادر بضاع ، بصع ، ورسمه القرماني بداق وكان معيناً نائباً على البستان مسالماً لحكومة مصر ولكن حكومة مصر اعتقلته احتياطاً خوفاً من هربه إلى أخيه شاه سوار بعد أن استفحل أمره .

(٣) تربة قجماس ودار قراءته : هذه المدرسة كانت في سوق الحبدبة غربي جامع الأحمدية (التكية الأحمدية سابقاً) وعلى مقربة من داري السعادة والعدل ، ومن المدرسة العذراوية ، وقد بقيت إلى شهر رجب سنة (١٣٦١) فهدمتها دائرة الأوقاف في هذا التاريخ ثم حولتها إلى عمارات . انظر مكانها في مخطط دمشق القديمة رقم (٤٩) .

(٤) العذراوية : مدرسة منسوبة إلى عذرا بنت شاهنشاه أخي صلاح الدين توفيت سنة (٥٩٣) ودفنت في مدرستها وقد أصبحت في عصرنا محلات تجارية انظر مخطط دمشق القديمة للدكتور صلاح الدين المنجد رقم (٥٠) .

وجدد الحمام الخراب بها قيل إنه من بناء نور الدين الشهيد .

ثم أن قجماس المذكور صادر دواداره الأمير أزبك وأخذ منه مالاً كثيراً ثم عزله .

ثم سار لقتال علي دولة وقتال أبي يزيد بن عثمان[١] أيضاً في منتصف ذي حجة سنة تسعين المذكورة .

وتولى نيابة الغيبة بدمشق دوادار السلطان بها جاني بك الطويل ، وفي هذه المرة قبض على صهر ابن عثمان وهو حسن بن هرسك[٢] .

---

(١) هو السلطان بايزيد أبو السلطان سليم وابن السلطان محمد الفاتح تولى الملك سنة (٨٨٧) وتوفي سنة (٩١٨) بعد أن نزل عن الملك لابنه السلطان سليم .

وقد جرت بينه وبين دولة المماليك حروب عديدة بسبب إيواء المماليك لأخيه الأمير جم الذي كان ينازعه الملك وقد زودته حكومة القاهرة بقوة لاسترداد الملك من أخيه بايزيد فكان سبب العداء بين الدولتين .

(٢) حسن بن هرسك . هكذا ورد اسمه هنا ، وفي بدائع الزهور لابن أياس (٢٣٤/٢) حوادث ربيع الأول سنة (٨٩١) : وفيه وصل دوادار نائب حلب وأخبر بصحة كسرة ابن عثمان والقبض على أحمد بك بن هرسك وجماعة من أمراء ابن عثمان وأعيانهم ، وقد أخذ العسكر المصري من النهب مالايحصى من خيول وسلاح وبرك وقماش وغير ذلك ، وأخذوا صناجقهم وكانوا نحواً من مئة وعشرين صنجقاً وقد قطعت عدة وافرة من رؤوس عسكر ابن عثمان وسيحضروا صحبة قنت الرجبي الساقي الخاصكي فسر السلطان لهذا الخبر .

وقد أنشئت في القاهرة على مقربة من المقطم بناية تذكارية لهذه الحادثة وكتب عليها مايلي : مما أنعم الله به على العبد الفقير الحقير ، تراب الأقدام يعقوب شاه المهمندار عمارة هذين الضريحين والقبتين في دولة المقام الشريف الخاقاني المعفوري الفريدوني تاج ملوك العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين ، الذي فاق أقرانه من الملوك بالعلم والعمل والفروسية ، أبو الفتوحات « السلطان قايتباي » منها جريان عين عرفة ، وعين بيت المقدس ، وعمارة مسجد الخيف والحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، وتوجه العساكر المنصورة إلى مملكة الروم لرد عساكرهم ، فلما أن تقابل العسكران وهجمت العساكر =

وفيها أيضاً هدمت قلعة أدنة[1] ثم رجع قجماس ودخل دمشق في حادي عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وهو خامس عشري أيار على نية العود للقتال أيضاً .

ثم في يوم السبت مستهل جمادى الآخرة منها زعم قجماس المذكور أن الأمير الكبير أزبك الظاهري أرسل من حلب إليه كتاباً يستحث أهل دمشق لقتال أعدائهم النصارى الذين أرسلهم أبو يزيد بن عثمان ووضع عنهم جزية ثلاثة سنين وأنهم نحو ثلاثين ألفاً وأنهم وصلوا إلى أنكورية[2] ، وحضر قجماس المذكور وأرباب الدولة والخلق كالجراد المنتشر لقراءة الكتاب المذكور ، فقريء بمصلى العيدين في اليوم المذكور بحضور العلماء وأرباب الدولة والخلق ، فخافوا / من ذلك خوفاً (ص ١٩) شديداً وأظهر قجماس لهم الحزن والبكاء مكراً وخديعة لأخذ أموالهم بحجة إخراج مشاة معه لقتال المذكورين هذا مع غناه وكثرة ماله .

ثم في ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى المذكورة شرع في استخلاص المال من الخلق ، فرتب على كل حارة بدمشق مالاً معلوماً ، هذا أيضاً مع وقوف حال

= المنصورة عليهم كالأسود الضراغم فضيقوا عليهم الأرض بما رحبت فما كان بوسعهم إلا الفرار ففروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة ، فوقع في قبضتهم باش عساكرهم ابن هرسك ومن دونه وشبع من لحوم قتلاهم الضباع والذئاب والنسور والعقبان ، فأحضروهم في السلاسل والأغلال بين يدي الحضرة المعظمة وصناجقهم منكسة بالحوش الشريف ، وكان يوماً ماكتب مثله في تواريخ الملوك السالفة . وكان الفراغ في سنة إحدى وتسعمائة .

وقد تفضل بإعطائي هذا النص علامة القاهرة في التاريخ والآثار العربية الأستاد حسن عبد الوهاب . وورد اسم حسن بك هرسك في مفاكهة الخلان للمؤلف ص ٨٤ .

(١) قلعة أدنة ، وترسم آدنة ، آطنة ، وتقرأ آضنة وهي مركز ولاية في الجنوب الشرقي للأناصول ، واقعة على الجهة اليمنى من شاطئ نهر سيحان ، تبعد عن شاطئ البحر إلى الداخل (٥٠) كيلو متراً وهي شرقي طرسوس وتبعد عنها (٣٨) كيلو متراً (قاموس الأعلام شمس الدين سامي) .

(٢) أنكورية هي مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية (انظر القرماني أخبار الدول ص ٤٢٥)

الناس وكثرة الحرامية وغرامة ما أمر به قبل ذلك من بناء تداريب الحارات ، ولما حصلت هذه الرجعة بطل أمر التدريب المذكور وأكل عرفاء الحارات المال الذي تأخر من عمل تدريب كل حارة ، فلما سمع الناس بترتيب هذا المال عليهم بحجة إخراج المشاة علموا أنما مراد قجماس مالا يستعين به لنفسه ، فصاح الناس وأرادوا رجمه في رجوعه (من) وداع بعض القصاد الذاهب إلى البلاد الشمالية من مصر ، فعلم بذلك في رجوعه فأرسل يطيب خواطرهم قبل رجوعه ودخوله إلى دار السعادة ، ثم قيل له إنما الحيلة في أخذه منهم أن تركب بنفسك إلى بعض من يشار إليه بالعلم فإن العوام يشكون في حل أخذ ذلك منهم ، فإن رأوه أباحه وقام في ذلك أذعنوا ، فركب وجاء إلى بيت الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون[1] زائراً له وطلب منه أن يأمر أكابر كل حارة بجمع مال يستعين به على المشاة ، فأجابه بنعم وبعث وراء أكابر كل حارة وحسن لهم جبي هذا المال ، فاحتج به العرفاء وأكابر الحارات واعتقدوا حل ذلك وأظهروه للناس ، وشرعوا في ذلك على حسب أغراضهم ، فوصل الأذى إلى الأيتام والفقراء والأرامل وأوقاف طلبة العلم وأملاكهم ، وأخذ قجماس من ذلك مالاً عظيماً وأخذ العرفاء والجباة لهم مثل ذلك ، فكان أول من ساعد على إحياء هذه الفعلة القبيحة المشروط حل فعلها بشروط ، ولم يلتفت إليها هذا العالم ولا قوة إلا بالله .

ثم سافر قجماس المذكور لقتال علي دولة ومن معه في ثامن عشر رجب سنة إحدى وتسعين المذكورة ومعه نحو مائة ماش فقط ، وقد ظلم الخلق بسبب ذلك ، وجلس بالمزة .

---

(١) تقي الدين بن قاضي عجلون . هو عبد الله بن عبد الرحمن شيخ الإسلام بدمشق ولد سنة (٨٤١) ونال شهرة كبيرة . له مؤلفات وتلاميد كثر توفي يوم الاثنين حادي عشر رمضان سنة (٩٢٨) (انظر الكواكب السائرة ١١٤/١) .

ثم أذن للحامين في غلاء اللحم بدمشق يومئذ وهو العشرون من تموز وهذا أمر عجيب ، ثم سافر ووصل إلى عنتاب[1] .

ثم رجع ودخل دمشق خفية ليلة سادس شوال منها بغتة على حين غفلة ثم حصل له ضعف في سنة اثنين وتسعين ، وتنقل من مكان إلى مكان ، آخرها ببيت ابن دلامة بالصالحية[2] ، ثم رجع قبل عيد الفطر بأيام في محفة إلى الاصطبل وعيد به وهو على خطر .

ثم توفي وقت عصر يوم الخميس ثاني العيد بالاصطبل ودفن بتربته التي أنشأها داخل باب النصر[3] غروب شمس اليوم المذكور .

فعدة أيام كفالته ست سنين وثمان شهور وظهر له مال كثير بدمشق ونحو أضعافه بالقاهرة فأخذه السلطان .

[قانصوه اليحياوي مرة ثانية]

وطلب اليحياوي البطال بالقدس فسار منه إلى مصر يوم العيد المذكور ثم أنعم عليه بإعادته واستقراره بنيابة الشام يوم الاثنين سابع عشر ذي حجة سنة اثنين وتسعين وهو ثالث كانون الأول العشرون من برج القوس ولبس الخلعة قبل بحضرة السلطان قايتباي بالقلعة .

---

(١) عنتاب قصبة ولاية في الجمهورية التركية شمالي حلب بينهما (١٠٧) كيلومترات بها قلعة تشبه قلعة حلب وقد بذل أهل هذه المدينة جهوداً عظيمة في محاصرة الأفرنسيين الذين دخلوا عقب الحرب العالمية الأولى ودحروهم فسماها الأتراك (غازي عنتاب) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن زين الدين دلامة أحد تجار دمشق وسراتها . أنشأ إلى جانب داره مدرسة أوقفها سنة (٨٤٧) وتوفي ثامن عشر المحرم سنة (٨٥٣) وقد قارب الثمانين . انظر موضع المدرسة التي إلى جانب داره في مخطط الصالحية لمحمد أحمد دهمان رقم (١٠١) وانظر القلائد الجوهرية ص (١٢٤ و ٣٧٤) ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ م .

(٣) تربة قجماس انظر ص (٩٤) رقم التعليقة (٣) .

وفي أوائل يوم الأربعاء رابع المحرم سنة ثلاث وتسعين وصل مملوكه رأس نوبة الثاني مبشراً من مصر باستقرار أستاذه بنيابة الشام فدقت البشائر وفرح الناس به وكانوا لهجوا بذلك من حين وفاة قجماس محبة منهم له لكثرة الظلم حينئذ بدمشق ولاعتقادهم فيه وفي جماعته إزالة / الظلم وقلته . (ص ٢٠)

وفي سابع المحرم المذكور وصل من مصر ولده أحمد وهو دوادار أبيه وهو مراهق وصحبته الدوادار الثاني مملوك أبيه واسمه جندر وجماعة أخر ، فتسلموا دمشق من الحاجب الكبير اينال الخسيف ومن قانصوه الألفي الذي أتى على حوطة مال قجماس ، ونودي بالأمان وإبطال المشاهرة والظلم وبيع المغلات بسعر الله .

وفي صبحة يوم الأحد تاسع عشري المحرم المذكور وهو ثاني برج الدالي وثالث عشر كانون الثاني وصل اليحياوي من مصر إلى قبة يلبغا[1] وتلقاه أرباب الدولة على العادة ، ثم في بكرة الاثنين سلخ المحرم المذكور دخل إلى دمشق واحتفل الناس احتفالاً زائداً ودخل أمامه ثلاثة أطلاب كل طلب[2] بولد من أولاده الثلاثة ودخل هو في الطلب الرابع بخيل خاص بكنبوش[3] وكاد أن يحمله العوام على رؤوسهم إكراماً له لتواضعه لهم ، ولما وصل تحت القلعة سير على العادة ، ثم رجع وصلى بباب السر على العادة ، ثم دخل دار السعادة ، وكثر إنكاره على النائب قبله في إذنه في فك البيوت الكبار بدمشق كبيت اينال بحارة القصر وغيره .

وفي ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين تواترت الأخبار بأن أبا

---

(١) قبة يلبغا انظر ص ٤١ .

(٢) الاطلاب هي فرق الجيش وكتائبه واحدها طُلب .

(٣) الكنبوش : البرذعة تجعل تحت سرج الفرس ، ويجعل فوقها العاشية وهو غطاء مرركش يوضع فوق البرذعة .

يزيد بن عثمان عزم على الزحف على بلاد الشام ، فنودي بدمشق ، ثم شرع يستخلص من أهل دمشق مالاً كما فعل قجماس فصارت عادة مرتبة ، ونودي بدمشق بأن لا يحتمي على عرفاء الحارات أحد ، ثم سافر في أواخر جمادى المذكور إلى قتال ابن عثمان المذكور ثم رجع منها إلى دمشق في تاسع المحرم سنة أربع وتسعين ، واستمر إلى أن فوض السلطان قايتباي أمر قلعة دمشق[1] إليه فتسلمها ووضع فيها نائباً من جماعته .

وتوفي السلطان المذكور في خامس عشري ذي القعدة بعد توليته ولده بثلاثة أيام سنة أحد وتسعمائة وهو لم يحدث شراً وثبت بعد كلام كثير ، فأحبه السلطان الجديد الملك الناصر محمد ، وحظي عنده وحصل له وجع في رجله فكواها ، واستمر في المهابة ، وجاءته خلعة فلبسها في دار السعادة يوم الاثنين حادي عشر شوال سنة اثنين وتسعمائة .

---

(١) بعض موضع هذه القلعة كان داراً رومانية منحت أيام فتح العرب دمشق لأبي الدرداء ، ثم أخذها الضحاك بن قيس وعوض أبا الدرداء بدلها داراً ملاصقة للجامع الأموي مكان المدرسة الصادرية اليوم ، ولما احترقت الخضراء والجامع الأموي انتقلت دار الإمارة إلى جهة دار الضحاك بن قيس وفي سنة (٤٦٩) أصبحت قلعة أنشأها اتسز بن أوق الخوارزمي حاكم دمشق .

وأصبحت الزيادات فيها تتلاحق إلى زمن الملك العادل أخي صلاح الدين الذي أمر بهدمها وجعل لها اثني عشر برجاً ورعت على أبنائه وأمرائه فعمرت من أموالهم على هيئتها الحاضرة وتبلغ مساحتها (٣٣٠٠٠) متراً مربعاً ومنظرها الخارجي هو أجمل منظر قلعة عربية وحينما رفع الأبنية من حولها وتكشف يظهر لها روعة نادرة المثيل ، وفي داخل القلعة وخارجها كتابات كثيرة نثبت هنا هذه الكتابة للدلالة على تاريخ إنشاء هذه القلعة ببنائها الحاضر :

(١) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة (٢) وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر (٣) ولله عاقبة الأمور صدق الله العظيم (٤) بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا البرج المبارك مولانا السلطان (٥) الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان جيوش المسلمين حامي الحرمين (٦) الشريفين أبو بكر بن أيوب بتولية العبد الفقير إبراهيم بن موسى وذلك في سنة ست وستمائة .

ثم توفي نهار السبت ثالث عشري شوال المذكور ودفن بتربته التي أنشأها شمالي حارة الجورة شمالي قصر حجاج[1] وهو في عشر الثمانين عند أولاده الخمسة الذين توفوا في فصل سنة سبع وتسعين ، وتأسف الناس عليهم وعليه لثبوته وصبره وعدم عصيانه وخروجه على السلطان الملك الناصر لكثرة الخامرين عليه حرصاً على الرعية فسامحه الله ، فعاش بعد السلطان قايتباي قريب أحد عشر شهراً ..

وتولى الحاجب الكبير تمربغا القجماسي نيابة الغيبة ، ثم توفي بعد النائب بنحو شهر ولم يبق بدمشق من الترك[2] من يحكم بها غير اقبيه [كذا] دوادار خال

---

(١) تربة اليحياوي : هذه التربة لم تذكر في تنبيه الطالب ولا في مختصراته وهي الآن في حي القباحين قرب باب الجابية وتقع شمالي جامع حسان إلى جهة الغرب بنحو خمسين متراً يفصل بينهما الطريق العام وقد جعلت منذ خمسين عاماً مكتباً للأطفال ، وداخلها قبور عدة . وعلى يمين الداخل إليها بحرة ماء منشأة في العهد العثماني مبنية بأحجار قديمة من عهد إنشاء هذه التربة ، وفيها أربعة أسطر يبدو أنها ناقصة وإليك ماجاء فيها :
(١) في خامس عشرين ربيع الآخر سنة أربع وتسعمائة أحسن الله عاقبتها بخير (٢) آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .. ويفصل بين هذين السطرين دائرة فيها عدة رنوك . وتحت هذين السطرين سطران فيهما ما يلي :
(١) العالي المولولي الأميري السيفي أزدمر نقيب القلعة المنصورة بالشام المحروسة أعز الله أنصاره . (٢) وتقبل الله منه تربة المرحوم أستاذه المقر الأشرفي السيفي قانصوه اليحياوي الكا (فلي) انتهى نص الكتابة وهذه الكتابة قد سترت الآن بجعل هذه البركة حانوتاً للبيع والشراء ، وقد ورد اسم هذه التربة في سلك الدرر جـ ٤ ص ٢٢٥ باسم : المدرسة اليحياوية .

(٢) كانت الدولة المملوكية تعتبر دولة تركية ويسميها المؤرخون بدولة الأتراك كما فعل المؤلف في تسميته هذا الكتاب فقد سماه : إعلام الورى عن ولي نائباً من الأتراك في دمشق الكبرى ، وفي الحقيقة فإن المماليك في سوريا ومصر كانوا مجموعة متنافرة من هذه الأجناس : ترك ، جركس ، روم ، روس ، آص ، تتر ، تركمان ، أرناؤوط ، وكان طريق التوظف بالدولة هو الرق ، فإذا أراد شخص من هؤلاء التوظف ذهب إلى تاجر الرقيق وطلب منه أن يدعي أنه رقيق ويبيعه ويأخذ ثمنه .

السلطان الذي أتى حواطاً على تركة النـائب المـذكور ، والأمير الكبير بهـايلبـاي الاينالي المؤيدي وفي يوم الثلاثـا مستهل سنـة ثلاث وتسعمائـة اشتهر بـدمشق أن السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباي محصور في ضيق من شدة الاختلاف بمصر .

وفي ليلة الأربعاء تاسع المحرم المذكور ورد نجاب بمطـالعـات ومراسيم واشتهر بدمشق أن الدوادار الكبير أقبردي حصر في بيته بعد مجيئه من البلاد القبليـة وقتل من جماعته وجمـاعـة السلطـان جمـاعـات ، وأن قـانصوه الألفي وكرتبـاي الأحمر وخال السلطان والجماعة اليحياويـة طلبوا أقبردي المـذكور فهرب منهم وتبعوه إلى
ص ٢١) عند خان يونس[1] الذي حصل له النصر في تلك المرة عنده / .

[اينال الفقيه]

٦٩

وفي يوم الأحد سابع عشر المحرم منها تواترت الأخبار بأن اينال الفقيه نائب حلب استقر في نيـابـة الشـام وفي يوم الأحـد عشرين نودي بـدمشق بـالحجـوبيـة الكبرى بها للأمير تنم ، واشتهر بهـا يومئـذ رحيل أقبردي المـذكور من غزة وأنـه لم يقف أحد من العشران كابن ساعد وغيره في وجهـه لعـدم مرسوم السلطـان الملـك الناصر ، فركب حينئذ الأمير أقباي الحواط[2] ويلباي الاينـالي الأمير الكبير وتنم الحـاجب والخـاصكي الـذي كان رفع إلى قلعـة دمشق ثم أطلق وذهبـوا إلى ميـدان الحصى وعرضوا الزعر والخيالة بها خوفاً من أقبردي المذكور .

وفي يوم الخميس رابع عشريـه دخل إلى دمشـق أركماس نـائب حمـاة وصحبتـه

---

(١) حان يونس هذا الخـان على مقربـة من غزة بنـاه الأمير يونس من عبـد الله النوروزي المتوفى سنة (٧٩١) (انظر النجوم الزاهرة ٣٨٤/١١) .

(٢) الحواط هو الـذي يضع يـده على الأموال احتيـاطـاً خـوف تهريبهـا ، ويسمى الآن بـالحـارس القضائي .

إبراهيم بك نائب حمص ليقفوا في وجه أقبردي المذكور حسب المرسوم الشريف .

وفي ثاني صفر منها دخل متسلم النائب الجديد خير بك .

وفي رابع صفر منها أول تشرين الأول دخل الوفد الشريف إلى دمشق وفيه تواترت الأخبار بأن آقبردي المذكور وجانم نائب قلعة مصر والظريف واليها وتنبك قرا وأقباي نائب غزة كان وصلوا إلى بلاد الغور ثم إلى إربد في نحو ثلثمائة خيال ملبسة وقلعة دمشق يومئذ في غاية التحصين والناس في وجل كثير .

وفي يوم الخميس تاسع صفر منها أمر الحواط بالمناداة بدمشق بأن المرسوم السلطاني ورد عليه بأن آقبردي المذكور ، عاص وأن روحه للسلطان وماله لغيره وسدت أبواب دمشق إلا باب النصر والفرج والصغير .

وفي الأحد ثاني عشره وصل آقبردي والعصاة معه إلى قريب قرية الصنمين[1] .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره شاع بدمشق وصول اينال الفقيه نائب الشام من حلب إلى بعض بلاد دمشق وأنه يدخل إلى دمشق قريباً .

وفي صبحة يوم الأربعاء سادس عشره تحقق الناس نزول العصاة برج دمشق حوالي قرية الغزلانية[2] .

وفي صبيحة الخميس سابع عشره دخل برد بك نائب صفد إلى دمشق ومعه عشير كثير بحيث أن الناس استكثروهم على العصاة ، وظنوا أن النائب الجديد اينال المذكور يخامر مع العصاة ، ثم تحقق وصوله إلى حمص فزاد ظنهم أنه يخامر .

---

(١) قربة في أوائل قرى حوران مما يلي دمشق تبعد عنها (٥٠) كيلو مترا .

(٢) قريه الغزلانية قرية في مرج الغوطة تبعد عن دوما (٢٦) كيلو مترا وعدد نفوسها نحو (١٢٠٠) وهي عربي تل مسكن وشرقي قرحتا

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشريه هرب خير بك المتسلم إلى عند أستاذه النائب الجديد فظهرت المخامرة ونودي بدمشق عليهما بالعصيان في اليوم المذكور ، والتقى العصاة كلهم على قرية عذرا[1] واتفقوا على العصيان وأظهروا الطاعة مكراً وخديعة وتقية بقولهم : نحن طائعون الله ورسوله والسلطان .

وفي بكرة يوم تاسع عشري صفر المذكور تصافى العصاة والطائعون وذهب النائب المذكور من المصطبة إلى الصالحية[2] فخرج جماعة منها وقتل جماعة من الفريقين وأسر جماعة .

[جان بلاط]

٧٠

وفي يوم الخميس نودي بدمشق بعزل النائب المذكور من نيابة دمشق وتولية جان بلاط الذي كان عين بمصر لنيابة حلب بدل اينال المذكور ، وأن يلباي الاينالي الأمير الكبير بدمشق فوض إليه نيابة طرابلس وأن نائبها فوض إليه نيابة حلب وأن نائب قلعة دمشق يومئذ يكون رأس باش العسكر الطائع ، وأن الحواط يجلس مكانه في نيابة القلعة .

---

(١) قرية عدرا قرية شرقي دمشق تبعد عنها (١٧) كيلو متراً اشتهرت بالمرج الذي يحيط بها المعروف بمرج راهط ثم عرف بمرج عذراء وفي هذا المرج كانت معركة فاصلة بين الضحاك بن قيس وبين مروان بن الحكم قتل فيها الضحاك وتشتت جمعه وثبتت أقدام الدولة الأموية .

(٢) الصالحية هي إحدى ضواحي دمشق أنشئت في أيام الحروب الصليبية فقد هاجر من فلسطين بنو قدامة فنزلوا فيها في سنة (٥٥٥ هـ) وساعدهم ملوك دمشق وأمراؤها وشادوا فيها الجوامع والمدارس والمستشفى القيمري (اقرأ تفصيلات قيمة عنها في كتاب : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية) .

[كرتباي الأحمر]

٧١

وفي يوم الأحد مستهل ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعمائة المذكور دقت بشائر دمشق بتولية كرتباي الأحمر نيابة الشام وأنه قادم عن قرب من مصر وصحبته جان بلاط نائب حلب والعسكر المصري . (ص ٢٢)

وفي ليلة الخميس تاسع عشره وهو خامس عشر كانون الأول هرب اينال المعزول وأقبردي وجميع العصاة من محلة ميدان الحصا[1] بعد أن طالت المحاصرة وتركوا غالب أثقالهم خوفاً من كرتباي ومن معه ، ونهب الناس ماتركوه ، ومن مال أهل الميدان شيئاً كثيراً .

وفي يوم الجمعة عشري ربيع الآخر المذكور وهو سابع عشر كانون الأول خرج نائب قلعة دمشق ويلباي الاينالي الأمير الكبير وهو نائب الغيبة حينئذ والحواط ونائب حماة أركماس ونائب صفد بردبك وغيرهم ونادوا بالأمان وبمنع النهب .

وفي يوم الأحد ثاني عشريه وهو ثاني عشر كانون الأول دخل من مصر إلى دمشق نائبها الجديد كرتباي الأحمر وجان بلاط نائب حلب وقراجا نائب غزة وبقية العسكر المصري بخلع سنية مدخلاً حافلاً وسيروا تحت قلعة دمشق سبع مرات على العادة[2] .

---

(١) ميدان الحصى ، يبتدئ من مسجد مصلى العيدين (باب مصلى) ثم يمتد للجهة القبلية ، وكان الميدان الفوقاني يسمى « القبيبات » وهو يشمل الحي الذي فيه جامع « الدقاق » .
راجع ص (٧٢) ففيها بحث عن ميادين دمشق .

(٢) تحت القلعة يشمل ساحة كبيرة خارج قلعة دمشق شماليها وهي تشمل مساحة سوق الهال وسوق الخيل إلى جامع يلبغا . وإليك وصف تحت القلعة في القرن التاسع الهجري (البدري : نزهة الأنام) : ومن محاسن الشام تحت قلعتها ، فإنها منهل للعريب ، ومرتع للقريب ، وهي

ثم أتى النائب إلى باب سر القلعة فصلى على العادة ثم دخل إلى القلعة ثم صعد إلى الطارمة وأظهر نفسه للناس فتبين لهم أنه طائش خفيف ، لكنه عن الفواحش عفيف ، ثم نزل وركب من باب السر المذكور إلى دار العدل فقرئ تقليده على العادة وألبس خلعته على العادة كغيره .

وفي بكرة يوم الاثنين سلخ ربيع المذكور لبس خلعة الشتاء من قبة يلبغا ودخل في أبهة على العادة .

ساحة سماوية كبركة الرطلي (من أحياء القاهرة) في الوسع لاجتماع البرية ، تحفها الدور ، وتعلوها القصور (المراد دور سوق صاروجا) ويلحقها كل مايرومه الإنسان ، وتشتهيه الشفة واللسان ، لايحتاج فيها سكانها لحاجة من المدينة ولا لجيرانها ، فيها دار البطيخ الذي يباع فيه جميع فواكه البلد ، وبه العين المشهورة المجمع على برودة مائها وعذوبته وخفته ، وبتحت القلعة سوق للقماش المذروع ، وسوق قماش للمخيط إحداهما للرجال ، والآخر للنساء ، وبها سوق الفرا والعبي وغير ذلك ، وبها سوق السقطيين ، وسوق النحاس ، وسوق السكاكينيين ، وسوق القربيين ، وسوق الأدميين ، وسوق قماش الخيل والبغال والبهائم والأغنام ، وسوق الدهون ، والحصريين ، والحايريين ، والنجارين والخراطين ، والنقليين ، ودار الخضر ، وسوق المناخليين ، والزجاجين .

أما ساحة تحت القلعة فإنك لاتستطيع أن ترى أرضها لكثرة مابه من المتعيشين والوظائفية ، ويتخلل بينهم أرباب الحلق ، والفالاتية ، والمضحكون ، وأصحاب الملاعيب والحكوية والمسامرون وكل مايتلذذ به السمع ، ويسر العين ، وتشتهيه النفس صباحاً ومساء على هذا لايفترون (ا هـ) . هذا بالنسبة للحياة الاجتماعية العامة ، أما بالنسبة إلى الجنود والمماليك فإليك مايلي :

من عادة نائب دمشق أن يركب بالعسكر من الأمراء ومقدمي الحلقة وأجنادها في كل يوم اثنين وخميس ، ويخرجون إلى سوق الخيل تحت القلعة فيسيرون خيولهم ، وتعرض عليهم الخيول وأدوات السلاح ، وما يحتاجه أفراد الجيش بالمناداة للبيع ، وينادى بينهم على العقار من الدور والضياع وغيرها ، وكانوا لا يتعدون سوق الخيل ، ثم صار النائب يسير بهم إما إلى ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلبغا ، وإما إلى المزة ، وإما إلى مسطبة القابون على حسب مايختار ، وهذا التسيير بمثابة عرض عسكري .

وفي يـوم الثـلاثـاء ثـالث عشري جمـادى الأولى منهـا خرج من دمشـق إلى المصطبة مجرداً على العصاة الهاربين المحاصرين لقلعة عينتاب .

وفي اليوم المذكور نودي بدمشق عن الحاجب الكبير بها وهو نائب الغيبة مع دوادار النـائب بـالأمـان وأن لايحمل أحـد سكينـاً ولا خنجراً وأن يعلق على كل دكان قنديل .

وفي ليلة الجمعة رابع شوال منها رجع النائب من تجريدته إلى المصطبـة فخرج الناس للسلام عليه على العادة .

وفي بكرة يوم السبت خامسه دخل دمشق في أبهة واسعة ونودي بالأمان وأن لايحمل أحد سكيناً .

وفي يوم الخميس عـاشره وهو سلخ أيـار خرج إلى المرج ثم رجـع وصلى الجمعـة بمقصورة الجامع الأموي غربي المنبر[1] .

وفي يوم الاثنين ثالث عشري شوال المذكور حادي عشر حزيران خرج الوفد من دمشق وأميرهم دولتباي .

وفي يـوم الخميس ثـامن ذي القعـدة منهـا خرج النـائب إلى المرج وأمر جميـع أمراء دمشق باتباعه وتضجر بعضهم من ذلـك وأن يتبعـه الفـاميـة[2] والأسـاكفـة والمعمارية والنجارون والخراطون ولم يعلمهم بمقصده .

---

(١) المقصورة حواجز خشبية مخروطة على صورة فنيـة جميلـة كانت مـوضـوعـة حـذاء دعـامـات (عضادات) قبة النسر في الجامع الأموي وبذلك يصبح المنبر والمحراب ضمن قاعة جدرانها هذه الحواجز الخشبية وقد بقيت هذه المقصورة زمناً ثم أزيلت .

(٢) الفامية باعة العلف والحبوب .

ثم في ليلة السبت عاشره رحل من المرج إلى قريب عقبة شحورا[1] واستخدم مشاة كثيرة بجامكية وقد صح في هذه الأيام أن أقبردي مقيم بجماعة قليلة من العصاة بالبيرة .

وفيها أيضاً شاع أن السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباي وخاله وغيرهما مختلفين وإلى الآن لم تأت خلعة النائب كرتباي من السلطان ، بل أرسل من مصر أمير يكون نائباً لقلعة دمشق ، ووصل إلى تربة تنم بميدان الحصى[2] فرده النائب منها ولم يمكنه من الدخول والناس حينئذ في وجل من وقوع فتنة .

ثم في بكرة يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة المذكور خامس تموز سافر النائب إلى الكسوة[3] وخلع على تمر باي أبي قورة القجماسي دواداره حينئذ بنيابة الغيبة بدل دولتباي الذي سافر أميراً للوفد الشريف ، ودخل أبو قورة إلى دمشق في أبهة بخلعة حمراء بين القضاة الأربعة . وفي يوم / الجمعة سادس عشره نودي (ص ٢٣) بدمشق عنه بالأمان وإبطال المحرمات مطلقاً على اختلاف أنواعها وأن لا يحمل أحد سكيناً وقمع أهل الزعارة .

وفي هذه الأيام شاع بدمشق بأن النائب قد أغار على طائفة الأمير مشلب أحد أمراء بني لام الذين آذوا الحج وأنه أخذ منهم مالاً كثيراً ، وشاع أيضاً أنه

---

(١) عقبة شُحُورا كذا في أصلنا بالألف وفي النجوم الزاهرة (١٢١/٦) بالتاء المربوطة « شحورة » وتكرر ذكرها في ذيل تاريخ دمشق للقلانسي « سحورا » بالسين ، وهي عقبة بين داريا والكسوة .

(٢) هي بالميدان الفوقاني مشهورة بجامع التينبية لها جبهة كبيرة حيلة انظر وصفها في (ثمار المقاصد) ص (٢٠٤) رقم (٥٧) .

(٣) الكسوة قرية قبلي دمشق تبعد عنها (١٨) كيلو متراً وهي مديرية ناحية تتبعها (١٤) قرية و (٢٤) مزرعة وضيعة يشطرها نهر الأعوج وهي مزدهرة بالخضر والفواكه بفضل المياه التي تمر بها . راجع ص (٥٠) .

الآن ببلاد بني صخر وأنه يريد أن يبني هناك قلعة ، وأن الأمير ابن ساعد لم يحضر عليه ، وإنما أرسل ولده بمال كثير فلم يرض إلا بحضوره وبعث النائب إلى دمشق يطلب زيادة ثانية معمارية ونجارون وغير ذلك ، فهرب غالبهم من دمشق وزاد الظلم من نائب الغيبة المذكور ، وزاد وقوف حال الناس وهرب الحاجب الكبير من عند النائب ، وأتى إلى دمشق متضعفاً وخلا قرى كثيرة في البر من النائب .

وفي هذه الأيام وصل إلى دمشق قصاد علي دولة وقصاد جان بلاط نائب حلب وغيرهما للشفاعة في أقبردي العاصي ومعهم هدايا سنية للسلطان ونزلوا بالقصر منتظرون رجوع النائب من سفره إلى دمشق ليستأذنوه في السفر إلى مصر .

وفي يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة توفي للنائب ولد صغير وحضره القضاة وغيرهم ودفن بالصوفية ، وغلقت دمشق لأجل وفاته احتراماً لوالده الغائب عن دمشق يومئذ .

وفي يوم الاثنين ثاني المحرم سنة أربع وتسعمائة عاد النائب إلى دمشق من بلاد ابن ساعد عجلاً حتى تريب غالب الناس بها من ذلك .

وفي يوم عاشوراء ألبس خلعة خضراء بطراز خاص ودخل بها مدخلاً حافلاً وكان الناس استبطؤوا مجيئها له للاختلاف بمصر .

وفي يوم الاثنين سادس عشره دخل من مصر إلى دمشق خاصكي من خشداشي النائب أرسلوه ليطايبه ويتسلم منه قلعة دمشق ليولوا فيها بعد ذلك نائباً على العادة وتلقاه النائب والقضاة والناس على العادة بخلعة بطراز خاص ثم لم يسلم إليه القلعة المذكورة .

وفي بعد صلاة العشاء من ليلة السبت ثامن عشري المحرم المذكور طلب

النائب لشهاب الدين المحوجب والي البر واستاداره ابن الخياطة ومشاة كثيرة نحو الثلاثين وأخرجوه من داره قريب ثلث الليل مرعوباً والمشاة حوله فكاد أن ينقطع ظهره خوفاً فلما دخل عليه هدده كثيراً وأضر له سوءاً لأجل مكاتبته لصاحبه ابن ساعد ثم رسم عليه بالتربة القجماسية[1] فلما حضر القضاة وأرباب وظائف الجامع الأموي لأجل تحرير معاليمهم به وفرغوا من ذلك شفع قاضي القضاة شهاب الدين ابن الفرفور في الشهاب المذكور واجتهد في ذلك فأجاب شفاعته ، فأخذه وخرج به وركبا وأوصله إلى بيته ، ثم تحادثا ثم ركب قاضي القضاة المذكور وجاء إلى بيته .

وفي يوم الأربعاء عاشر صفر منها ركب النائب وكبس أهل قرية كرك نوح[2] وأتى بمشايخها وقتل منهم واحداً ، وفي أول تشرين الأول يوم الاثنين خامس عشر صفر المذكور سافر النائب أيضاً إلى بلاد ابن ساعد .

وفي يوم الجمعة ثالث ربيع الأول منها رجع النائب من سفره المذكور بعد أن نهب عرب بني هذيم عند قصر شبيب عند الزرقا وأخذ منهم غنماً كثيراً وجواراً وأتى بحريمهم إلى دمشق في أشر حال ، ثم حصل له توعك كثير .

(ص ٢٤) وفي يوم الأربعاء ثامن ربيع الأول / سنة أربع وتسعمائة المذكورة أمر النائب خازنداره وجماعته بتفرقة مال قيل مبلغ ألفي دينار على الفقراء والمساكين فأتوا إلى الجامع الأموي فارتج الجامع من كثرة الأصوات وفرق على الفقراء والمساكين به .

وفي يوم الخميس تاسعه زاد به التوعك والألم واستمر إلى آخر ليلة الجمعة عاشره فتوفي .

---

(١) التربة القجماسية انظر ص (٩٤) .

(٢) انظر ص (٧٢) تعليقة (١) .

ثم وقـع المطر حتى جرت الميـازيب فشـاع مـوتـه فسـافر في الحـال مشـايـخ العشران كابن إسماعيـل والجيـوسي وغيرهمـا إلى بـلادهم ، وخـاف أهـل دمشـق من زعرهـا وكان النـائب قـد قمعهم وسـافر بعضهم واختفى بعضهم ، وكان يـومئـذ الحاجب الكبير معزولاً ولم يكن بدمشق يومئذ سوى جان بلاط دوادار السلطـان فركب في الحال ووقف على باب الحبس ، وضبـط دمشق بعض الضبـط ، واطمأن الناس قليلاً ، ولم يمكن أحد حاشية النائب من غسله وتكفينه ودفنه حتى يقبضوا جامكيتهم فقبضوهـا ، ثم غسل بـدار العـدل وكفن وصلي عليـه بعـد صلاة الجمعة حـادي عشر ربيـع الأول المـذكـور ، ودفن على تمربغـا القجماسي الحـاجب الكبير بـدمشـق ، كان في الإيـوان القبلي داخـل تربـة قجماس ، وكان كرتبـاي المتـوفى المـذكور قـوي القلب لكثرة عضـاده بمصر ، وكان لا يفعـل الفـواحش التي يفعلهـا غالب الترك من الزنا والسكر وغير ذلك ، وكان له حرمـة وسطوة على المنـاحيس والمفسـدين ، وكان ظلمـه أقلّ من ظلم غيره من النـواب في مصر وطرابلس وحلب وغيرهم على ماأخبر به أكابر دمشق ، بل هو ولي بالنسبة إليهم ، والله أعلم بحاله في الآخرة ، وقيل أنه كان سريع التقلب ، خفيف ثقيل ، قريب بعيد ، وقيل لي أنه وجد في خزانته ذهب عين عدة مائة وسبعة وستين ألفاً ، وكان قد أشيع بمصر عزله مراراً وروجع في تسليم قلعة دمشق فلم يفعل .

وكان قـد قـال كانت في توليـة حجوبيتـه لقـانصـوه المشهـور بـابن سلطـان جركس وهو شاب مقيم بمصر وذلك بعد عزل قانصوه اليحياوي منها .

وفي يوم الأحـد ثـالث عشر ربيع الأول المـذكور دخل من مصر إلى دمشـق حاجبها الجديد ابن سلطان جركس المذكور ، وتلقاه القضـاة وجـان بلاط دوادار السلطان بعد أن ضبط دمشق في هـذه الأيـام ، وختم على موجود النـائب ، فلمـا قوي توقيع الحاجب المذكور زعم أنه نائب الغيبة على عادة الحجاب فعارضه جـان بلاط المذكور .

وفي بكرة يوم الخميس رابع عشري ربيع المذكور لبس جان بلاط المذكور خلعة جاءته من جان بلاط نائب حلب فلبسها من المصطبة ودخل بها دمشق مدخلاً حافلاً بعد أن نودي له بنيابة الغيبة وجلس للحكم بدار السعادة يوم قريء توقيع الحاجب المذكور .

وفي عشية يوم الثلاثاء تاسع عشري الشهر وهو عشرون تشرين الآخر دقت بشائر دمشق ونودي بزينتها مدة سبعة أيام وأن قانصوه خال السلطان تسلطن يوم السبت ثامن عشر ربيع المذكور ولقب بالظاهر بعد أن أقام الدوادار الثاني طومان باي لقتل ابن أخته الملك الناصر محمد بن قايتباي فخرجوا للصيد وقتله حينئذ يوم الاثنين رابع عشر الشهر المذكور .

واشتهر بدمشق أن السلطان الجديد الملك الظاهر المذكور ولى طومان باي دواداراً كبيراً ، وأن قصروه تولى نيابة حلب ، وأن نائبها جان بلاط تولى نيابة الشام ، وكان حينئذ جان بلاط المذكور بحلب محصوراً من أقبردي العاصي وجماعته ترحلوا من البيرة[1] إلى عين تاب[2] ثم منها إلى حيلان[3] / (ص ٢٥) ومعه الأمير علي دولة وبقية العصاة ، وكان دولتباي نائب حماة قد ذهب إلى حلب نصرة لنائب حلب المذكور خوفاً من العصاة المذكورين .

وأما هذه الأيام السبعة التي فيها زينت دمشق فحصل فيها من أنواع الفسق مالا يمكن حصره .

---

(١) بلدة في الجمهورية التركية قصبة قضاء تعرف الآن باسم « بره جك » شرقي شمالي حلب وتبعد عنها نحو (٢١٠) كيلو مترات وهي مدينة قديمة على صفة الفرات .

(٢) انظر ص (٩٨) رقم التعليقة (١) .

(٣) قرية شمالي حلب من أعمال ناحية عندان التابعة لقضاء جبل سمعان ومنها تأتي قناة ماء كانت المورد الوحيد لشرب أهل حلب .

وفي صبيحة سابع ربيع الآخر حادي عشر تشرين الآخر احترق سوق الشيخي بما فيه جميعه ولم يؤخذ منه شيء ، وقبله بيوم كان آخر أيام الزينة ، وفي هذا اليوم بلغني أن السلطان الجديد الملك الظاهر مزلزل ، وأن مصر مخبطة جدا .

وفي هذه الأيام أخبر قاضي القضاة شهاب الدين ابن الفرفور أنه وجد في تركة السلطان المتوفي قايتباي مال عين عدة ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار .

وفي يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر المذكور دخل من مصر إلى دمشق الحواط على تركة كرتباي وصحبته استادار السلطان بدمشق وصحبتها أخو كرتباي ودخلوا مدخلا حافلا .

وفي يوم الأربعاء حادي عشريه وصل من طرابلس إلى المصطبة بغتة أركماس نائب طرابلس وصحبته الأمراء بها والمنفيين بها بمرسوم شريف ليقيموا بدمشق إلى أن يأتيهم مايعتمدون عليه ، فلم يمكنوا من الدخول حتى يأتي بردبك نائب صفد .

ثم في بكرة يوم الجمعة ثالث عشريه وصل إلى دمشق نائب صفد المذكور بمرسوم شريف أيضا وأراد النزول بدار العدل أو الاصطبل أو القصر فلم يمكن فنزل في بيته .

وفي بكرة يوم الخميس تاسع عشريه وصل قصروه نائب حلب ودخل إلى دمشق وصحبته أمير ميسرة بدمشق مخلوعا عليهما وتلقاهما أرباب الوظائف القضاة ونائب صفد ونائب طرابلس ، ونزل قصروه نائب حلب بالاصطبل غربي دار العدل بعد أن انتقل منه الحواط المتقدم ذكره إلى دار العدل .

وفي هذه الأيام شاع بدمشق وصول متسلم دمشق لنائب حلب جان بلاط ونزل بالمصطبة .

وفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة وصل المتسلم المذكور ودخل إلى دمشق وتلقاه قنبك الرماح أمير أخور باش العسكر المصري والقضاة وغيرهم على العادة .

جان بلاط

٧٢

وفي عشية يوم الثلاثاء سابع عشره تاسع عشر كانون الثاني وصل النائب الجديد جان بلاط من حلب الى مصطبة السلطان بدمشق .

وفي يوم الثلاثاء مستهل رجب منها خرج الباشان المصريان والامراء والقضاة الى النائب المذكور وهو مقيم بالمصطبة واستمالوه في دخول دمشق الى ان يأتي تقليده وخلعته من مصر فدخلها يوم الثلاثاء مستهل رجب سنة أربع وتسعمائة وهو ثاني عشر شباط بتخفيفه من غير تطليب[1] ولاتشريف ولاتقليد من السلطان الملك الظاهر قانصوه .

وفي يوم الجمعة ثامن عشره أول آدار صلى النائب بجامع يلبغا ومعه أرباب الدولة والامير خير بك الخاصكي الذي سيره الناصر لابي يزيد بن عثمان قيل ليخطب ابنته له بهدايا سنية ثم روجع في هذه الايام .

وفي اليوم المذكور سافر خير بك المذكور الى مصر فخلع عليه النائب وركب معه لوداعه ، وقيل ان زوجة كرتباي المتوفي وأخاه أخرجاه من قبره ووضعاه في سحلية وكذلك ولده الصغير المتقدم ذكر وفاتها وكذلك أخته التي كانت زوجة من أقامه لنيابة قلعة دمشق التي توفيت ، كل منهم في سحلية وأخذوا صحبة خير

(١) التطليب المجي بفرق من الجنود ذات مواكب .

بك المذكور مع قفل كبير الى مصر ليـدفنوا في تربـة هنـاك كان أنشـأهـا كرتبـاي المذكور .

وفي ليلة يوم الثلاثـاء تـاسع عشري رجب منهـا وهو ثـاني عشر آدار وصل / (ص ٢٦) المبشر من مصر بخروج خلعـة النـائب المـذكـور من مصر ، وطـاف المبشر على الناس ، وأخذ على بشارته مالا كثير ، ودقت بشائر دمشق .

وفي يوم الخميس مستهـل أو ثـاني شعبـان خرج النـائب وأربـاب الـوظـائف والقضـاة الاربعـة الى قبـة يلبغـا على العـادة ولبس الخلعـة الخضراء بسمور خـاص بشاش بطراز خاص ، ودخل دمشق في أبهة حـافلـة ، والى جـانبـه الايسر البـاش الكبير تنبك الجمالي بخلعة حمرا بسمور خاص وقدامهما خاصكي بخلعة بطراز .

وفي يوم الجمعة ثاني أو ثالث شعبان صلى النائب الجمعة بالجامع الاموي وأوقـد له بباب البريد الشموع والسرج الكثيرة .

وفي يوم الاثنين سادس شعبان المـذكور خرج النـائب لوداع الحواط الى قبـة يلبغا ثم رجع منها وهو لابس خلعة ، قيل خلعة نظر الاقطاعـات ، وقيل خلعـة الاستمرار ، وقيل ان الحواط خلعها عليه كما خلع هو عليه .

وفي يوم الخميس ثالث عشريه سافر النائب الى حوران وأغـار على العرب من آل موسى وأخذ منهم ابلا كثيرة قيل نحو الفين .

وفي يوم الاحد سادس عشريه رجع الى دمشق .

وفي هـذه الايـام قبض النـائب على مقـدم البقـاع ابن الحنش ، وحضر اليـه مقدم نابلس خليل بن اسماعيل ، وخليل بن شبانـة ، وابن الجيوسي ، وغيرهم من مقدمي البلاد .

وفي يوم الخميس سلخ شعبان منها شكى جماعة من أهل القبيبـات في رجوعـه

عليهم في الموكب العجز عن ثمن الجمال التي طرحها عليهم من نهب العرب فوقف في موكبه واستدعى منهم جماعة ، ثم استدعى منهم جماعة ، ثم استدعى بالمشاعلية وغيرهم ، وأمر بضربهم ضربا مبرحا وهو حاضر قابض على لجام فرسه ، الى أن فرغ منهم ثم ألزمهم بمال كبير عن الجمال المذكورة ولاقوة الا بالله .

وفي اليوم المذكور قبض على المقدمين المذكورين وطلب من كل واحد منهم قيل ومن جماعة كل منهم مائة الف دينار .

وفي هذه الايام طرح بقية الجمال والنوق وأولادهم الصغار على أهل دمشق ، فالصغير الرضيع على الطباخين ونحوهم ، والكبار على أهل الحارات كل واحد منها باضعاف قيمته ، وعدتها كثيرة ، قيل نحو الفين كا مر ، وهذا شيء لم ير أحد مثله .

وفي يوم الاربعاء سادس رمضان أمر النائب بحبس المقدمين مشايخ البلاد في قلعة دمشق ، ثم سافر فيه الى بلاد ابن الحنش .

وفي يوم الخميس سابعه شاع بدمشق ان النائب حرق بيت ابن الحنش المذكور بقرية قب الياس ، ونهب العسكر جميع ماوجدوه بالبقاع ، وذلك بعد أن عزله وولى مكانه أخاه فلم يمكن أخاه من البلاد فغضب النائب وفعل ذلك ، وشاع أيضا أنه دخل بيروت وأخذ من الفرنج عدة أحجار فضة نحو الخمسين حجرا وعدة خمسة عشر قطعة جوخ رفيع ، وأنه ختم على بضائعهم بعد أن قومها عليهم بأضعاف ثمنها ليأخذ عشرها بأكثر من العادة ، وأن تقي الدين ابن قاضي عجلون ذهب اليه ببيروت وجالسه وحادثه ولاقوة الا بالله .

ثم رحل الى صيدا وشوش على قاضيها ليضبط له جهات ابن الحنش الهارب ، وبعد أيام شاع بدمشق أن النائب أقام بدير زينون وهو مفطر لم يصم ، بل قتل جماعات وشرب الخمر .

ثم في بكرة يوم الاحد رابع عشري رمضان المذكور وصل النائب الى دمشق ودخل دار العدل على حين غفلة .

وفي اليوم المذكور شاع بدمشق بأن مهتارا[1] من جماعة النائب دخل الى دمشق راكبا ووعاء الخمر قدامه بارزا / ظاهرا قيل وفيه الخمر ولاقوة الا بالله . (ص ٢٧)

وقيل أيضا انه لما حبس ابن قاضي القضاة ابن المزلق بمسجد دار العدل حبس الفرنج عنده في المسجد بالقرب منه وهم يشربون الخمر في رمضان ، وتأوه له الناس لامور ، منها فقره وعجزه عما طلب منه .

وفي هذه الايام شرع النائب في عمارة كبيرة بالاصطبل وأخذ أملاك الناس التي حوله وأضافها اليها وأخذ آلات العمارة من أملاك الناس غالبا وسخر فيها خلقا .

وفيها أيضا أخرج المقدمين شيوخ البلاد من القلعة وأعادهم الى الاصطبل في زناجير .

وفي يوم الاحد عيد الناس وصلى النائب العيد بمقصورة الجامع الاموي ، وخطب قاضي القضاة شهاب الدين بن الفرفوري بالخليفتي خطبة وجيزة جامعة .

ثم لما فرغ من ذلك خلع النائب عليه بالمقصورة خلعة خضراء بسمور وخرج مع النائب الى باب البريد ، ثم رجع الى بيت الخطابة .

وفي يوم الثلاثاء ثالث شوال وهو ثالث عشر من أيار أفرج النائب عن المقدمين المذكورين على مال كثير ونودي عنه بابطال المحرمات وأكد على ذلك .

---

(١) من يخدم مصالح الامير .

وفي هذه الايام شاع بـدمشق صح الخبر بموت أتـابـك العسـاكر بمصر أزبـك الظاهري فقبض النائب على استاداره بـدمشق أبي بكر الشويكي الطواقي وصـادره على مال .

وفي يوم الجمعة سـابع عشري شوال من سنـة أربع وتسعمائـة المـذكورة ووصل الخبر من أمير الـوفـد تمر بـاي القجماسي المعروف بـأبـو قـورة الى النـائب بـأن لم تـدركونـا عجلا والا أخـذ العرب الوفـد جميعـه لكثرتهم ، فخرج النـائب اليهم في اليوم المذكور بعسكره جميعه .

وفي يوم الخميس عـاشره وصـل الخبر من حلب الى دمشـق بـوفـاة أقبردي أبي الفتن الكثيرة التي لايمكن حصرها ، وأن وفـاتـه كانت يوم الخميس ثـالثـه بحلب ، ودفن بتربة النائب أزدمر ، وذلك بعـد أن دخل متسلمـه الى طرابلس التي جعلت له طرخانا[1] ، وفي اليوم المذكور خلع النائب على المبشر ودقت البشـائر في غـالب المدن فسبحان القاهر فوق عباده .

وفي يوم الخميس رابع عشريه لبس النائب خلعة حمراء بمقلب سمور خاص من قبة يلبغا ودخل دمشق ومعه القضاة وأرباب الوظائف على العادة وقيل انها خلعة الاستمرار ، وقيل انه كان مطلوبا ليولى الامرة الكبرى بمصر فلم يرض ذلك فجاءته هذه الخلعة بالاستمرار .

ثم بعد أيام شاع بـان متسلم قصروه نـائب حلب واصل عن قريب ليتسلم لـه دمشق وأن نـائبهـا يسـافر الى مصر ، وقل ركوبـه واجتماعـه بـالنـاس قيل لضعف حصل له وقيل غير ذلك .

وفي يوم الخميس سادس عشر ذي الحجـة ظهر وأمر بتخوزق رجل مجرم أزعر

---

(١) بمعنى المتقاعد أو المحال على المعاش .

من الصالحية ، وأمر بامرأة جارية بيضاء قيل اسمها جان سوار بأن تصلب ، قيل انها كانت أعظم بنت خطا بدمشق .

وفي يوم الاحد تاسع عشره أمر بضرب جماعة منهم رجل يعرف بابن بيدمر ، فضرب مبرحا وفي يوم الاثنين عشريه ركب في الموكب .

وفي هذه الايام أقام النائب بالخانقاه بالكجحانية بالشرف الاعلى ومد له قاضي القضاة شهاب الدين بن الفرفور بها مدة مفتخرة بألوان كثيرة .

وفي يوم الخميس مستهل سنة خمس وتسعمائة وهو ثامن آب وصل من مصر الى قبة يلبغا خاصكيان ، أحدهما تمراز الزردكاش ، والآخر تم النجمي ، فالاول أتى لاجل تسفير النائب جان بلاط المشار اليه الى مصر ليولى الاتابكية الكبرى بها ، والخاصكي الثاني أتى لاجل تقليد قصروه نائب حلب بكفالة الشام ففرح الناس بعزله فرحا شديدا لكثرة ظلمه وجراءته .

وفي يوم السبت ثالثه / دخل الخاصكيان المذكوران الى دمشق مخلوعا عليهما (ص ٢٨) بأخضر وطراز خاص وتلقاهما المعزول وأرباب الوظائف على العادة ، ثم نزل بالاصطبل فقرئت المراسيم بما تقدم ذكره وبالانكار على أركاس المعزول من نيابة طرابلس ، وعلى برد بك المعزول من نيابة صفد ، وعلى قرقماس اليحياوي المعزول من حجوبية دمشق لعدم سفرهم لما عزلوا الى الابواب الشريفة وانهم لم يحضروا الى مصر .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره وهو تاسع عشر آب خرج النائب المعزول من دمشق ومعه خلق كثير واستخدم عبيدا سودا كثيرة أيضا وهو خائف من السلطان الملك الظاهر ونزل الجميع قرب القبة فوقع منهم نهب كثير في الزروع والفواكه والمغلات .

وفي الحال لحقه الخاصكي تمراز المسفر له ثم ظن الناس ان النائب المذكور

يمسك ويقبض بوادي عارا وأن الماسك له نائب غزة ومشايخ تلك البلاد سيا وقد قتل من قرب أحد مشايخها خليل بن اسماعيل وغيره .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره وبعد عصره سافر الجميع من محل نزولهم .

وفي بكرة يوم الاربعاء حادي عشر المحرم المذكور وصل الامير مسيد متسلم النائب الجديد قصروه اتى على مدينة بعلبك ثم على دمر وبها صلى الصبح يومئذ ، ثم مر على الصالحية ، ثم مر بالمصطبة . ونزل بها ، وفصل له جماعة من الاكابر قماشا وركب الشافعي الفرفوري ، والحنفي الفرفوري ، والحنبلي المفلحي ، للسلام عليه ، أما المالكي الجديد ابن يوسف الاندلسي فسافر الى حلب لملاقاة النائب .

وفي يوم الخميس ثاني عشريه وهو تاسع عشري آب دخل الامير مسيد المتسلم المذكور الى دمشق بخلعة من أستاذه ، وتلقاه الناس على العادة ، ثم أمر بالمناداة بالامان وابطال المحرمات على العادة ، وخلع عليه قاضي القضاة الشهابي الفرفوري خلعة كفوي بقر وسمور وسلاري الجميع بنحو مائة دينار ، وخلع عليه نائب القلعة والحاجب وقاضي الحنفية كما هو العادة أربع خلع على المذكورين فقط .

وفي يوم الجمعة ثالث عشريه صلى المتسلم المذكور الجمعة بمقصورة الجامع الاموي ، والعادة أنه لا يصلي بها من ارباب الدولة الا السلطان كما أخبر شيخ الاسلام ، وابن اشياخه العلامة بدر الدين أبو الفضل الاسدي .

[قصروه]

٧٤

وفي يوم الثلاثاء خامس صفر من سنة خمس وتسعمائة المذكورة وهو عاشر أيلول دخل النائب الجديد قصروه من حلب الى دمشق دخولا حافلا وصحبته جماعة من الامراء الذين كانوا مع أقبردي العاصي الذي مات بحلب ، ودفن بها بتربة النائب أزدمر ، ثم خشيَ عليه من نائب حلب الجديد الآتي اليها دولتباي

عدوه أن ينبشه من قبره ويحرقه فأتى به صحبته في سحلية ولاقوة الا بالله .

ثم سير النائب قصروه المذكور تحت قلعة دمشق على العادة وصحبته الحاجب وخواص نفسه ، ووقف القضاة قدام تربة تغري ورمش عند الجورة ، ثم دخل من سوق جسر باب الحديد وأتى الى باب السر فنزل وصلى على العادة ، ثم ركب ودخل دار العدل .

وفي بكرة يوم الخميس سابعه وهو ثاني عشر أيلول أواخر أيام الصيف ذهب القضاة الاربعة الى دار العدل ليلبسوا خلعهم على العادة اذ كل نائب جديد يخلع على القضاة الاربعة عقب دخول كفالته ، فلم يخرج لاحد ، فظن بعض الناس أنه متوعك وبعضهم أنها لم / تفرغ من الخياطة وبعضهم أنه أخر ذلك حتى تصل (ص ٢٩) هداياهم ويفصلها منها .

وفي هذه الايام أمر النائب المذكور بصلب ابن الحنش الذي سعى على ناصر الدين ابن عمه عند النائب الماضي وأخذ البلاد ، وكان السبب في نهبها وهتك حريمها ، وحريق قراها وقتل خلق كثير ، فلما صلب عاد ابن عمه المذكور اليها .

وفي يوم الجمعة ثامنه لبس القضاة المذكورون خلعهم على العادة .

وفي صبيحة يوم الاثنين حادي عشر صفر المذكور أوكب النائب وطلب زعر الشاغور أن يمر في موكبه على محلتهم ، وقد أخذوا مالا كثيرا من الخلق وشعلوا له وزينوا من جانب زاوية المغاربة[1] الى حارة القراونة[2] وعتوا بسبب ذلك عتوا

---

(١) هي التي ذكرها النعيمي في تنبيه الطالب (٢ / ٢٠٤) باسم الزاوية الوطية وقال انها شمالي جامع جراح برسم المغاربة على اختلاف أجناسهم .

(٢) هي في حي الشاغور شمالي مقابر باب الصغير يفصل بينهما الطريق العام والظاهر أن سكانها القدماء من التركمان حتى سميت القراونة نسبة لكلمة « قرا » التركية بمعنى أسود وكلمة قرا تكون غالبا في أول الاسم التركماني ككلمة « يان » في آخر كل علم أرمني .

كبيرا ، وكان كبيرهم شاب يزعم أنه شريف اشتهر بقريش ، وبعد أيام صلبه النائب .

وفي هذا اليوم المذكور سافروا بالسحلية[1] التي بها أقبردي قاتله الله الى مصر ليدفن هناك .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر صفر المذكور أمر النائب بتوسيط[2] الشاب ابن الشيرازي المزي لكونه أقر بأنه قتل أخا شعبان الذي كان قد أعان على قتل والده وكان قد أخذ ديته منه ومن غيره .

وفي ليلة الجمعة سادس ربيع الاول سنة خمس المذكورة سافر النائب المذكور من دمشق الى عرب بني صخر الى أن جاوز اربد بعسكر كثير فقتل منهم نحو العشرين ، وقبض على آخرين ، وكسب منهم دوابا كثيرة غنما وبقرا وابلا ، ثم رجع الى اربد يوم الاحد خامس عشره وارسل مبشرا بذلك فدقت البشائر بدمشق يوم الثلاثاء سابع عشره .

وفي عشية يوم الاربعاء خامس عشريه رجع النائب الى دمشق ، وفي هذه الايام كثر الظلم بدمشق من الاستادار الذي أقامه النائب المذكور وجعل عليه في كل شهر نحو عشرة آلاف دينار ولاقوة الا بالله .

وفي بكرة يوم الخميس رابع عشريه رجع الى دمشق الخاصكي الذي سافر على الهجن لمراجعة السلطان في المراسيم التي أنكرها النائب وأتى معه خلعة الشتاء للنائب فلبسها من القبة ودخل بها دمشق على العادة .

---

(١) الصندوق الذي يوضع فيه الميت بلغة أهل دمشق .

(٢) التوسيط أحد أنواع الاعدام في عصر المماليك وطريقته أن يعرى الشخص من الثياب ، ثم يشد الى خشبة مطروحة على الارض ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه الى الارض .

وفي يوم الاربعاء سادس جمادى الآخرة سنة خمس المذكورة وهو ثامن من كانون الثاني اجتمع اهل محلة مسجد القصب وكبروا على بعض حاشية النائب لاجل رمية كثيرة رميت على محلتهم لاجل قتيل وجد بتلك المحلة ، فلما بلغ النائب أخرج اليهم جماعة ملبسين وأمر بتوسيط رجل كان ممسوكا عنده من تلك المحلة ، فوسط مظلوما ، وكاد أن تقع فتنة ولم يكن الحاجب الكبير حاضرا ، ولادوادار السلطان ، بل مسافرين فذهب الشافعي والحنبلي الى النائب وحدثاه ، فأمر بالمناداة بالامان فسكنت الفتنة .

وفي أوائل رجب منها اتفق مع النائب مملوك جانم مصبغة وقد عزل من نيابة القلعة ، وقد تأخر خروجه منها باشارة النائب له في الباطن ، ولم يمكنا من ورد المرسوم الشريف بتوليتها له وهو نقيبها الامير أزدمر الاشقر اليحياوي بل خرج من سكنه بها الى خارجها خوفا منها .

وفي يوم الاحد سادس عشره ظهر وأشهر ذلك للناس بدمشق ، فخاف النائب حينئذ وأمر بالمناداة بأن القلعة قلعة السلطان والمماليك مماليك السلطان وأن أحدا لايتكلم فيما لايعنيه .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشري رجب المذكور وشباط ألبس النائب نيابة القلعة المذكورة ونقابتها لملوكين من جماعته وخلع عليهما وطرد المعزول مملوك جانم مصبغة وأخذ ماله وطرد أيضا أردمر المذكور /. (ص ٣٠)

وفي أوائل شعبان منها فرغت عمارة تربة النائب عند سيدي أرسلان .

وفي هذه الايام شرع النائب في الاحاطة على قمح الناس وتحويله الى قلعة دمشق بعد أن وضع يده عليها والناس في حيرة بسبب ذلك .

وفيها أيضا وصل من مصر نقيب لقلعة دمشق فلم يمكن منها حتى يراجع فيه .

وفي أواخر شعبان المذكور أخرج النائب جماعته الى ابراهيم باك نائب حمص فعزله ونهب بيته وموجوده .

وفي هذه الايام وصلت خلعة النائب من مصر فلم يلبسها لغيبة جماعته المذكورين .

وفي يوم الخميس ثالث رمضان دخل من مصر الى دمشق متسلم قلعة دمشق لاستاذه الذي بمصر وكان هذا المتسلم له مدة أيام نازلا بتربة بالقبيبات واجتمع بالنائب وخلع عليه وأنعم عليه بمال قيل مائة دينار وقيل غير ذلك وأمره بالرجوع الى مصر ، وعوض أستاذه بدل نيابة القلعة امرته كان قد سعى فيها النائب ولم يسلمه القلعة ، قيل وأمره أن لا يبيت بدمشق .

وحكي آن أرباب التقويم يعتقدون أنه تقع فتنة في شهر رمضان المذكور أو قربه وأنه يفقد رجل كبير وحسب للنائب قصروه المشار اليه ولقانصوه السلطان يومئذ ولدواداره طومان باي فرأى النائب غالبا لهما فالله يحسن العاقبة بمنه وكرمه .

وفي هذه الايام عقب جماعة النائب من حمص خرج جماعة ابراهيم باك المعزول وقتلوا جماعة من جماعة النائب الذين كانوا حزبا للنائب الذي أقامه نائب دمشق نائبا جديدا بها .

وفي يوم الاثنين سابع رمضان المذكور وهو سادس نيسان لبس النائب خلعته المتقدم ذكرها كاملية حمراء بمقلب سمور لبسها من قبة يلبغا ودخل بها دمشق على العادة ، وأوقد له العوام بمحلة باب الجابية وزينوا فلما وصل ونزل دار العدل خلعها على قاضي الشافعية الشهابي الفرفوري فلبسها وأتى إلى منزله ، فلما نزل خلعها على دوادار النائب فرجع بها إلى بيته ، وهذا الفعل الذي فعله النائب مع الشافعي مشكل جداً لأمرين : الأول كونها حرير ، والثاني غير زي القضاة في تفصيلها ولكنها مصادرة في حسن عبارة ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس عاشر رمضان المذكور وفي أمسه أكثر العبيد السودان الذين وكلهم النائب بالقلعة من إطلاق البارود بالكفيات[1] على جوانبها ليظهر لقاصد السلطان الذي أرسله إلى ملك الروم ابن عثمان بهدايا سنية أبهة أخذه لقلعة دمشق .

وفي ليلة هذا اليوم أرسل النائب دواداره الثاني طقطباي بمكاتبات منها مكاتبة هذا القاصد الذي بالقبية وأركبه هجناً ليذهب عجلاً إلى السلطان ويتلافاه ، وأنه يقوم برسم القلعة المعتاد عليها ، وتكون بيده ، وكان قد سافر قبله بنحو يومين نقيب القلعة ومتسلمها اللذين لم يمكنها منها فلأجل ذلك أرسل دواداره المذكور عقبهما خوفاً منها مما يترتب على ذلك ، وكان قبل بيومين قد أعاد جماعته إلى حمص لتأييد نائبها الذي أقامه هو وللنظر في أمر من قتل بها ، وأمد جماعته أيضاً بالأمير المعروف بابن القواس وجماعته .

وفي يوم الأحد عشري رمضان المذكور سافر من دمشق إلى الروم قاصد السلطان إلى ملكها ابن عثمان .

وفي هذه الأيام اشتهر بدمشق أن العرب شوشوا على أرباب قلعة كرك الشوبك وأن السلطان عين أربعمائة وقيل خمسمائة مملوك وأنهم خرجوا / من مصر (ص ٣١) وأن باشهم الأمير سيباي وأن يجتمعوا بغزة إلى أن تأتيهم نواب السلطان فلما سافر طومان باي إلى الصعيد توقفوا ، وشرع نائب دمشق في استخراج مال أهل الأرماح .

وفي ليلة سلخ رمضان المذكور وصل قاصد النائب الذي أرسله إلى مصر وهو طقطباي دواداره الثاني ولم يجبه السلطان إلى أخذ القلعة وإبقائها معه ، وقد

---

(١) الكفيات آلات كان يطلق منها النار بواسطة البارود تحمل بالكف فلذلك سميت الكفيات جمع كفية وهي تشبه ما يسمى (قربينا) أو طبنجة

تبين أن الدوادار الكبير طومان باي لما تزوج بمطلقة جان بلاط الأمير الكبير بمصر يومئذ وتزوج هو بأخت السلطان الناصر الذي قتله طومان باي فأغرته على طومان باي فوقع الاختلاف .

وفي يوم الجمعة ثاني شوال سنة خمس المذكورة وهو أول أيار سافر طقطباي المذكور إلى استدعاء نائب حلب أخي طومان باي قيل بإشارة أخيه لنائب الشام ليكونوا حزباً على حزب السلطان ، وأشاع الصداقة بعد العداوة .

وفي هذه الأيام شرع النائب في أفعال تليق بالسلطنة فعزل قرقماس أتابك دمشق ، قيل وولى غيره فيها ، وعزل الحاجب الكبير بها الذي هرب إلى مصر وولى الأمير مغلباي عوضه ، ثم شرع أيضاً في تحصيل آلات القتال جميعها بحيث تريب أهل دمشق .

وفي هذه الأيام طلع نجم بالليل له ضوء طويل إلى جهة القبلة قريب ذراع بالنجاري يسير من المشرق إلى المغرب يخرج أواخر الليل .

وفي بكرة يوم الاثنين خامس شوال المذكور سافر النائب من دمشق في أبهة حافلة بعسكر كثير ومشاة كثيرة بأنواع عدد الحرب ونزل على جسر زينون[1] قيل وأرسل إلى نائب طرابلس يلباي الاينالي المؤيدي بالقبض عليه لكن قيل أنه هرب في البحر إلى مصر ، واشتهر أن الأربعمائة مملوك وباشهم سيباي المذكور وصلوا إلى غزة ، قيل لأجل قلعة كرك الشوبك ، وقيل غير ذلك .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال المذكور دقت البشائر بدمشق بأن النائب قبض على بلباي نائب طرابلس المذكور ، وأنه أخرج من فراش تمرضه إلى بين يديه بدار العدل بها فقبض عليه ، وأنه آت في الحديد ، وخلع بدمشق على المبشر .

---

(١) هذا الجسر على طريق بيروت قبل شتورا مما يلي دمشق بنحو ٧ كيلومترات ويقع على نهر الليطاني .

وفي هذه الأيام اشتهر أن طومان بـاي دوادار السلطـان بمصر سـافر منهـا إلى الصعيد أيضاً .

وفي بكرة يوم الثلاثا عشري شوال المذكور رجع النائب إلى دمشق بـالعسكر المذكور وصحبته نـائب طرابلس بلبـاي في الحـديـد وأنزلـه في بيت المحتسب ، ثم فكه من الحديد واعتقل علي خازنداره لأخذ مـالـه منـه ثم نودي عنـه بـدمشق في اليوم المـذكور بـإبطـال استخـدام أهل الـزعـارة مشـاة قـدام الحكام وصلب اثنين منهم .

وفي يـوم الأربعـاء حـادي عشري شـوال المـذكـور خرج النـائب بـالعسكر وأرباب الدولة بدمشق إلى قبة يلبغا لملاقاة خـاصكي خـاص اسمـه اقبـاي الطـويل من انية[1] النائب من مصر وصحبته قاض وشاهدان ، وقيل أن النائب أرسل إليه إلى مصر ليدخل في قضية القلعة ، قيل وحلف له السلطـان بـأن لا يغير عليـه أن تسلمها ودخل به إلى دمشق دخولاً حافلاً ، وأتي به إلى بيت جوار جـامع تنكز ولم ينزله بدار العدل ولم يقرأ له مرسوماً ظاهراً فالله يحسن العاقبة .

ثم اشتهر بـدمشق عـدم سماع كلمـة أقبـاي الخـاصكي المـذكور وجعل معلـوم تسفيره على قضاة القضاة بدمشق .

وفي يـوم الخميس ثـاني عشر شـوال المـذكـور خرج محمـل الـوفـد الشريف من دمشق وأميرهم ناظر الجيش الخواجا ابن النيربي ، وخرج النائب وأرباب الوظائف لوداعه على / العادة . (ص ٣٢)

وفي يوم الجمعة ثـالث عشريـه عقب صلاتها دخل دمشق دوادار النـائب من صفـد وقـد تحيـل بـالمكر على قبض نـائب قلعتهـا ، وكان نـائب صفـد قـانصـوه

---

(١) كذا في الأصل .

اليحياوي في الباطن مع نائب الشام ، وفي الظاهر مع السلطان مكر فلما علم السلطان بمصر أرسل مرسومه إلى نائب قلعة صفد بالقبض على نائب صفد ، فلما وصل دوادار نائب الشام المذكور إلى أوائل صفد أظهر نائبها المنعة مكراً فقبضه الدوادار المذكور واستدعى نائب قلعة صفد أن تعال تسلم مني نائب صفد وضعه عندك في القلعة حيث رسم به السلطان ، فظن أن الأمر كذلك فنزل إليه فقبض عليه وأفلت نائب صفد قانصوه المذكور وسلمه قلعتها ، ثم رجع إلى دمشق في اليوم المذكور ، ثم شاع بها أن النائب آخذ قلعة الصبيبة[1] أيضاً وأن متسلم نائب صفد الجديد آتى إلى صفد من مصر فقبض عليه نائبها المعزول .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشري شوال المذكور قبض النائب على مملوك سيباي واسمه قضا بردي وكان دواداراً لبعض حجاب دمشق رآه راكباً واقفاً بسوق الخيل فقبضه وأتى به إلى دار العدل ثم نهره ، وقال أنت تقيم الفتنة ثم أمر بصلبه بالمشنقة وكانت حينئذ بالخراب عند مأذنة الشحم ، فخرج به المشاعلية ومماليك النائب إلى المشنقة فصلبوه بها ، وقيل أن الذي أغرى النائب عليه هو نائب صفد قانصوه المذكور فإنه عدوه من حين كان حاجباً بدمشق ، ثم شاع في اليوم المذكور بأن دوادار سكين قاصد السلطان وصل إلى حلب بخلعة نائبها دولتباي بكفالة دمشق وأنه لم يمتثل ذلك ولم يلبسها من تحت يد السلطان وأظهر مخالفته أيضا ثم قتل القاصد المذكور .

وفي يوم الجمعة سلخ شوال المذكور دخل من حلب إلى دمشق قاضي القضاة ابن الشحنة بعثة نائبها دولتباي وصحبته الخلعة التي أتى بها دوادار سكين المقتول وليعتذر عنه في عدم لبس خلعة النائب بالشام وأنه معه على السلطان ، قيل

---

(١) هي قلعة عربية بأعلى جبل شاهق تطل على بلدة بانياس التابعة للقنيطرة ويدعوها العوام بقصر النمرود وهي اليوم خربة وكان لها ذكر وشأن في الحروب الصليبية .

ويشفع في الهارب إلى حلب دوادار السلطان بدمشق لعله بحمص جان بلاط الذي نهب النائب بيته ، وولي فيها الأمير مسيد عوضه لهروبه من دمشق .

وفي يوم الجمعة المذكور سافر من دمشق راجعاً إلى مصر الخاصكي أقباي الطويل الذي ورد من مصر في أمر الصلح بين السلطان والنائب فلم يجب وخرج النائب لوداعه وقد خلع عليه خلعة سنية .

وفي يوم الأحد ثالث ذي القعدة سنة خمس المذكورة وهو أول حزيران شاع بدمشق أن جماعة أمير العرب جانباي آل مراي المحبوس بقلعة دمشق حينئذ عوقوا الوفد الشريف بالبرية بمدينة أذرعات وأخذوا جمال الوفد إلى أن يطلق النائب لهم أميرهم جانباي المذكور فحصل بذلك على المسلمين غم كبير زيادة على ماهم فيه من خوف الأراجيف .

وفي يوم الثلاثا خامس ذي القعدة المذكورة خرج من دمشق دوادار النائب بعسكر إلى جهة القبلة فقيل ليولى نائباً بغزة ، وقيل إلى ابن مساعد وقيل إلى غير ذلك .

وفي هذه الأيام وصل الخبر إلى دمشق من القدس الشريف بأن نائبها الجديد قتل بالأقصى عدة أحد وعشرين نفساً في رابع عشر شوال وأن وصوله من مصر إلى القدس كان قبل العيد بيوم ، فهرب منه أكابر القدس ، وشكي عليه إلى السلطان فصرح بعزله فلم ينفذ المباشرون عزله لشغلهم بما هم فيه من أمر نائب الشام ، فروجع نائب الشام في أمر نائب القدس المذكور فأرسل إلى دواداره بكتاب بحصره والقبض عليه .

وفي هذه الأيام أمر النائب بتجديد ما خرب من مفترجات الربوة فجددت وهرع / الغوغاء ...[1] للتفرج بها[2] . (ص ٣٣

(١) كلمة أكلتها الارضة .

(٢) انظر عن الربوة ومفترجاتها كتابي : جبل قاسيون وفي رحاب دمشق لمحمد أحمد دهمان .

وفي يوم الخميس حادي عشري ذي القعدة المذكور وصل إلى دمشق قاصد قاضي الشافعية ابن الفرفور ... من مصر فاجتمع القاصد حال وصوله بالنائب وحادثه ثم رسم عليه .

وفي عشية اليوم المذكور عمل النائب مولداً بالاصطبل في العمارة التي جددها جان بلاط المنفصل عن دمشق ، وحضر الأكابر هذا المولد .

وفي هذه الأيام وصل إلى دمشق جماعات من عسكر السلطان الذي أرسلهم إلى غزة مخامرين عليه طائعين النائب ، وأخبروا أن باشهم سيباي طائعاً له أيضاً .

وفي يوم الجمعة تاسع عشري ذي القعدة المذكور أمر النائب بإشهار المناداة بدمشق بأن غداً لا تخرج امرأة ولا صبي للفرجة على دخول سيباي باش العسكر المتقدم ذكره ، وسيأتي أن السلطان الملك الظاهر فقد في ليلة هذا اليوم من قلعة مصر .

وفي بكرة يوم السبت سلخ ذي القعدة المذكور دخل سيباي باش العسكر المذكور إلى دمشق طائعاً للنائب مخامراً على السلطان لأمور كثيرة منها سفر طومان باي إلى الصعيد واختلاف قلوب الدولة وآرائهم ، وأن نائب الشام ملك طرابلس وصفد وغيرهما ، وأن طومان باي وأخاه دولتباي نائب حلب حزبه ، ومنها تسفير النائب دولتباي إليهم بعساكر ومشايخ البلاد واستمالة الجميع بالنفقة ، وربما سمعوا أيضاً بأن قانصوه خمسمائة حياً مختفياً بدمشق كما قيل لقوة قلب النائب ، وربما سمعوا بأن السلطان نهب بيوت جماعة منهم ، وربما سمعوا أيضاً بأن طومان باي أرسل إليهم يحذرهم من العود إلى مصر خوفاً من السلطان ، وبلغني من بعض الأكابر أن هذه الأمور من طومان باي بسبب النساء كما تقدم ، وحينئذ مالوا إلى طاعة النائب ، وكان قد وصل إليهم بغزة جانم نائب صفد الجديد الذي تولاها من السلطان مكان قانصوه الذي أقامه نائب الشام ، فأشار

عليه سيباي المذكور بالدخول معه في طاعة النائب فدخل معه إلى دمشق يومئذ الجميع في أبهة حافلة ، ولم يخرج النساء خوفاً من مخالفة المناداة بالأمس ، ونزل سيباي ومن أتى معه بالقصر بالميدان .

وفي عشية اليوم المذكور ضُرب النائب مهمنداره[1] الذي كان حبسه عقب خلعة أتت له على يديه من مصر وعقب ضربه له مبرحاً فضربه حينئذ أيضاً ثم أمر بصلبه فنودي عليه وصلب حين غروب الشمس من اليوم المذكور وله حريم وعدة أولاد صغار ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الأحد مستهل ذي الحجة ثامن حزيران أخبر بعض الأكابر بان ديوان النائب أخبره أن مصروفه كل يوم ألف دينار ، من اللحم عشرون قنطاراً ، ومن الدجاج عدة مئة ، ومن الأوز عدة عشرين ، ومن الخرفان المميس عدة عشرة ومن الشعير كل يوم ثلاثين غرارة وأشياء غير ذلك وأنه على كرم كثير .

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة المذكور أوكب النائب في الميدان الأخضر ومعه سيباي وجماعته وغيرهم على عادة المواكب الحافلة ، ثم أتوا إلى المعقل الجديد بالاصطبل ، وحضر القضاة وأظهر لهم مطالعة وأنها من السلطان الملك الأشرف قانصوه خمسمائة ، وأنه حي باق ونودي له بالسلطنة وأظهر الحاضرون الفرح والتخلق بالزعفران ودقت بشائر دمشق .

قلت :

وسيأتي أن الأمير الكبير بمصر جان بلاط تسلطن بها في هذا اليوم ، وربما يكون في هذه الساعة وهو من العجائب .

---

(١) المهمندار هو من يقوم بأمور قصاد الملوك ورسلهم .

(ص ٣٤) وفي هذه الساعة خلع النائب قصروه المشار / إليه على خير بك نائب غزة بنيابتها ، وعلى قانصوه نيابة صفد .

وفي يوم الجمعة سادسه حضر النائب خطبة الجمعة بالجامع الأموي ، وقد أخليت له المقصورة ، وخطب السراج الصيرفي ودعا في الخطبة للسلطان الملك الأشرف يعني قانصوه خمسمائة والنائب يسمعه وبأمره أيضاً ، فلما فرغوا من الصلاة بلغني أن بعض المماليك المصرية هدد الخطيب خفية ، وقال له أنت شيء يقتدى بك في الدين وتقلد في الكذب .

ثم بعد ساعة ووصول النائب إلى دار السعادة شاع بدمشق أنه وصل من مصر أمير في مدة ستة أيام وأخبر بأن طومان باي الدوادار دخل من الصعيد إلى مصر بعسكر كثير وتلقاه فيها خلق كثير أيضاً وأنه حاصر قلعة مصر وقبض على جماعة منهم قنبك الرماح وعلى ططر الذي ولي الدوادارية مكانه ، وعلى جماعة أخر وأن الأمير الكبير جان بلاط نزل إليه طائعاً وأنه قتل جماعة .

وفي يوم الأحد ثامن ذي الحجة المذكور اشتهر بدمشق بأن السلطان الملك الظاهر المنتصب اختفى من قلعة مصر ، قيل أنه خرج منها في زي امرأة ثم اختفى أو تسحب فالله يحسن العاقبة .

وفي اليوم المذكور سافر خير بك نائب غزة الذي خلع النائب عليه بها وخرج النائب لوداعه وأخرج صحبته جماعة من المماليك إعانة له .

وفي يوم الثلاثاء عاشره وهو عاشر تموز عيد الناس وخرج النائب إلى المصلى على العادة وصحبته الأمراء المصريون في أبهة حافلة ، وخطب الشافعي الفرفوري على منبر المصلى ، وسمى الملك الأشرف أيضاً ، فلما فرغوا من الصلاة خلع عليه وعلى المرقي خلعتين حمراوتين خلعة الخطيب المذكور حرير بمقلب سمور خاص ،

والمرقي صوف ، ثم خرج النـائب على العـادة إلى المنحر ونحر أضحيـة كثيرة ، ثم ركب والقضاة والمصريون ورجعوا إلى منازلهم .

وفي ليلة الأربعاء حادي عشر ذي الحجة رجع إلى دمشق دوادار النائب الذي كان خرج بـالعسكر إلى غزة دخل ليلاً خفيـة بغير صنجق وأبهـة وقـد تفرق عنـه جماعته .

وفي هذه الأيـام اشتهر بـدمشق بـأن السلطـان قـانصوه الظـاهر خلع نفسـه بحضرة تنبك الجمالي وغيره لما سمع بأن طومان باي قبض على قنبـك الرمـاح وعلى ثلاثـة أخر ثم دخل الخـالع بنفسـه إلى الحريم وخرج من القلعـة مـع الحريم في زي امرأة ، وأن الملـك استمر ثـلاثـة أيـام شـاغراً ، وأن الأمير الكبير بمصرجـان بـلاط تسلطن ولقب بالأشرف كما خطب بذلك على منابر دمشق لقانصوه خمسمائـة ، وأن تسلطنـه كان يوم الاثنين ثـاني ذي الحجـة ، ثم اختلفوا بـدمشق فيمن تـولى الإمرة الكبرى ، فقيل طومان باي ، وقيل أرسل إلى نائب الشام قصروه المشار إليه بـأن يخير بين أن يستمر في نيابة الشام ويلبس الخلعة التي بعثت له وبين أن يسـافر إلى مصر ويتولى الإمرة الكبرى بها ، وقيل أن تنبك الجمـالي تولى الإمرة الكبرى بهـا ، وأن طومان باي استمر على الدوادارية على عادتـه وأضيف إليـه وظـائف أخر ، ثم إن أربـاب التقويم أخبروا بـأن جـان بلاط لا يستمر في الملـك كثيراً بل إن طـالت مدته فإلى نصف سنة أو نحوها ثم بلغني عن نائب الشام قصروه بأنه لم يرض بجـان بلاط سلطاناً وأنه لا يطيعه بل يسافر إلى مصر لخلعه منها .

وفي أواخر ليلة الثلاثـاء رابع عشري ذي الحجـة دخل الأمير قصروه / الصغير (ص ٣٥) من مصر إلى دمشق خفية بخلعة نائب الشام قصروه فلم يمتثل ولم يلبسها ، ثم بعـد أيام رجع القاصد المذكور بالخلعة إلى مصر .

وفي يوم الخميس سادس عشره دخل من حماه نائبها يخشباي إلى دمشق .

وفي يوم الجمعة سابع عشريـه سـافر من دمشق إلى مصر الأمير سيبـاي البـاش الـذي أتى من غزة إلى دمشق ، ثم لما تولى السلطـان الجـديـد المذكور أنعم عليـه بالحجوبية الكبرى بمصر ، فسافر إليها يومئذ وخرج النائب لوداعه وقد خلع عليه خلعـة حمرا بسمـور خـاص ، وسـافر صحبتـه خلـق كثير إلى مصر من المصريين وغيرهم ، وكان قد سبقه غالب المماليك المصرية .

وفي يوم الخميس عـاشر محرم سنـة ست وتسعمائـة نودي بـأمر النـائب قصروه بدمشق كذباً ومكراً بأن المراسيم الشريفـة وردت من مصر من السلطـان الجـديـد الملك الأشرف قانصوه خمسمائة بالأمان والاطمئنان .

وفي هذه الأيام عزل النائب لقانصوه الذي ولاه نيابة صفد وكان نائبهـا قبل نائبها الجديد جانم الذي كان السلطان الظاهر ولاه إياها وعزل قانصوه المذكور ، وكان جانم المذكور قد جـاء إلى دمشق صحبـة سيبـاي البـاش كما تقـدم ذكره ، ثم قدم إلى دمشق قانصوه المعزول بعد أن نهب أموال طوائف خارج صفد وأتى بها إلى دمشق فشكوا إلى نائب الشام فردها عليهم ، وشاع فيهـا أيضـاً بـدمشق بـأن خير بك الذي ولاه النائب نيابـة غزة هرب إلى مصر وأنـه وليهـا مكانـه من السلطـان الجديد ابن سلطان شركس الذي هرب من حجوبية دمشق إلى مصر .

وفي يوم الجمعة رابع عشري المحرم سنـة ست المـذكورة وهو عشرون تموز رجع دوادار النائب إلى دمشق من عند نائب حلب .

وفي هذه الأيام ولى النائب نيابة القدس لرجل في هيئة زي فقيه .

وفي يوم الاثنين ثامن عشريه سافر إلى كفالته وخرج بعسكره معه مودعاً له في حفلة .

وفي يوم الأربعـاء مستهل صفر منهـا وهـو سـادس عشري آب تبـاشر النـاس بقدوم كتب الوفد .

وفي يـوم الاثنين سـادسـه دخلت إلى دمشـق وقـد عراهم العرب عنـد قريـة الصنمين ، وفي كتبهم أن الحاج الشامي مكث بمكة تسعـة عشر يومـاً ، وأن الحـاج جاء من طريق عرفجة بينها وبين أذرعات سبعـة أيـام ، وأن الحـاج مثقل ، وأن الكتب كتبت بمنزلة عرفجة المذكورة ، وفي يوم سابع عشري المحرم كتبت ، وفيهـا أنهم يصلون إن شـاء الله تعـالى إلى دمشق في عـاشر صفر ، ثم تـأخروا عن الـوقت المذكور ، وعوقوا بأذرعات أياماً فلم يدخلوا دمشق إلا في يوم الثلاثا خامس عشر صفر وأخبروا أن الوقوف بعرفة كان يوم الاثنين ثم الثلاثا .

وفي يوم الأربعاء ثامن صفر المذكور نـادى النـائب بـالرحيل غـداً إلى جهـة حلب وقد حدثته نفسه بـالسلطنـة ، ثم سـافر في يوم الخميس تـاسعـه بعسكره إلى الجهة المذكورة ، وحط على المصطبة ، ثم رحل يوم السبت وخلع نيابة الغيبة على مغلباي الذي ولاه حجوبية دمشق .

وفي يوم الجمعة مستهل ربيع الأول وهو رابع عشري أيلول شاع بـدمشق بـأن طومان باي قد باين السلطان الجديد جان بلاط وارتحل عنه ، وأن نـائب الشـام يومئذ على أبواب حلب لم ينل مراده .

وفي يوم الأحد ثالثه وردت مطالعة النائب بأنه ترامى علينا القضاة والعلماء والأكابر بحلب في الصلـح بيننـا وبين كافلهـا فـأجبنـاهم إلى ذلـك وكتب خطـه بذلك ، وحلف فقرئت هـذه المطـالعـة / بحضرة نـائب الغيبـة الحـاجب مغلبـاي (ص ٣٦) ودقت بشائر دمشق لذلك أياماً ونودي بـالزينـة وحرضوا عليهـا تحريضـاً كثيراً ، وحصل فيهـا من المفـاسـد مـا لا يمكن وصفـه ، واستمرت إلى يوم دخولـه دمشق ، وقد أخذ غالب بلاد الشام من السلطان وحدثته نفسه بـالسلطنـة ولا يعـد جـان بلاط سلطاناً .

وفي يوم الخميس رابع عشره دخل النائب إلى دمشق من المصطبة بعد أن أقـام

بها أياماً ودخل في أبهة حافلة على هيئة السلطنة وأوقد له من شرقي مسجد القصب إلى عمارة الاخنائي[1] إيقاداً مهولاً زائداً على بقية الأماكن التي مر بها مع بقاء الزينة من أوائل الشهر إلى يومئذ في جميع أسواق دمشق ليلاً ونهاراً ، وسهر أرباب الأسواق وقلقهم وتضجرهم من ذلك ، ولما نزل واستقر بمنزله أمر بإشهار المناداة لأهل دمشق : أن بيض الله وجوهكم وأكثر خيركم وارفعوا زينتكم ، ففي الحال رفعت .

وفي هذه الأيام شرع النائب يصادر الناس بحجة كشف الأوقاف والحال أنها كشفت قريباً ، وطلب من القضاة الكبار والشهود الكبار مالاً ، وقبض على البدري الفرفوري قاضي الحنفية ، وزاد ظلم جماعته ، وقتل رجل طباخ بحارة الشعيرية[2] فصادر ملاك تلك المحلة وما حولها بمال كثير ، وقتل رجل آخر بمحلة حارة القصر قريباً من قناة البريدي ، وقبض القاتل ومع ذلك صادر ملاك تلك الحارة وما حولها أيضاً .

وفي يوم الخميس تاسع عشريه خرج خازندار طومان باي من دمشق راجعاً إلى مصر بعد أن سافر مع النائب إلى حلب ورجع معه إلى دمشق ثم سافر في اليوم المذكور .

وفي يوم السبت سلخه سفر النائب أخاه الأمير قنبردي إلى مصر بطلب الصلح .

وفي أوائل الثلث الأخير من ليلة الجمعة ثالث أو رابع عشر ربيع الآخر منها

---

(١) هي خارج باب الفراديس لايعلم موضعها على التعيين أنشئت في القرن الثامن الهجري فصار الناس يلهجون باسمها ويقولون : عند عمارة الاخنائي ، فغلب هذا الاسم على خارج باب الفراديس وصار يسمى حي العمارة إلى وقتنا هذا .

(٢) في مأذنة الشحم قرب بحرة الأسعدية حارة مرتفعة على تلة لاتزال تسمى : تلة الشعيرية .

وهو سابع تشرين الثاني خسف غالب القمر واستمر ساعة جيدة ثم أخذ في الانجلاء إلى طلوع الفجر .

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشره أطلق النائب الحنفي الفرفوري من الترسيم بعد أن أخذ منه ومن الشهابي الشافعي مالاً قيل مبلغ عشرة آلاف دينار وقيل خمسة آلاف .

وفي يوم الاثنين ثالث عشريه رجع إلى دمشق قاصد النائب أخوه قنبردي الذي أرسله لطلب ما يرومه من أثناء الطريق حين علم بخروج طومان باي وتنبك الجمالي من مصر في عسكر كثير قاصدين النائب قصروه ليعرضوا عليه السفر إلى مصر ليولى الأمرة الكبرى إن شاء وإن شاء سلم القلاع التي أخذها واستمر على كفالة الشام على عادة النواب وإن يشأ يذهب إلى القدس بطالاً ، وإلا بارز للحرب ، فلما علم ذلك خرج في اليوم المذكور بجماعته إلى قريب قبة يلبغا ولحقهم زعر محلة المزابل قبل كأنه يعرض ، ثم رجع الجميع ، وتخبطت دمشق ونواحيها ، وشرع النائب في عمارة ماتخرب من فتنة أقبردي من باب القصر الذي بني جديداً وأصلحه وركب الخشب على سور دمشق سيا سور باب الصغير ، وعمل قاورما من البقر التي نهبها من حوران وضع ذلك بالقلعة ، وأكمل جميع مايحتاجه العاصي بالقلعة فكثر حينئذ دعاء الناس عليه ، وشرعوا في نقل أمتعتهم إلى داخل المدينة وأخلا غالب من هو ظاهر دمشق منزله ، وأطلقت الكفيات والمكاحل[1] على جانب القلعة والسور ليلاً ونهاراً ، وخاف / الناس حينئذ خوفاً كثيراً سيا (ص ٣٧)

---

(١) المكاحل جمع مكحلة أطلق على ما يسمى الآن بالمدفع ، والقنبلة التي توضع بالمدفع فتنطلق منه وتنفجر كانت تسمى المدفع لأنها كانت تندفع من المكحلة ، وسميت مكحلة لأنها تشبهها (انظر المدفع القديم في المتحف العسكري بدمشق) .
أما الكفيات فيظهر أنها كانت مدافع صغيرة تحمل بالكف فلذلك سميت كفيات وهي تشبه مايسمى (قربينا) .

من كان قريب الشوارع العظمى ، ثم نادى أن لا يخلي أحد منزله فلم يسمع له .

وفي بكرة يوم الخميس سادس عشريه أراد زعر باقي دمشق أن يعرضوا على النائب بالميدان الأخضر فوردت عليه مطالعة يخشباي نائب حماه بأنه قد وصل دولتباي نائب حلب إلى سراقب ثم رجع إلى حلب لما سمع بخروج الطائفة السهروردية التي كانت دارت ببلاد العجم وحصل شر كثير بها ، وأنهم الآن حول البيرة ، فخاف على حلب منهم ، ورجع إليها ، وإني واصل إلى خدمة مولاي ملك الأمراء ، فلما علم النائب بذلك اشتغل خاطره وكان قد أشار عليه الأمير الكبير بدمشق قرقماس بالصلح وكان قد أعدّ وهيأ فواكه كثيرة لملاقاة طومان باي لما سمع أنه على غزة وعين للسفر معها الأمير أركماس المعزول فركب في الحال وركب النائب معه من الميدان الأخضر المذكور لوداعه ولم يلتفت لعرض الزعر المذكورين ، ووصل معه إلى القبة .

وفي يوم الجمعة سابع عشري ربيع الآخر المذكور دخل إلى دمشق يخشباي نائب حماه قيل هارباً من نائب حلب ، وقيل غير ذلك ، وتلقاه النائب إلى المصطبة .

وفي يوم السبت ثامن عشريه استدعا النائب القضاة الأربعة وأرباب الوظائف واستحلفهم أنهم معه فحلفوا فاشتد الخوف ودخل غالب حاشية النائب إلى المدينة وأخرجوا جماعات من بيوتهم بها وسكنوها .

وفي يوم الأحد تاسع عشريه اشتد الخوف وقد قرب طومان باي من دمشق وأتى دوادار النائب والمحتسب إلى محلة الميدان الحصى وأمر أهلها بالرحيل فرحلوا وغلت الأسعار فاللحم رطله إلى نحو سبعة دراهم ، والدبس إلى أربعة ، والزيت إلى قريب العشرة .

وفي ليلة الاثنين مستهل جمادى الأولى سنة ست وتسعمائة المذكورة رجع

أركاس قاصد النائب قصروه المشار إليه إلى تلقي الدوادار الكبير طومان باي الذي امتلأت القلوب رعباً من خوف شره وشر من أتى معه لأجل عصيان النائب فأخبر أركاس المذكور بحسن مقصد طومان باي المذكور وحلفه له أنه لايحصل منه تشويش ولا لأهل دمشق وإنما يريد الصلح فدقت بشائر دمشق وأوكب النائب وأظهر انقياده للصلح وتخلق الأمراء بالزعفران وكثر الدعاء له كل ذلك مكراً من طومان باي .

وفي الثلاثا ثانيه سافر النائب وجماعته لتلقي طومان باي المذكور إلى محلة سعسع[1] فتلقاه تلقياً حسناً مكراً لينال مراده ، واجتمع به وأظهر له ما يطمئن به ، وكان عند النائب خفة وطيشاً فسلم له وأظهر له الصفاء واستمر دق البشائر بدمشق .

وفي ليلة الأربعاء ثالثه بات النائب عنده ودخل أوائل العسكر المصري إلى دمشق ثم كثر في صبيحة اليوم المذكور ، ثم رجع النائب ودخل إلى دمشق وقت الظهر واشتهر على الألسنة أنه هو الأمير الكبير بمصر وأن نائب حلب دولتباي هو نائب الشام عوضه وأن صحبة طومان باي المذكور الأمير قرقماس المصري هو نائب حلب وأن صحبته أيضاً الأمير بردبك هو نائب طرابلس عوض الذي ولاه النائب قصروه المشار إليه فيها ، وأن صحبته أيضاً الأمير قانصوه المشهور بابن سلطان جركس هو نائب حماه عوض يخشباي ، وأن صحبته أيضاً قاضي مالكية دمشق الشمسي الطولقي الذي سافر صحبة جان بلاط لما انفصلا من دمشق ، وأن صحبته حاجباً كبيراً بدمشق أو أن صحبته أيضاً نائب / قلعتها بإضافة عدة (ص ٣٨)
خمسين مملوكاً سلطانية مستمرة بها ، وأن صحبته أيضاً دوادارا كبيراً للسلطان بدمشق ، وأن صحبته أيضاً عدة مقدمين وخاصكية وأتباع كثيرة .

---

(١) سعسع قرية تابعة لمركز مديرية قطنا واقعة على ضفة النهر الأعوج وعلى طريق بلدة القنيطرة تبعد عن دمشق (٣٥) كيلو متراً وفي هذه القرية خان كبير من إنشاء سنان باشا الذى صار والياً على دمشق سنة (٩٩٤) وبقي فيها حاكماً سنة وسبعة أشهر .

[طومان باي يدخل دمشق]

وفي يوم الخميس رابعه أوكب النائب وأرباب الدولة وغيرهم وخرجوا لتلقي الدوادار الكبير طومان باي المذكور والأمراء المذكورين وإدخالهم إلى دمشق وقد امتلأت محالها من المماليك والأتباع وأخرجوا جماعات من بيوتهم ونزلوا بها أو عليهم فيها واختلاطهم بحريمهم ولكن مع قلة ضرر لأجل حرمة الدوادار المذكور .

ولما ارتفع النهار من اليوم المذكور طلب الطلب الأول ودخل قيل جماعة ابن سلطان شركس المذكور ، ثم الطلب الثاني ، ثم الثالث ثم الرابع إلى تتمة اثنى عشر طلباً كل طلب في أبهة حافلة بحيث تعجب الناس من ذلك ، ثم دخل الخاصكية ، ثم العشروات ثم الأمراء ، ثم الخواص ، ثم القضاة الأربعة بدمشق منهم المالكي على يسار الشافعي مخلوع عليهم بطرحة ، ثم الدوادار طومان باي المذكور ، وعلى يمينه النائب قصروه ، وتحته قنبك الرماح أمير آخور السلطان . وعلى يسار الدوادار المذكور قرقماس.نائب حلب الجديد المتقدم ذكره ، وأتباع كثيرة ، وثقل كثير ، فنزل الدوادار المشار إليه بالقصر بالميدان الأخضر ، ونزل قرقماس المذكور بمصطبة السلطان ليذهب من هناك إلى كفالته بعد أيام .

[سلطنة طومان باي]

ثم في عشية اليوم المذكور اختلى النائب بالدوادار المشار إليه بالقصر المذكور وتوافقاً على عصيان السلطان جان بلاط وخلعه من السلطنة وأن يمسكا جماعته الذين حضروا من مصر صحبته ، وأن يتسلطن أحدهما ، ويتتابك للآخر ، ثم تفرقا على ذلك .

وفي يوم الجمعة خامسه صلى النائب الجمعة بجامع يلبغا ، وصلى الدوادار بجامع تنكز ، ثم أتى كل منهما إلى منزله ، ثم أرسل الدوادار يستدعي النائب إلى

القصر فحضر في الحال ثم تحادثا هنيهة ليكمل حضور الخواص فلما حضر قنبك الرماح أشار طومان باي الدوادار المذكور بالقبض على جماعة منهم ابن سلطان شركس المذكور فقام جميع الحاضرين فرفع النائب يده ولكم ابن سلطان شركس ففي الحال وضع في الحديد مع جماعة منهم ، ورسم على آخرين ووقع الضرب بين بعض المماليك الأتباع وثارت وثارت الفتنة فعاد خوف أهل دمشق وما كانوا ظنوه وتوهموه وغلقت الأسواق وامتلأت القلوب خوفاً ولم يعلموا قصد الدوادار ولا قصد قصروه فمن الناس من يقول تسلطن قصروه ومكر بالدوادار حتى دخل دمشق ، ثم بعد ساعة لطيفة أظهر طومان باي المذكور قصده وأمر بالنداء له بالسلطنة ، وأنه الملك المؤيد ، ثم ركبا جميعاً من القصر وبيد طومان باي طبر كبير والنائب بيده عصا والمقبوضون والمرسم عليهم يساقون بين أيديهما إلى باب السر من القلعة ، ودخل الكل منه إلى القلعة فوصل الخبر إلى قرقماس بالمصطبة فهرب في الحال ونزل عسكره فيها ، فلما علم أهل دمشق بأن الدوادار المذكور تسلطن قل خوفهم فوضعت الأمراء المقبوضون في أماكن بالقلعة ، وصعد المؤيد المذكور في الحال إلى طارمة القلعة وأظهر الترس السلطاني فاشتهر أنه السلطان الملك المؤيد وأن النائب قصروه هو الأتابكي وأن نائب حلب دولتباي الذي قيل أخو السلطان المؤيد هو نائب الشام ، ثم أرسل / المؤيد المذكور في تطلب قرقماس (ص ٣٩) الهارب فوقع فأتى به وحبس بالقلعة ، ودقت بشائر دمشق وقبل له الأمراء الأرض ونجا الملك إلى جانبه على عادة السلطنة ، ثم أتى إليه القضاة الأربعة وأظهروا له البيعة ، ثم شرع الشافعي الشهابي الفرفوري في تحصيل اللبس الخليفتي للسلطان فحصله ليلاً .

وفي صبحة يوم السبت سادس جمادى الأولى المذكور ، حضر القضاة أيضاً والأتابكي قصروه وبقية الأمراء والمقدمين وأشاروا إليه بما يليق بالسلطنة ثم ألبس الأسود الخليفتي وجلس على كرسي الملك بقلعة دمشق ، وجلس عليه معه القضاة

فقط ، والأتابكي قصروه فمن دونه وقوف بجانب الكرسي ، وقدامه فبايعه القضاة ، وخطب له الشافعي الشهابي الفرفوري ، وحلف له الجميع أنهم عضده على عدوه ، وكان ذلك في الساعة الثالثة من اليوم المذكور ، وفي عشية يوم السبت المذكور دخل القضاة الأربعة على السلطان المذكور ودخل صحبتهم الشمسي ابن يوسف الأندلسي المعزول عن قضاء المالكية بدمشق ، وسلموا على السلطان على العادة ، وهنوه بالسلطنة ، فلما قاموا أمر السلطان للطولقي المالكي الذي أتى من مصر صحبته بإلزامه بيته وإعادة المعزول المذكور .

وفي بكرة يوم الأحد سابعه استقر أركماس الذي كان أرسل في الصلح في نيابة حلب وخلع عليه بذلك ، وأرسل السلطان إلى حلب يستدعي دولتباي نائبها الذي قيل أنه أخوه إلى نيابة الشام ، وخلع على الأتابكي قصروه بالأتابكية ، ونودي له بذلك لأجل خلاص متعلقاته بها ، ثم استقر بالأمير قانصوه رحله في نيابة غزة ، وبالأمير قانصوه اليحياوي الذي كان نائب صفد لقصروه في نيابة حماه .

وفي يوم الاثنين ثامن جمادى المذكور وهو سلخ تشرين الثاني نقل السلطان لقبه من المؤيد إلى العادل ، ونقش له بذلك على أركان داخل القلعة ، وفي دار الضرب ، وغير ذلك .

وفي يوم الجمعة حادي عشر جمادى المذكور سافر قانصوه رحله إلى كفالة غزة وخرج في الجهة .

وفي بكرة يوم الجمعة ثاني عشره وصل من حلب إلى دمشق دولتباي المطلوب وتلقاه أرباب الدولة وغالب العسكر المصري ثم ترك عسكره تحت قلعة دمشق ودخل إلى السلطان من باب النصر إلى أن أتى إلى باب القلعة الشرقي وصحبته القضاة والأتابكي قصروه وبقية خواص الدولة فلما وصل إلى الحضرة قبل له

الأرض وسلم عليه على العادة ، ثم رجع من حيث أتى إلى باب النصر ، وخرج في أبهة واسعة عريضة أركماس نائب حلب عوضه راكب على يساره ، والأتابكي قصروه والشافعي قدامهما إلى أن وصل بعسكره إلى قصر السلطان بالميدان الأخضر فأنزل به ، ثم رجع الجميع إلى منازلهم ، ثم دخل الشافعي المذكور إلى جامع القلعة وصلى به الجمعة وخطب على منبره له بالعادل وكذا خطب له بقية خطباء دمشق .

وفي يوم السبت ثالث عشره استقر بالأمير قانصوه الغوري في الدوادرية الكبرى وفي الدوادرية له بدمشق بالأمير قانصوه المعروف بالفاجر بعد عزل الأمير مسيد الذي ولى فيها قصروه في حال عصيانه للسلطان جان بلاط وأبقى مغلباي الذي ولاه قصروه في تلك الحال في حجوبية دمشق .

وفي يوم الأحد رابع عشره سافر من دمشق إلى مصر المقدم الأول الأمير اسنباي .

[دولتباي]

٧٥

وفي بكرة يوم الاثنين خامس عشره خلع على دولتباي بنيابة الشام خلعة سنية / وركب في خدمته أيضاً أرباب الدولة واستقر في دواداريته تمر باي (ص ٤٠) القجماسي المعروف بأبي قورة وبنيابة الغيبة ... الحاجب ثم تهيأ السلطان العادل للسفر إلى مصر .

وفي يوم الأربعاء سابع عشره برز مرسومه بإبطال المظالم وإن من قتل في محلته قتيل لا يتعلق عليه بسببه برمية ولا غرامة بل يتبع الغريم[1] وأن العادة التي

(١) من عادات الحكام المماليك في دمشق وإمعانهم في الظلم أنه إذا قتل قتيل في حارة - وما أكثر القتلى في ذلك العصر - أنهم يضعون على الحارة التي قتل فيها القتيل غرامة ولو عرف القاتل =

كانت في زمن الملك الأشرف قايتباي تتبع ولا تغير ، وأن أي من تعاون في أبواب الحكام وغمز لا يسأل ما يجري عليه فشم أهل دمشق حصول بعض العدل ، ثم في اليوم المذكور شكى إليه الخواجا الشهابي البغدادي الأعرج المعروف بالرقاوي بفتح الراء المهملة وتشديد القاف لأجل دين عليه فأغلظ له السلطان في القول فسقط إلى الأرض وحمل إلى بيته في اليوم المذكور .

وفي يوم الجمعة ثامن عشره خرج من دمشق إلى مصر أحد المقدمين أيضاً الأمير قنبك الذي كان أقيم في نيابة طرابلس في حال عصيان قصروه ثم عزل منها ، وتولى مكانه فيها الأمير بردبك ثم ولاه السلطان العادل تقدمة ألف بمصر فسافر بطلبه في اليوم المذكور ، ثم عقبه بساعة سافر الأتابكي قصروه بطلبه في أبهة بعد أن خرج ثقله بآلات الحرب وغيرها ، واستمر نحو ثلاثة أيام ينجر ثقله ، وخرج لوداعه القضاة الأربعة منهم المالكي الجديد ابن يوسف ، وفي يومئذ قال الشيخ محيي الدين النعيمي : لهج قلبي ولساني بقوله تعالى : ﴿ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ ثم عقبه بعد ساعة خرج طلب الأمير آخور قنبك الرماح ، ثم طلب الأمير الدوادار الكبير قانصوه الغوري ، ثم في اليوم خرج طلب نائب الشام دولتباي من شارع محلة باب السريجة لامن الشارع الأعظم الآخذ إلى المصلا وميدان الحصا والقبيبات ولم يتأخر يومئذ بدمشق سوى السلطان وجماعته ليصلي غداً الجمعة بالأموي ثم يسافر إلى مصر ليخلع جان بلاط من السلطنة ، سيا

= وقبض عليه ، وقد أصدر الملك العادل طومان باي عدة مراسيم بإبطال هذه المظلمة رسمت على الأحجار بدمشق وإليك هذا المرسوم الذي كان منقوشاً على أحجار المدرسة الأسعردية في الجسر الأبيض في الصالحية وقد هدمت هذه المدرسة سنة (١٣٣٨ هـ) بسملة رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطان الملك العادل أعلاه الله وشرفه وأنفذه بإبطال ما تجدد من المظالم بسبب فريضة القتلى على الحارات ولا يؤخذ من أهل المحلة التي قتل فيها قتيل فريضة ولا مالاً ولا مظلمة ومنع من يتعرض إلى ذلك من غير تجديد مظلمة وملعون من يجدد ذلك بتاريخ العشرين من جماد الأولى سنة ست وتسعمائة .

لما بلغه أنه نهب موجوده بمصر وموجود من خامر معه عليه وأنعم بذلك على من بقي بمصر تقوية لهم ليعضدوه .

وفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى المذكور وهو حادي عشر كانون الثاني وكان المطر في هذه الشهور المتقدمة قليلاً وقد وقع في ليلة هذا اليوم بعض مطر واستبشر الناس بذلك ليلتئذ خرج السلطان من قلعة دمشق لصلاة الجمعة بالأموي وقد أخليت له المقصورة على عادة السلاطين ، ونزل عند درج سوق باب البريد وقد فرش لأجله ، وأشعلت له الشموع وغيرها ودخل الجامع وهو لابس الكلوته على عادة الملوك ، وخطب له الشافعي المذكور وصرح بالعادل بحضرته وبقية أرباب الدولة الأركان ، ثم نزل وصلى به وقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة بقوله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ إلى آخرها ، وفي الثانية بقوله تعالى : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ الآية ولما فرغ من الصلاة والدعاء دخل بيت الخطابة وصحبته الشافعي فخلع عليه ونزع الكلوته ولبس العمامة الكبيرة الناعورة ولبس صوفاً فاختياً خاصاً ، ثم خرج إلى الجامع ، ثم من باب البريد أيضاً في أبهة واسعة حافلة ثم ركب وسار وأتى على باب دار الحديث والقلعة إلى أن خرج من باب النصر والقوس الذهب والكنجا / والابلكار خلفه على العادة وقدامه دواداره (ص ٤١) قانصوه الغوري والقضاة وأركماس نائب حلب وقدامهم الخيل الخاص تقاد إلى أن وصل قرب تحت منارة مصلى العيدين وقف الجميع نحو خمس درج لإصلاح بعض الخيول المتقدمة أمامهم والناس يدعون له بالنداء العالي ، وهو يروح على وجهه بمنديل بيده اليمنى وتارة يرفع عمامته الناعورة بيديه جميعاً قليلاً ثم يردها ، وقد صار أركماس نائب حلب ومن معه ظهورهم إلى جهة الغرب ووجوههم إلى وجهه ، والغوري شرقيه ، ويليه الشافعي ، ويليه بقية القضاة وظهورهم إلى جهة الشرق ووجوههم إليه ، هو مستقبل القبلة ، فقال وهو يرفع ناعورته : ايش هذا ؟ يعني ماهذا الذي يقول الناس ؟ فقال له الغوري والشافعي : يدعون لمولانا

السلطان وهو في تلك الحال كالمستعجل ينتظر الذهاب ، ثم سار الخاص فكان هو أول من سار وهو راكب فرساً فحلاً أخضر بكنبوش مذهب وأنا أنظره بالرواق تحت المنارة المذكورة ، فعجبت من شكالته وعجلته ، وغلب على ظني أن عمره نحو أربعين سنة ، وفي أواخر ليلة السبت عشري جمادى الأولى المذكور والسلطان العادل المذكور بائت ليلتئذ بقبة يلبغا ، وهي ليلة ثاني عشر كانون الأول نقلت الشمس إلى برج الجدي .

وفي اليوم المذكور سافر السلطان المذكور من قبة يلبغا إلى مصر ، وفي مثل هذا اليوم من الشهر الآتي ملك هذا السلطان كرسي مصر وقبض على الأشرف جان بلاط وعلى زوجته أم الناصر محمد بقلعة مصر كما يأتي ذكره ، ثم انقطعت أخبار المصريين في هذه الأيام ، وقلق أهل دمشق من كثرة الكذب بسبب ذلك ، ولم يأت أحد من مصر بحيث أن الشخص يكاد يجزم ويقطع بأنه قد أخذ الميثاق على الخفراء والمتدركين بأن لا يمكنوا أحداً يمر إلى دمشق ونحوها إلا بانتهاء أمر السلطانين ، أحدهما جان بلاط ، والآخر العادل الجديد .

وفي بكرة يوم الاثنين ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست المذكورة ، وهو الثامن من أربعينة الشتاء ورد الخبر من مصر إلى دمشق بأن السلطان الأشرف جان بلاط قد حوصر مدة سبعة أيام وفتحت القلعة للملك العادل وجماعته وتسلموها ، وأن جان بلاط المذكور هرب إلى فوق سطح منزله بالقلعة ، وأنه ترسم على منزله وعلى زوجته أم الناصر وأخت الظاهر جماعات ، ثم أنزلوه من السطح ووضع في الحديد ، وأن ذلك كان في يوم تاسع عشر جمادى الآخرة المذكور ، وأن فيه بعد عصره طلع السلطان الملك العادل إلى قصر القلعة وأحضر القضاة والخليفة وقرئت عليهم مبايعته بدمشق فأمضاها له الجميع ، وقبلت له الأرض ، ودقت البشائر ، فلما علم أهل دمشق ذلك دقت بشائرها أيضاً ، وفرحوا فرحاً كثيراً وكثر الدعاء له لبغضهم في جان بلاط لخبث طويته ورجاء لعدل

العادل ، ثم نودي بالزينة بدمشق فزينت واستمرت البشائر تدق مدة سبعة أيام .

وفي يوم الأحد رابع رجب رفع ذلك .

وفي يوم الخميس مستهل رجب وهو حادي عشري كانون الثاني أمر نائب غيبة دمشق مغلباي الحاجب الكبير وتمر باي المعروف بأبو قورة بإشهار المناداة بدمشق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبإبطال الخمارات والمناكر ففرح الناس بذلك إلا أن أهل الأسواق مشغولون بالمبيت في / الأسواق لأجل الزينة (ص ٤٢) المذكورة مع طول الليل وكثرة الحرامية والبرد الشديد ولخلو دمشق عن النائب كثرت الحرامية .

وفي يوم الأحد رابع رجب رفعت الزينة كما أمر .

وفي يوم الاثنين خامس رجب المذكور وصل من مصر إلى دمشق دوادار الأتابكي قصروه لأخذ الحريم فخلع عليه نائب الغيبة مغلباي الحاجب بعد أن أخبره بالأمور التي وقعت بمصر ، ثم شرع الدوادار المذكور في أسباب السفر بالحريم وجمع الأموال المتعلقة بهم وحزم الأحمال وقد تعاظم أستاذه الأتابكي المذكور بمصر واستخدم خلقاً كثيراً وحدثته نفسه بالقبض على السلطان العادل وضبط عليه كلام يفهم ذلك ونقل ذلك إلى السلطان ، وبلغه أيضاً أنه بعث جماعة خفية إلى دمشق بالتوصية بضبط القلعة فأرسل السلطان أيضاً خفية نائباً لها من جهته وهو الأمير دولتباي اليحياوي المعروف بخال الأسياد وبقبض جماعة قصروه التي بدمشق ، وأمره بالسفر سرعة قبل وصول قاصد قصروه ، فسافر ووصل إلى دمشق في ليلة الأحد حادي عشر رجب سلخ كانون الثاني وعلى يديه مراسيم شريفة بالقبض على الجماعة المذكورة منهم مغلباي الحاجب الذي ولاه قصروه واستمر فيها وفي نيابة الغيبة إلى يومئذ وعلى دوادار قصروه الذي أتى من مصر لأخذ الحريم وعلى عبد القادر الحموي المعروف بأبي النائب قصروه وعلى ولد

حسن بالي المعروف بأبي النائب أيضاً الـذي هو الآن بمصر ، فلما قبض عليهم كثر الكلام بدمشق فمن قائل مات قصروه من جرح أصـابـه في محاصرة قلعـة مصر مع العادل ، ومن قائل سقيا ومن قائل قبض عليه العادل .

وفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب المذكور وصل من مصر إلى دمشق القاصد الذي أرسله قصروه بالمطالعات بضبط قلعـة دمشق وقـد سبقـه قـاصـد السلطـان وقبض الجماعة المذكورين .

وفي يوم الأحد ثامن عشره سابع شباط وردت المطالعـات والمراسيم الشريفـة إلى دمشق بـأن تقرأ على الأمراء المقبوض عليهم بقلعـة دمشـق أن قـد رسمنـا بعـد القبض على الأمير قصروه بتسفيره إلى مكـة المشرفـة بطـالاً مرسماً عليـه وصحبتـه جمـاعـة أخر منهم يخشبـاي نـائب حمـاه كان ، ومنهم مغلبـاي السمين ، وفـلان ، وفلان وعد نحو عشرة أمراء وأنكم تكون صدوركم منشرحـة لما يـأتي عليكم إن شـاء الله تعالى .

وفي يوم الثلاثـا عشري رجب المـذكـور ورد الخبر إلى دمشـق بـأن الأتـابكي قصروه خنق بعد إخراج الأشرف جان بلاط إلى الاسكندرية بثلاثـة أيـام ، وأنـه غسل وكفن وصلي عليه ودفن بتربة قجماس بمصر ، فـأقـام حريم قصروه وجمـاعتـه بـدمشـق عـزاه فكان كما يقـال حـال قصروه إلى ورّوه ، ثم أرسـل السلطـان إلى الاسكندرية فخنق الأشرف أيضاً فلم يصدق بذلك حتى أتي إليه برأسه فرآه .

وفي يوم الأحد خامس عشريه وهو رابع عشر شباط شـاع بـدمشق أنـه ورد من مصر نجاب عنها عدة أحد عشر يومـاً وأخبر بـأن نـائب الشـام دولتبـاي أخو
(ص ٤٣) العادل الذي / سافر من دمشق صحبته قد عزم على المجيء إلى كفالته ، وأن نائب صفـد قـد عـزل عنهـا وولي طرابلس ، وأن الأمير سيبـاي ولي نيـابـة حمـاه ، وأن قانصوه اليحياوي قد عزل عنها بطالاً وأن نـائب طرابلس بردبـك قـد عزل منهـا

بطالاً أيضاً لوجع به ، وأن الأمير جان بلاط الذي كان دواداراً بدمشق للسلطان ثم هرب من قصروه إلى حلب قد تولى حجوبية دمشق وأن مملوك الدوادار أقبردي الذي ولاه قصروه حسبة دمشق قد ولى أمرة عشرة بدمشق ، وأن أزدمر الأشقر اليحياوي قد ولى أمرة الميسرة بدمشق وأنه واصل ، ثم لم يصح ذلك غالباً .

وفي يوم الثلاثا سابع عشريه دخل أزدمر المذكور ، وفي يوم الأحد رابع عشري شعبان منها وصل من الرملة إلى دمشق مبشر بأن نائب الشام دولتباي وصل من مصر إلى الرملة فحينئذ تهيأ أهل الولايات بدمشق لتلقيه بالفواكه والحلاوات والمعمول وغير ذلك .

وفي يوم الخميس سادس رمضان منها دخل نائب الشام المذكور إلى دمشق بعسكر قليل ، وقد شاع بدمشق أنه قد أنعم عليه بالأتابكية بمصر مضافة إلى نيابة الشام وأنه استناب فيها وأنه عن قليل يرجع إلى مصر ، وكان قبل دخوله قد هجم عرب طريق الحجاز على بعض جماله وأخذوا منها شيئاً فرجع عليهم وتبعهم على ما قيل إلى منزلة الحسى ودخل إلى القدس ، ثم أتى ودخل دمشق يومئذ ودخل صحبته الأمير بردبك الذي عزل عن نيابة طرابلس قبل ذهابه إليها وقد أنعم عليه بأتابكية دمشق بعد عزل الأمير القرناص قرقماس منها ، ولما كان النائب بقبة يلبغا وخرج دوادار السلطان بدمشق المعروف بقانصوه الفاجر لتلقيه والسلام عليه جلس فوق أمير ميسره فنهاه النائب فقلل أدبه فأمر باعتقاله فأخرج من القبة مرسماً عليه إلى القلعة ورسم أيضاً باعتقال أحمد المعروف بالأقرع الذي كان له بعض تكلم بالمارستان النوري بعد أن كان قد اعتقل هو وجماعة من مباشريه منهم القاضي الرضي الغيري[1] والنجم الخيضري وعبد القادر العدوي فأمر بفكهم من الاعتقال وباعتقاله مكانهم ، وبلغني أيضاً أن النائب أكرم النجم

(١) الغزي في المفاكهة ص ٢٣٣ .

الخيضري وهو دليل على قلة دينه وبلغني أيضاً أنه لما كان بالقبة حينئذ رفع إليه بعض الشهود قصة يشكو فيها على مماليك سكنوا مكاناً له بغير إذنه قهراً فرسم النائب له بمماليك تخرج معه لإخراجهم من مكانه ، ولما دخل النائب المذكور إلى دمشق لم يطلب أطلاباً بل[1] دخل بناس قلائل وهو لابس خلعة خضراء بطراز حافل وعلى يمينه قاضي الشافعية الشهاب الفرفوري بخلعة صفرا بمقلب سمور وبلغني أنه كان قد بعث إلى دواداره وهو بالقبة أن يفصلها للقاضي المذكور فعملت فخلعها عليه يوم دخوله وهي بكمين ضيقين .

فلما استقر بدار العدل أمر بإشهار المناداة حسب المرسوم الشريف من المقام الشريف بالأمان والاطمئنان وإبطال المشاة من بيوت الحكام وبألا يحمل أحد سكيناً .

وفي يوم الجمعة سابعه صلى النائب الجمعة بجامع تربة العجمي الجددة محل الحسوية[2] .

وفي بكرة يوم الاثنين سابع عشر رمضان المذكور دخل من مصر إلى دمشق الأمير يلباي العادلي نقيباً لقلعة دمشق في أبهة حافلة لم يدخلها النائب .

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره سابع نيسان أمر النائب / بإشهار النداء للحجاج بأن مالكم أمير إلى الحجاز الشريف إلا ملك الأمراء وأظهر النفقة على خروجه لذلك ، وصادر الخواجا ناظر الجيش بدمشق المعروف بابن النيربي الذي كان في العام الماضي أميراً للحجاج ، وكان قد تعين أيضاً لهذه السنة وأخذ بركه ، (ص ٤٤)

---

(١) أي لم يدحل بموكب عسكري ذي فرق .

(٢) حامع تربة العجمي المحددة بمحلة الحسوية ويحتمل الحشرية هو بقرب جامع السنانية مقابل تربة (مصطفى لالا باشا مقبرة آل مردم بك) أنشأها أقريدون العجمي المتوفى سنة (٧٤٧)

ونهب أيضاً مال زوجة قصروه بجوار منزل ابن النيربي المذكور ، وصادر الديوان الذي كان قد أقامه قصروه في حال عصيانه لضبط أموال المصريين وصادر جماعة أخر .

وفي هذه الأيام شاع بدمشق أن مصر مختبطة وأن الدوادار الكبير قانصوه الغوري وتنبك الجمالي وقنبك الرماح اختفوا ، وأن السلطان العادل المذكور قد أهلك خلقاً كثيرة تغريقاً وغيره ، وأنه بعث إلى الاسكندرية في قطع رأس الظاهر قنصوه خال الناصر محمد ، وأنه متتبع لجماعة الجان بلاط من جميع البلاد .

وفي يوم الخميس عشري رمضان وكان يوم خميس البيض قبض فيه النائب على مملوك أصله فرنجي من بلاد طرابلس كان خدم من اينال الفقيه نائب الشام الممنوع من دخولها ، سكن هذا المملوك داخل بابي الفرج والفراديس وضبط عليه أنه قتل جماعة وأخفاهم وأخذ مالهم ، وأنه كان يأكل بقائم فجوره ، وأنه عرى جماعة من النساء وأخذ أساورهن من أيديهن مجاهرة عند باب المارستان النوري ، فشكى جماعة عليه إلى النائب فأحضر فأمر النائب بقطع يده ورجله ففعل به ذلك عند باب المارستان المذكور ، فاجتمع العوام عليه وضربوه بالخناجر وسحبز: حياً بدمائه الكثيرة على الطرقات إلى أن وصلوا به إلى المشنقة ، وكانت يومئذ عند مأذنة الشحم فحرقوه بالنار ، فبلغ النائب ذلك فأمر بالركوب عليهم فركب ممالبكه وبطشوا في كل من رأوه في طريقهم وعرى جماعات وذهب مال كثير للناس وغلقت الأسواق ، ورفع جماعات إلى النائب فصادرهم وصفح عن بعضهم وكان يوماً مهولاً .

وفي يوم السبت ثاني عشري رمضان المذكور شاع بدمشق عزل نائب حلب أركماس بنائب غزة قانصوه رحله ثم صح ذلك .

وفي اليوم المذكور نودي بدمشق بأن الأمير يلباي الاينالي المؤيدي الذي

كان نائب طرابلس وصادره قصروه في حال عصيانه وأخذ موجوده الـذي هو الآن بمصر بعـد وصولـه من دمشق ولاه السلطـان العـادل دواداريتـه بـدمشـق عـوض قانصوه الفاجر ، وولاه أيضاً وظيفة نظر الجيش بها عوض الخواجـا ابن النيربي ، وولاه أيضاً وظيفة عداد الغنم ، ووظيفة نظر وقف الملك الأشرف قايتباي بالشام فهي أربع وظائف .

ثم في آخر اليوم المـذكـور نـودي بـأن وظيفـة نظر الجيش لمحب الـدين يعني الأسلمي سلامة لا الأمير يلباي المشار إليه وهذا من العجائب .

وفي يوم الأحـد ثـالـث عشري رمضـان المـذكـور حـادي عشر نيسـان اشتهر بدمشق وفاة نور الـدين الصـابوني نـاظر جيش مصر في أوائل رمضـان المـذكور ، وأنه تولاها بعده علاء الدين بن الإمام ، وأن السلطان العـادل المشـار إليـه عزل صلاح الدين بن الجيعان من كتابة السر التي وليها قريباً عن ابن مزهر ، وولاهـا لابن أجا الحنفي الحلبي ثم المصري ، وأن وظيفة كتابة الخزانـة الشريفـة التي كانت قديمـاً مع بيت بن الجيعـان وإلى الآن عزل عنهـا صلاح الـدين المـذكور / أيضـاً (ص ٤٥) وولاها أبا المنصور ديوان أن أقبردي كان ، وأن ابن يوسف قاضي المالكية بـدمشق الذي كان قد عزل عنها في خامس عشر رجب منهـا بـالطولقي قـد أعيـد إليهـا ، وعزل الطولقي منها وذلك في تاسع عشر رمضان .

وفي يوم الاثنين ثامن شوال من سنة ست المذكورة دخل من مصر إلى دمشق يلباي في الأربع وظائف المتقدم ذكرها ، وتلقاه النائب وأرباب الوظائف على العادة .

[سلطنة الغوري]

وفي صبحة يوم الجمعة في عشر شوال المذكور وهو آخر نيسـان دخل من مصر إلى دمشق جماعة بغتة بسرعة وصحبتهم مملوك بمراسيم شريفة ومطالعات بالأخبـار بأن السلطان العادل المـذكور قـد حوصر يوم سـابع عشري رمضـان ، ثم طلع إلى

قلعة دمشق الأمير الدوادار الكبير قانصوه الغوري وأن العادل فقد ، وأن الغوري المذكور يوم العيد بويع بالسلطنة بعده لفقده ، وأنه لقب بالملك الأشرف وصحبة هذه الجماعة أيضاً مرسومان شريفان .

أحدهما لأهل القلعة بالحرص عليها وتحصينها وإطلاق الأمراء المقبوض عليهم بها ، منهم قرقماس وأزدمر اللذين قبض عليهما العادل وأن يستمروا بدمشق إلى أن يرد عليهم ما يعتمدون عليه .

والمرسوم الثاني لملك الأمراء بدمشق دولتباي المشار إليه ففي الحال أظهر الذلة لفقد أخيه الملك العادل وطلب إلى القلعة فوعدهم إلى غد فلما انتصف الليل ركب في جماعة وهرب فلم يعلم بحقيقة خبره ، وقيل أن نائب القلعة دولتباي اليحياوي والحاجب الكبير بردبك تفاح أراد الهجم على دار السعادة لضبط موجوده فلم يمكنا وصار الناس في حيرة وتأسف على العادل لعدم العلم بحقيقة حاله .

وورد مرسوم شريف أيضاً بإبقاء أركماس نائب حلب بها وعزل قانصوه رحله الذاهب إليها وكثر كلام الناس في هذه الأيام .

ثم ورد الخبر من حماة بأن نائبها سيباي قبض على قانصوه رحله بمرسوم شريف .

وفي هذه الأيام قبض الأمراء الذين أطلقوا من حبس القلعة على نقيبها يلباي المتقدم ذكره وأخرجوه وصادروه .

وفي هذه الأيام كثر الكلام عن السلطان الجديد قانصوه الغوري الملقب بالأشرف وأشاعوا عجزه ، وكان قد عزم كثير من الناس على الحج ثم أراد بعضهم ترك ذلك وتردد بعضهم وقوي عزم بعضهم بواسطة قيام نائب الغيبة بردبك تفاح الحاجب يومئذٍ بدمشق ، وإقامة تمرباي القجماسي المعروف بأبي قورة في إمرة الحج

من ثالث عشر شوال والناس يومئذٍ في شدة من خوف وقوع فتنة بمصر والشام من الترك وغيرهم ولا قوة إلا بالله ، وإلى الآن لم يعلم أين توجه نائب الشام دولتباي المشار إليه فكثر أيضاً كلام الناس فيه كما كثر في الأشرف الجديد المذكور .

وفي يوم الاثنين ثاني عشري شوال المذكور وهو عاشر أيار خرج الوفد من دمشق ونزل بهم أميرهم المذكور على قبة يلبغا ، وتبعه حج كثير من الأروام وغيرهم .

وفي هذه الأيام رفع موجود النائب الهارب المذكور جميعه إلى القلعة ونودي لمماليكه الذين أعتقهم قبل هربه بأن يذهبوا إلى مصر فذهبوا .

(ص ٤٦) وفي هذه الأيام أراح الله العباد والبلاد من المنافق محمود الأذرعي / الذي كان السبب لفتنة أقبردي الدوادار بدمشق وغيرها وقتل خلق كثير ، ولما تولى دولتباي نيابة الشام قيل قبض عليه وصودر وسجن بالقلعة ثم أطلق ، فلما سافر النائب إلى مصر وسمع هو بمجيئه هرب إلى بلده أذرعات واستمر بها قاتله الله إلى يوم الخميس خامس عشري شوال المذكور مات بها عن عدة أولاد .

وفي أوائل ذي القعدة ورد من مصر إلى دمشق مرسوم بأن الأمراء الذين كانوا قبض عليهم العادل وأطلقهم السلطان يأتوا إلى مصر وكان قد انضم إليهم جماعة أخر من المنفيين .

وفي يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة المذكورة سافر هذه الأمراء من دمشق إلى مصر بعد أن حصل منهم شر كثير من أخذهم دواب الناس وغيرها .

وفي هذه الأيام شاع بدمشق استقرار الأمير قانصوه ـ المعروف بنائب البرج يعني الذي بناه السلطان قايتباي بالاسكندرية ـ في نيابة الشام ، وكان قد نفاه العادل إلى مكة ، وهو الآن بها وكان هو السبب في تسليم قلعة مصر للعادل وله ثلاثة إخوة : خير بك الذي حبسه العادل بقلعة دمشق ثم طلبه إلى مصر وأكرمه

لأجل أخيه ، والثاني جان بلاط الذي كان دوادارا للسلطان الظاهر بدمشق ثم هرب من قصروه إلى حلب واستمر معزولاً ، والثالث خضر بك الذي كان تولى نيابة القدس .

وفي يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة المذكور نودي بدمشق بأن الأمير جان بلاط المذكور يكون هو الآن نائب الغيبة عن أخيه نائب الشام إلى أن يأتي من مكة إلى دمشق .

وفي هذه الأيام وقف حال الناس وقطعت الطرق من كثرة العرب من المفارجة وبني لام خارج دمشق وأطرافها وكثر الظلم والاختلاف والناس مرتقبون الفتن .

وفي بكرة يوم الخميس سابع عشره أمر جان بلاط نائب الغيبة بإشهار المناداة للأمراء والأجناد بدمشق وأهل الجياد بها أن يتهيؤوا للجهاد في سبيل الله في العرب المذكورين ، ثم بعد أيام رحل العرب عن الطرق وقل شرهم .

[قتل العادل طومان]

وفي يوم الأربعاء ثالث عشري ذي القعدة المذكور ورد الخبر من مصر إلى دمشق بأن جماعة كبسوا بيت العادل الذي كان مسكنه قديماً وقبضوه وأنه قطع رأسه في يوم الاثنين رابع عشر الشهر قتل وعلق على قلعة مصر .

وفي بكرة يوم الخميس رابع عشريه دخل من مصر إلى دمشق خاصكي صحبته خلعة لجان بلاط المذكور بنيابة الغيبة المذكورة إلى أن يأتي أخوه من مكة وأنه قد أنعم السلطان على أخيه نائب الشام بمماليك النائب الهارب وأنهم قد ردوا قبل وصولهم إلى مصر ، ثم شاع بدمشق بأن النائب الهارب قد ظهر في بلاد حمص وأنه أرسل إلى السلطان الغوري المشار إليه يسأله من الصدقات العفو عنه والأذن له أن يكون بمكة أو القدس بطالا وأنه أجابه إلى ذلك .

وفي هذه الأيام عزل الحاجب الكبير بدمشق بردبك تفاح الذي ولاه العادل فيها ، وأنه يكون هو الناظر على وقف الأمير الأشرف قايتباي بدمشق ..

وفي بكرة يوم الاثنين ثامن عشري ذي القعدة المذكور وهو رابع عشر حزيران دخل من مصر إلى دمشق نقيب قلعتها الجديد عوض يلباي الذي كان أرسله العادل .

وفي بكرة يوم الثلاثاء تاسع عشريه دخل من مصر إلى دمشق حاجبها الجديد قانصوه الفاجر عوضاً عن بردبك تفاح الذي كان / ولاه العادل . (ص ٤٧)

وفي يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة وهو عشرون حزيران وصل خاصكي مصر بالبشارة بقطع رأس العادل في يوم الاثنين المتقدم ذكره ، وبلغني أن السبب الذي ألجأ العادل إلى الهرب أن بعض الناس أشاع أن قانصوه خمسائة قد ظهر ففرح أهل مصر وكبروا وقت أذان المغرب فنزل من القلعة جميع من كان يأكل من السماط ، ولم يبق عند العادل أحد فهرب من باب آخر للقلعة واختفى خوفاً على نفسه ، ثم تحيل عليه جماعته فتوصلوا إلى الاجتماع به وحسنوا له أن يعود ، فهجم عليه جماعة منهم الأمير رزمك خازندار جان بلاط وبيده السيف مصلتاً ، فعلم حينئذٍ أنه مأخوذ فهرب إلى فوق جدار ورمى بنفسه فتحطم ، فقطع رأسه وأتوا به إلى الأشرف الغوري ، وبلغني في هذا اليوم أيضاً أن الظاهر قانصوه خال الناصر حي باق وهو مقيم ببرج يشبك الدوادار بالاسكندرية .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة المذكور خرج من دمشق الأمير سودون الدواداري نائباً لصفد ، وخرج لوداعه نائب الغيبة جان بلاط أخو النائب والحاجب قانصوه الفاجر وبقية أرباب الوظائف .

وفي هذه الأيام ورد مرسوم من مصر إلى دمشق بطلب الأمير جانم مصبغة

الذي عصى وجماعة أخر مع أقبردي واستمر منفياً بدمشق إلى هذه الأيام ، طلب ليولى رأس نوبة النوب بمصر .

وفي يوم الاثنين سادس عشري ذي الحجة المذكور لبس دولتباي نائب قلعة دمشق المشهور بخال الأسياد خلعه .

وفي يوم السبت ثامن المحرم سنة سبع وتسعمائة لبس الأمير يلباي الإينالي المؤيدي دوادار السلطان بدمشق يومئذٍ خلعة بالاستمرار وبنظر وقف الأشرف قايتباي .

وفي يوم الأحد تاسعه أرسل نائب الغيبة جان بلاط أخو النائب الآتي إلى زوق بن القواس فنهب جمالاً وغنماً وأثاثاً وغير ذلك .

وفي يوم عاشوراء اجتمع جماعة من الأوباش والأعجام والقلندرية بدمشق وأظهروا قاعدة الروافض من إدماء الوجوه وغير ذلك وقام عليهم بعض الناس وترافعوا إلى نائب الغيبة المذكور فنصر أهل البدعة وشوش على القائم عليهم ولا قوة إلا بالله .

وفي هذه الأيام هجم العرب على أطراف دمشق ونهبوا مغلاً كثيراً وخربت بلدان كثيرة .

وفي يوم السبت خامس عشره نادى نائب الغيبة المذكور بالتأهب لملاقاة الحج ولملاقاة أخيه نائب الشام قانصوه البرج الذي بمكة ورمى على حارة[1] مالا .

وفي يوم السبت ثاني عشريه سافر من دمشق نائب الغيبة المذكور وأرباب الوظائف وابن الحنش وغيرهم لملاقاة النائب المذكور ، وأتى من مكة على طريق

---

(١) كذا في الأصل ولعل صوابها : ورمى على كل حارة مالا .

الوفد الغزاوي إلى غزة ، قيل : وفرقة منهم لملاقاة الوفد الشامي قيل : وفرقة منهم لكبس من بقي من العرب بأرض الصنمين .

وفي اليوم المذكور ورد إلى دمشق مبشر من الوفد بأنها كانت حجة طيبة وأنه فارق الوفد من الأخيضر .

(ص ٤٨) وفي يوم الأحد ثالث عشري المحرم سنة سبع المذكورة ورد الخبر من مصر / إلى دمشق بأن الأشرف الغوري أراد أن يقبض على أتابك العسكر قيت الرجبي فهرب ، وأنه قبض على دوادار نفسه مسرباي ، وعلى الأمير رزمك وجماعته الذين قتلوا العادل ، وعلى مملوك أقبردي الذي كان قد أقامه قصروه على حسبة دمشق في أيامه وهو رجل فاجر ، وأنه أمر بتغريق الجميع ، وأنه ولى في الدوادارية له بمصر الأمير أزدمر الذي أطلقه من قلعة دمشق مع جماعة أخر ، وفي الحجوبية بمصر الأمير خير بك آخو نائب الشام يومئذٍ وأخو جان بلاط نائب غيبة دمشق يومئذٍ عن أخيه الآتي ، وأما أتابكية مصر فهي شاغرة لهروب قيت المذكور ، ثم ورد الخبر إلى دمشق بأن قيت أعيد وخلع عليه وأن مصر مخبطة .

وفي هذه الأيام استبطأ الناس كتب الوفد فإنها بعد لم تأت .

وفي بكرة يوم الأربعاء ثالث صفر وهو خامس عشري آب دخل الوفد الشريف إلى دمشق وأثنوا على أميرهم أبي قورة وأنه قد نهب العرب جماعات بمنزلة التبرة ، وأنه كان غلاء ، وبيع مد الطحين بنحو ثلاثين ، وأوقية السمن بأربعة ، وكذلك العسل ، وأنهم عوقوا قرب منزلة الزرقا أربعة أيام في الرجعة ، وأن أمراء الحرمين مختلفين ، وأنها كانت حجة مشقة .

وفي هذه الأيام بعث نائب الغيبة المذكور من قرية الكسوة عقب مفارقته للوفد إلى دمشق بشنق المسوك بالقلعة أخي الأمير ابن القواس إنكالاً فيه فأخرج

منها وشنق بالمشنقة التي نقلت من الخراب إلى محلة بين النهرين[1] .

وفي يوم الثلاثاء مستهل شهر ربيع الأول دخل نائب الشام الجديد قانصوه نائب البرج إلى دمشق بعد أن مكث بالرملة مدة وبعد أن ذهب إلى قلعة الصبيبة[2] لمحاصرة ابن القواس إلى أن أرضاه ، ودخل في اليوم المذكور وتلقاه الناس على العادة ، وخرج إليه زعر الصالحية بكبيرهم الجاموس راكباً وهم حوله بالعدة الكاملة ، واعتدوا على أهل ميدان الحصى ، فلما رجعوا قدام النائب ونزل دار العدل طلبهم ، وأمر بتوسيط كبيرهم المذكور وأخذ سلاح الكل وأرسل إلى بيت الموسط فنهب ووجد فيه أثاث وأمتعة كثيرة .

وفي صبيحة الأربعاء ثانية أوكب النائب الجديد المذكور إلى قبة يلبغا لملاقاة مبشر النيل ، ودخل إلى دمشق ، ثم ولى الاستدارية لعبد العزيز وشرط عليه كل يوم مالاً كثيراً فرمى على الحارات منها ميدان الحصى والصالحية ونادى بأن البلاصية والرعر بطالة .

وفي يوم الجمعة صلى النائب بالجامع بالمقصورة وخلع على قاضي الشافعية الشهابي الفرفوري .

وفي ليلة الأحد سادسه أرسل النائب إلى قرية بيت إيما[3] فنهبها لأجل

---

(١) بين النهرين هو ساحة الشهداء في دمشق وكانت ساحة الشهداء تدعى الحزيرة فقبل أن تغطى نهر بردى كان ينقسم إلى قسمين يكوّنان حريرة محاطة بالماء تدعى بين النهرين ومنذ ثمانين عاماً غطي هذان النهران وأصبحت ساحة كبيرة . كما غطي الآن عام ١٩٦٢ قسم كبير منه مما يلي ساحة المرجة .

(٢) انظر صفحة (١٣٨) .

(٣) قرية بيت إيما قرية صغيرة يحدها من الشمال قلعة جندل وخان الشيح ومن الشرق الحسينية ومن الجنوب بيت سابر ومن الغرب كفر حور وتسمى اليوم بيتما

ما بلغه أن ابن القواس لما وقع في يدي جانباي البدوي خلصوه منه ونهبوا أيضاً قرية كفر حور[1] حتى عروا نسائها وأخذوا أموالاً كثيرة .

وفي بكرة يوم الخميس عاشر ربيع الأول المذكور وصل من مصر إلى دمشق خاصكي بكشف الأوقاف وتلقاه النائب على العادة ونزل بالقصر .

وفي يوم الأحد ثالث عشره حضر بالاصطبل عند النائب وحضر القضاة وراجعوه فلم يرجع عن العمل بالقائمة التي بخط الشارعي وهي خمسة آلاف دينار وافترقوا على ذلك ، وشاع بدمشق / في هذه الأيام بأن أركماس نائب حلب عصى (ص ٤٩) حمية لصهره دولتباي المنفصل عن نيابة الشام ، وأن إبراهيم باك المنفصل عن نيابة حمص قد انضم إليهما ، وأنه يخشى على السلطان منهم ، ثم لم يصح عن أركماس ذلك بل إنه عزل فقط ، وإتى إلى حمص واستمر بها أياماً يضرب بها الطبلخاناه كأنه غير معزول .

وفي ليلة الخميس خامس عشره دخل من مصر إلى دمشق حريم النائب ومعهم أمير في أبهة حافلة .

وفي هذه الأيام رمي على الحارات كميدان الحصى وباب المصلى والقراونة والشاغور وداخل باب الصغير جملة كثيرة من الأموال ولم تخل محلة من حين دخول النائب إلى يومئذٍ من رمية أو رميتين ، ونهب معز بعض البلاد وطرحوها على الناس بأضعاف أثمانها ولا قوة إلا بالله .

وفيها أيضاً شاع بدمشق أن مسرباي دودار السلطان كان الذي غضب عليه وسجن بالاسكندرية فك قيده من الشباك الذي على البحرة وهرب إلى مصر

---

(١) قرية كفر حور صغيرة تابعة لمنطقة قطنا وهي قرية من بيت سابر ، وبيت إيما بينهما (٥) كيلو مترات .

واختفى نهاراً ويظهر ليلاً يدور على أحبابه ، وأن السلطان خائف منهم ، وشاع أنه صادر جماعات في أموالهم بسبب نسائهم ، وأنه وقع بنائب القاضي الشافعي بمصر وضربه مبرحاً .

وفي هذه الأيام وصل الخبر من مصر إلى دمشق بأن دولت باي المنفصل عن نيابة الشام المطرود في البلاد قد أنعم عليه السلطان بنيابة طرابلس .

وفي يوم الجمعة مستهل جمادى أولى سنة سبع وتسعمائة المذكورة رضي الأمير النائب على الأمير ابن القواس وخلع عليه .

وفي هذه الأيام نهب جماعة النائب قرية دمر وأخذوا موجودهم وكثر الظلم حينئذٍ .

وفي يوم الخميس رابع عشر جمادى المذكور اجتمع أهل حارة ميدان الحصى والشاغور بمصلا العيدين واصطلحوا وتحالفوا على النائب وجماعته لكثرة ظلمهم .

وفي اليوم المذكور وقع أهل الشاغور ببعض جماعة النائب وأرادوا إعدامه ، فبلغ النائب فأخرج إليهم جماعة فأرادوا الوقوع بهم ، فخرج إليهم قاضي المالكية ابن يوسف وصحبته جماعة فتسامع بقية الزعر فحضروا وأسمعوهم القبيح وهموا بالوقوع فيهم ، ثم وقعوا ببعض المماليك ، ثم علت كلمة العوام والزعر وطمعوا في النائب فأرسل إليهم نائب القلعة وأمراء أخر فلم يلتفتوا إليهم إلا أن يدفع النائب إليهم استداره عبد العزيز وابن الفقاعي وأخو جوهر نقيب المحتسب ، وباتوا على ذلك ، وكان حينئذٍ جان بلاط أخو النائب غائباً في نهب بعض البلاد فبلغه الخبر فأتى دمشق ليلاً وأرادوا الانتقام من العوام فبلغه علو كلمتهم وكثرتهم وأنهم قتلوا جماعة ، وأصبحوا في يوم الجمعة وقد اجتمعت الزعر بالسلاح ولم يصل غالبهم جمعة ثم اجتمعوا أيضاً يوم السبت سادس عشره بجماعة اخرين وطلبوا شر الترك

ودربوا[1] الحارات ، ورجعوا على الترك التي خرجت إليهم ملبسة ، فوقع الطعن بينهم إلى أن جرح من الترك جماعات وقد تبين خوف النائب منهم وظهر عجزه فخرج أخوه جان بلاط من غربي دمشق وأتى إلى القبيبات من طريق قينية[2] وظن خلوها وأنهم حاضرون الوقعة ، فخرج إليه جماعات منها وأرادوا القبض عليه فهرب ورجع وقد زاد شر العوام من كثرة ما حصل عليهم من الظلم وأرادوا الهجوم على النائب وأخيه فأرسل إليهم نائب القلعة والحجاب والقضاة الشيخ تقي (ص ٥٠) الدين إلى مصلى العيدين فاجتمعوا هناك بأكابر الحارات ، فطلبوا / من النائب ترك المشاهرة وترك الرمي على البيوت وقتل البلاصية فأجابوهم إلى ذلك ، ثم ركبوا من المصلى وقد علت شوكة العوام فوقعوا بجماعة وقتلوا وحرقوا بعض البلاصبة .

وفي ليلة يوم الاثنين خامس عشري جمادى الأولى المذكور أمر النائب بشنق ابن بيدمر نائب بعلبك فأصبح مشنوقاً ، وكان الناس فيه صنفان ، وفيه أمر النائب بإشهار النداء بتقوى الله وأن لا ظلم ولا عدوان فخرج المنادي وصحبته المحتسب ونحو عشرين مملوكاً فنادى النائب بذلك .

وفي يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة منها بعث النائب إلى كبير زعر الشاغور المعروف بابن الطباخ وطايبه وعاتبه وخلع عليه قشر جوخ وشرط على نفسه أنه لم يبق يرم دية مقتول على غير من لا تجب عليه ووقع الصلح على ذلك فاطمأن الناس بعد أن كانوا قد تريبوا من النائب وغدره ، وتريب هو أيضاً منهم بأن يبطشوا في آخيه جان بلاط أو نحوه من الظلمة ، وأيضاً فإن الظلمة قد تعطلت عليهم أبواب البلص ولم يجسر بلاصي يذهب في شغل لهم فما وسعهم إلا المداراة .

---

(١) دربوا الحارات : حصوها .

(٢) طريق قنية هو المسمى في عصرنا بطريق بستان البودي خارج حي باب السريجة .

وفي يوم الجمعة سادسه بعد صلاتها سافر جان بلاط أخو النـائب إلى مصر قيل مطلوباً وقيل غير ذلك قاتله الله فكم خرب من بلد ونهب من مال ومـا كان سبب هذه الفتن سواه ، فلما رجع دوادار النائب من توديعه أصافـه زعر مصلى العيـدين بالمصلى في آخر النهار .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره أولم أهل الصالحية وليمة وأدار النائب وليمة حافلة حضرها غالب أهل دمشق بحيث غلقت أسواق كثيرة .

وفي هذه الأيام شاع بدمشق أن رجلاً اسمه اسماعيل حيدر الصوفي استولى على بلاد تمرلنك وغيرها وأنه ماش على البلاد .

وفي بوم الاثنين مستهل رجب لبس النائب خلعة الشتاء خضرا كفاوي .

وفي بكرة يوم الخميس رابعه لبس النائب خلعة أيضـاً حمرا بسمور على العـادة وهذه كانت أخرجت له قبل تلـك الخضراء ، لكن تـأخر القـاصـد بهـا حتى ألبس نائب صفد خلعته ، ثم أتى فلبسها النائب في اليوم المـذكور ودخل على العـادة ولم يخرج الناس للفرجة على عادتهم ، وبلغـه أنهم قـد تريبوا من العشير الـذي أتى إلى الميدان الأخضر[1] ، وأنهم سمعوا أيضاً أنـه قـد خرج من مصر خـاصكي لطرح مـال على أهل دمشق فـإن أطـاعوا وإلا فـاركب عليهم بـالعشير ، فلمـا سمع ذلـك أمر بإشهار المناداة بأنه لا ظلم ولا عدوان والماضي لا يعاد فاطمأن الناس لذلك .

وفي بكرة يوم الجمعة طلب أكابر زعر كل حارة وطيب خواطرهم .

وفي يـوم الاثنين ثـاني عشري رجب المـذكـور وهـو آخر كانـون الثـاني لبس النـائب خلعـة أخرى جـاءت على يـدي خـاصكي اسمـه سيبـاي دوادار سكين من مصر .

---

(١) انظر ص (٣٢)

وفي يوم الثلاثا ثالث عشري رجب المذكور قرئ مرسوم شريف أتى على يدي هذا الخاصكي فإذا فيه مصادرة لأهل دمشق بنحو مائة ألف دينار فنفر الناس من ذلك ولم يزالوا إلى أن جعلت ثلاثين ألفاً من الدنانير ، فلم يلتفت الناس إلى ذلك وامتنعوا من الطاعة لذلك .

وفي صبيحة يوم الاثنين تاسع عشري رجب المذكور خرج هذا الرجل الذي اشتهر بابن الفقاعي بردار النائب إلى الحمام فخرج إليه جماعة فقتلوه فسر الناس بذلك ، وكان قد ألهب الخلق ظلماً .

وفي هذه الأيام كثرت مراجعة الناس النائب في الثلاثين ألف وفي الحط منها ، فصمم / على آخذها فأخلى الناس منازلهم ، وعزلت حوانيت دمشق وقلت (ص ٥١) الأسواق . فحط الأمر على عشرين ألف دينار وأنها على أهل دمشق أجمع وحاراتها وأهل الذمة .

ثم في هذه الأيام ورد مرسوم شريف بأن يحضر الأمير أركماس المنفصل عن نيابة حلب ويسمع المرسوم ، إن شاء بالقلعة وإن شاء عند النائب ، فأبى إلا أن يرى المرسوم لإشارة بينه وبين السلطان ، فأمر النائب بالقبض عليه ، فهرب من بيته شرقي مقبرة الفراديس ، فأرسل النائب الحاجب ونائب القلعة ودوادار السلطان إلى بيته المذكور في صبيحة يوم الخميس تاسع عشر شعبان سنة سبع وتسعمائة فلم يصلوا إلى بيته إلا بحريق الباب الغربي ، ودخلوا بيته فأخذوا الخيل والسلاح والأثاث ، وذلك مع غلق الأسواق وتكالب الناس على النائب ، وكثرة دعائهم عليه .

ثم في يوم الأحد ثاني عشر شعبان المذكور رجع غالب الناس أو بعضهم إلى منازلهم وحوانيتهم وظنوا أن النائب ترك طلب المال الذي كان رماه عليهم .

وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان المذكور ابتدئ في جباية المال المذكور .

وفي يوم السبت خامس عشريه هجم والي البر إبراهيم بن الحنبلية بجماعة النائب على بيت السيد إبراهيم نقيب الأشراف وقبضوه وعري للضرب بالمقارع ، فرأى النائب عليه أثر ضرب بالمقارع ، فسأله فقال : قد علمت مافعل معي جان بلاط يعني السلطان الأشرف لما كان نائب حلب ، ثم أتى ولده وهو عريان فأمر النائب بإلباسه وضرب ولده فضرب بحضرته وهو ينظر ، والوالي المذكور يقرره على الحرامية السحيمية ، ثم أخرجا من دار العدل إلى حبس الدم في الحديد بالطاقية كشفاً حفاةً وقد أخذ قماشهما ، وأخذ عليهما من السجان ثلاثمائة درهم بعد أن نهب بيته وهتكت حريمه .

وفي ثاني يوم طلب إلى دار العدل وأحضرت الحرامية فبروه وولده ، وخاف الناس من تجري النائب على غيرهما .

وفي رمضان تحيل السلطان على قبض الأمير مسرباي الذي تسرب من الاسكندرية وأظهر له جماعة أنهم يسلطنوه فظهر لهم بالأزبكية ، وأظهر الصنجق ولعبوا به إلى أن قبض وقتل .

وفي يوم الاثنين حادي عشر شوال سافر النائب قانصوه البرج المذكور إلى بلاد حوران لأجل العرب وصحبته جانباي أمير آل مري واستمر بقبة يلبغا ومعه العسكر والعشير إلى عشية يوم الأربعاء ثالث عشره ، ثم إنه سافر إلى المرج ليستمر هناك .

وفي يوم السبت سادس عشره أرسل النائب جماعة من عسكره فنهبوا قرية جرود[1] بعد أن اجتاحتهم الصعقة فأصبحوا فقراً لا مالاً ولا أثاثاً ولا دواب .

---

(١) بلدة مركز ناحية شمالي دمشق على طريق رحبة مالك بن طوق قديماً ، وكانت في وقت مركز قضاء ، تبعد عن دمشق (٥٣) كم ، عدد نفوسها نحو (٨٠٠٠) اشتهرت بزبيبها الجيد السمين . وهي منطقة زراعية مرموقة ، وكانت من أوقاف المدرسة الركنية ، وتدعى في عصرنا جيرود

وفي يوم الاثنين ثامن عشره بلغ النائب أن الأمير جانباي أمير آل مري كسره أعداؤه فأرسل من المرج إلى دمشق بأن جميع عسكر دمشق يلاقيه إلى قرية الكسوة[1] غداً يوم الثلاثا تاسع عشره وأن يعرضوا عليه هناك ، وكان شاع خروج الوفد يوم الثلاثا المذكور ، فلما كان بعد أذان الصبح أتى برق كثير شديد ثم رعد كثير من جهة الغرب ثم أتى مطر شديد بحيث أن الشخص يقطع بان لاعرض ولا خروج وقد تم تسحب السحاب إلى جهة الشمال ، فما ارتفعت الشمس إلا وقد ظهرت من السحاب وذهب بأجمعه إلى جهة الشمال وأصحت السماء ، (ص ٥٢) وخرج الناس والوفد / وكان يوماً عجيباً فسبحان من هذا بعض قدرته ، ثم لم يتغير النائب من المرج ولم يفعل مانادى له .

وفي يوم السبت ثالث عشريه انتقل النائب من المرج إلى أرض شقحب .

وفي بكرة يوم السبت سابع ذي القعدة قتل كبير البلاصية ابن الخياطة .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة منها دخل من مصر إلى دمشق الأمير خير بك حاجباً بعد عزل برسباي المجنون وتلقاه القضاة الثلاثة خلا المالكي ابن يوسف فإنه بمصر وتلقاه أبو قورة دوادار النائب ، والنائب يومئذٍ مقيم بشقحب ، وخير بك المذكور هو الذي كان تسلم دمشق لنائب الشام إينال الفقيه وحكم بها أياماً ثم هرب إلى عند أستاذه إينال المذكور ، ولم يمكنا من الدخول إلى دمشق كما تقدم ذكره ، ثم في هذه الأيام ولاه هذا السلطان هذه الحجوبية

---

(١) قرية صغيرة قبلي دمشق وعلى تخوم أرض حوران وهي تبعد عن دمشق نحو (٣٧) كيلو متراً وهي الآن معدودة من أراضي قرية زاكية تقع في الجنوب الشرقي من مزارعها وفي هذه القرية خان كتب على أسكفة بابه مايلي :

(١) (أنشأ هذا) الخان المبارك والسبيل العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير . (٢) شكر بن عبد الله الناصري في سنة ست عشر وسبعمائة . وعلى مقربة من هذه القرية مرج الصُفَّر الذي اشتهر بوقعة كبيرة عند فتوح دمشق .

الثانية ، ودخل في اليوم المذكور ، وأعقبه مرسوم شريف برفعه إلى القلعة .

وفي صبيحة يوم الاثنين سادس عشر ذي القعدة رجع النائب إلى دمشق .

وفي يوم الثلاثا رابع عشريه فرض النائب على غالب حارات دمشق مالاً أيضاً لنفسه مع وقوف الحال وغلاء الأسعار في كل بضاعة إلا اللحم .

وفي اليوم المذكور سافر الخاصكي سيباي الذي أعان على استخلاص المال الذي صادر به السلطان أهل دمشق ، ثم شرعوا في المصادرة للنائب مع الغلاء ووقوف الحال ولا قوة إلا بالله .

وفي هذه الأيام سافر النائب ونهب في مروره قرية يعفور[1] وقتل جماعة ، وهي بلد الشافعي الشهابي ابن الفرفور .

وفي هذه الأيام قبض أبو قورة دوادار النائب على كبير زعر ميدان الحصى المعروف بابن الأستاذ ، وعلى اثنين معه عند باب خوخة الخانقاه الخاتونية جوار جامع تنكز وأتى بهم إلى عند الاصطبل تجاه دار العدل فوسطهم فهرع زعر الحارات إليه وحصل بين الفريقين كر وفر وأخلا جماعات من ميدان الحصى بيوتهم ،واشتد خوف كبار زعر الحارات كاسماعيل القرواني وأبي بكر بن المبادل فدربوا الحارات والأزقة خوفاً من النائب الغائب يومئذٍ بجسر زينون ، أنه إذا جاء يعمل معهم كما عمل دواداره مع ابن الأستاذ ، سيما وقد بلغه أنهم قد هاشوا على دواداره بسبب ابن الأستاذ .

وفي عشية يوم الأحد سادس عشر المحرم سنة ثمان وتسعمائة قبض جماعة النائب على أحد زعر الشاغور فثار الغوغاء عليهم مع وجود النائب في دمشق ،

---

(١) هي قرية صغيرة تابعة لمركز مديرية قطنا قريبة من قرية الديماس تقع جنوبها وتبعد عن دمشق (٣٠) كيلو مترا .

فذهب إليهم بعض مماليكه فرموه وحمل إلى النائب ، فخرج جماعة من العبيد السودان والمماليك إلى قرب الشاغور وأطلقوا النار فيا قدروا عليه فهرب زعر الشاغور وقتل شيخهم وشيخ زعر القراونة إسماعيل بن بلغام ودفن في ليلته ، فلما رأى الناس ذلك استغاثوا فأتى إليهم زعر بقية الحارات ، فخرج عليهم الحاجب الكبير بجماعة كثيرة من المماليك والغز ، فهربوا إلى حارة مسجد الذبان[1] فتبعهم الحاجب بالجماعة المذكورة فتفرقوا فشرع المماليك والغز المذكورون في نهب البيوت وكسر الأبواب والحوانيت وأطلقت النار في زرب قصب بالسويقة المحروقة فدوركت بالطفي ، ونهب بيوت كثيرة في هذه الحارة من بعد العصر إلى بعد المغرب ، ثم نودي للناس بالأمان / ماعدا أهل الشاغور ، واستمرت النار توقد في (ص ٥٣) سوق الشاغور وما حوله ، وبلغني أنه مات في بايكة بالخان هناك عدة سبع جمال بالحريق ، ونهب السوق وغالب الشاغور .

ثم في صبيحة يوم الاثنين سابع عشريه ركب جماعة النائب وغيره وأكملوا حريق مالم يحترق من الشاغور المذكور واتسع أمر النهب ، ثم نودي برد ماأخذ منهم وهيهات ، لكن عورض جماعة فيا معهم من الحوائج الظاهرة فأخذت منهم ووضعت في أماكن لترد على أهلها فوصل البعض ، ثم أرسل النائب إلى كبير الزعر بباب المصلا وهو أبو بكر بن المبادل فطيب قلبه وآمنه .

وفي يوم الأحد رابع صفر ورد الخبر إلى دمشق بأن الأمير جازان أخا بركات سلطان مكة خادعه أمير الوفد المصري إلى أن دخل مكة فلم ينل جازان مراده منهم فرجع إلى الوفد الشامي وطلب منهم مالاً كثيراً فلم يقدروا عليه فنهبهم قبل

---

(١) هي الحارة التي يقوم فيها الآن مخفر الشيخ حسن على طريق الميدان وقد قام هذا المخفر على تربة حسن بن المزلق والمسجد الذي يقابله هو مسجد الذبان لصيق تربة بي عجلان (العجلاني) وهذا المخفر لصيق مقبرة باب الصغير من جهة الغرب على مقربة من تربة ابن البص .

وصولهم إلى مكة ، وأن الوفد المصري مستمر بمكة ينتظر نصر السلطان ، وأنه عين جماعات من العسكر إلى ثلاث جهات مكة ونابلس والشام فتأهبوا ونهبوا بمصر ماوجدوه وما يحتاجوه ثم أبوا أن يسافروا إلى مكة إلا بالسلطان معهم فأبى ذلك .

ثم تبين إبطال التجريدة من مصر إلى الشام وأن أزدمر اليحياوي أمير الوفد الشامي أراد السلطان إعدامه فشفع فيه فعفى عنه .

وفي يوم الخميس تاسع عشري صفر سنة ثمان المذكورة وصل من مصر خاصكي اسمه بردبك دوادار الغوري قبل التسلطن وبعده ، قيل أتى ليكون نائباً لقلعة دمشق لكونه من خواص السلطان وصحبته خلعة للنائب فخرج النائب وأرباب الوظائف على العادة إلى القبة ثم لبس النائب خلعة حمرا بسمور خاص ، وعلى الخاصكي المذكور خلعة ودخلا مدخلاً حافلاً .

وفي هذه الأيام رمى النائب على أهل دمشق مالاً لأجل مشاة تخرج معه إلى حلب تجريدة حرمة للبلاد لأجل ماقيل من أمر الخارجي حيدر الصوفي وذلك مع وقوف حال الناس من الظلم وكثرته .

وفي يوم الأحد ثالث عشري ربيع الأول من سنة ثمان وتسعمائة المذكورة تضاعف النائب واحتقن ، وفي ثاني يوم الاثنين رابع عشريه شرب شربة .

وفي يوم الخميس سابع عشريه دخل من مصر إلى دمشق خاصكي وصحبته خلعة لنائب فلعة دمشق بردبك الذي دخل قريباً فخرج أرباب الوظائف لملاقاته على العادة ، ولم يخرج النائب لأجل آثار توعكه ، ثم رأى آثار العافية فنودي بالزينة لذلك ولأجل ماقيل إنه قد ولد للسلطان ولد فزينت دمشق جبرا واستمرت مع تضجر الناس منها ومبيتهم في الأسواق (بعيدين) عن أهلهم وحريمهم .

وفي يوم الجمعة ثامن عشري ربيع المذكور في حال بقية آثار المرض على

النائب قبض جماعته على أزعر شريف من أهل الشاغور فقطع رأسه ، وفي وقت الغدا الكبير من يوم السبت تاسع عشريه وهو أول تشرين الأول كسفت الشمس واستمرت نحو ساعتين .

وفي يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة ثمان وتسعمائة المذكورة نقه النائب من مرضه فركب وطاف في نواحي دمشق ثم أرسل جماعته لنهب قرية خدر فنهبوها ولا قوة إلا بالله .

(ص ٥٤) وفي يوم الأحد والاثنين سابعه وثامنه وصل من مصر / إلى دمشق الأمير دولتباي خال الاسياد اليحياوي المنفصل عن نيابة القلعة إلى إمرة الميسرة بدمشق ، وأتى صحبته خلق كثير من الحجاج الشاميين المتخلفين بمصر وجماعات من التجار المصريين أيضاً .

وفي أواخر جمادى الأولى منها وصف للنائب لوجع رجليه ضبع ذكر يوضع حياً في زيت مغلي إلى أن ينهرس ويدهن به .

وفي هذه الأيام شرع يستخلص المال الذي صرف على مشاة من المال الذي جعله على الناس كما تقدم ، فاستخلصه من الناس أيضاً ، ولم يستخلص ممن أخذه من الزعر شيئاً .

وفي يوم الاثنين سابع عشري جمادى الأولى سنة ثمان وتسعمائة المذكورة أتى من مصر صبي صغير قريب من التمييز من أولاد النائب فخرج لملاقاته من دمشق أخ له من أبيه قد بلغ سن التمييز ، وخرج معه لذلك الحاجب الكبير ، ودوادار السلطان ، وبقية أرباب الوظائف ، فأركب من القبة وأتوا به ، فلما وصل معهم إلى مصلى العيدين مالت عمامته عن رأسه حتى كادت أن تسقط ، فوقف ووقف عسكر أبيه ثم أصلحها له أخوه بيده بحضور الحاجب وبقية الأمراء ، ثم دخلوا به إلى عند والده النائب وهو متوجع من رجليه بعد أن أدهن بالضبع الذي قلي له بالزيت .

وفي هذه الأيام نودي بالأمان ، وترك الظلم ، وأطلق عدة محابيس من الحبس ، وصرف جماعة من السودان والعريب وغيرهم .

وفي بكرة يوم الخميس أول كانون الأول مستهل جمادى الآخرة منها وصل من مصر إلى دمشق دوادار جديد بها للسلطان وانفصل من قبله منها .

وفي هذه الأيام نودي بدمشق بإتمام عمارة بوابات المحلات والأزقة التي لم تتم فيما تقدم ، والاهتمام بعمارة ذلك ، وفيها أيضاً شرعوا في استخلاص بقية المال الذي فرض برسم المشاة .

وفي يوم الجمعة حادي عشري جمادى الآخرة المذكور ركب النائب وزار الشيخ أرسلان وغيره .

وفي يوم الخميس تاسع عشر شعبان ورد المرسوم الشريف من مصر بأن يرمي على كل سكرة دراهم ليستعان بها على إزالة ضرر العرب بالحجاز وهذه رمية أخرى غير الرمية التي أخذت بحجة مشاة إلى حلب لأجل حيدر الصوفي .

وفي ليلة الأربعاء خامس عشري شعبان منها أرسل النائب دواداره أبا قورة إلى مصر لمراجعة السلطان في ذلك .

في أوائل العشر الثاني من رمضان سنة ثمان المذكورة رسم النائب وهو وجع لابن عمته دولتباي وقيل هو ابن أخي أم النائب أمير ميسرة المعروف بخال الاسياد اليحياوي بأن يسافر بعسكره معه وخرج معهم ابن القواس بجماعته ويذهبوا إلى أوائل الغور إلى بني صخر ويأتوا بخيلهم وأغنامهم وأموالهم فذهبوا وهم نحو ألف بعد أن سخروا دواب الناس بدمشق وبطرقهم ، فلما وصلوا إليهم نهبوهم وأخذوا جميع ماقدروا على أخذه منهم ثم أرادوا الذهاب إلى طائفة أخرى غير بني صخر المنهوبين فرجع المنهوبون المذكورون عليهم بالشاب وغيره فأصيب جماعات كثيرة من العسكر ، وقتل دولتباي المذكور ، وهرب الأتباع ، فصبر في

سحلية وحمل إلى دمشق مصبراً فاشتغل خاطر النائب أيضاً زيادة على ما به من الوجع ، وشغل باله من جهة مراجعة السلطان في أمر الرمية على دمشق لأجل (ص ٥٥) التجريدة إلى مكة وإرسال تمرباي أبي قورة لذلك وإبطائه عنه / .

وفي يوم الأحد حادي عشري رمضان المذكور أدخل إلى دمشق دولتباي المذكور في سحلية مصبراً وقد أنتن فدفن من غير غسل ، قيل ولا صلاة ، في تربة اليحياوي[1] ، وفي هذا اليوم شاع بدمشق أن الأمير تمرباي دوادار النائب أرسل من مصر بأن السلطان رسم أن يخرج من دمشق تجريدة إلى مكة من أموال النائب والأمراء لامن مال الناس فشرع بعض المباشرين يرسل إلى من توهم أنه غني ليقترض منه النائب والأمراء فهرب جماعات من المستورين عن أهلهم وبيوتهم .

وفي يوم الجمعة سادس عشري رمضان المذكور وصل من مصر إلى دمشق دوادار النائب تمرباي المشار إليه .

وفي يوم السبت سابع عشريه قبض النائب على الظالم الغاشم جانبك الفرنجي خازنداره ثم بعد يومين أطلقه .

وفي يوم السبت خامس عشري شوال سنة ثمان وتسعمائة المذكورة برز خام النائب إلى خارج دمشق للسفر إلى عرب الحجاز .

وفي عشية يوم الأحد سادس عشريه توفي نائب قلعة دمشق وظن غالب الناس بدمشق أنه سقي فلما حضر النائب ثاني يوم بالجامع الأموي للصلاة عليه أرسل بعض الأطباء للكشف عليه أسقي هو أم لا ؟ مع شاهدين فأخبر الأطباء أنه غير مسقي فكتب بذلك وأرسل يعلم السلطان ، ثم صلي عليه بالجامع ودفن

---

(١) تربة اليحياوي انظر ص (١٠١) .

بتربة النائب جوار الشيخ أرسلان ، وفي يوم الأحد ثالث ذي القعدة منها خرج سنيح غالب الأمراء إلى خارج دمشق .

وفي يوم الخميس تاسعه خرج النائب فمن دونه من الأمراء بالعدة الكاملة إلى التجريدة لعرب الحجاز ، وقد فرح الناس بذلك عسى الله أن يلهمه التوبة وحسن السيرة ، ثم أقام بقبة يلبغا إلى يوم الخميس رابع عشره وقد أفسدوا زروعاً وغيرها ثم رحل منها .

وفي هذه الأيام تواترت الأخبار بأن الدوادار الكبير أزدمر خرج من مصر وأنه وصل إلى الرملة وأن السلطان وزع غالب الأمراء ليصلح له وقته ويأمن خوفه منه .

وفي أوائل ذي الحجة رجع إلى دمشق قفل الأمراء الذين سافروا مع النائب في التجريدة لعرب الحجاز وأنها بطلت .

وفي بكرة يوم السبت سادس عشر ذي الحجة منها دقت البشائر بدمشق ، وشاع بأن أزدمر دوادار السلطان وصل إلى بيسان وأن النائب اجتمع به وخلع عليه ، وفي اليوم خرجت الزردخانة[1] من دمشق إلى مصر .

وفي يوم الثلاثا تاسع عشره أول فصل الصيف حصل بدمشق اختلاف كثير بين دوادار السلطان بدمشق وبين جانبك الفرنجي دوادار النائب بحيث خاف أهل دمشق .

وفي يوم الاثنين ثاني المحرم سنة تسع وتسعمائة دخل النائب إلى دمشق راجعاً من سفره المذكور وهو لابس خلعته التي خلعها عليه الدوادار ببيسان ، وبطلت تجريدته إلى الحجاز ولم يلاقه الحاجب ولا دوادار السلطان بدمشق ، بل تمارضا ،

(١) الزردخانة : المكان المخصص لحفظ السلاح ويريدون أيضاً بها السلاح نفسه كما ورد هنا .

وكان قبل دخوله بيوم نودي بالزينة بعد دق البشائر أياماً ، ثم بعد دخوله نودي بدوام الحرص على الزينة ، ثم روجع النائب في ذلك فرفعت .

وفي يوم الجمعة قبض النائب على جماعة من أمراء دمشق منهم طرباي دوادار السلطان بها وبردبك أتابك دمشق لكونهم خرجوا معه ثم رجعوا بغير إذنه لهم .

وفي عشية يوم الخميس تاسع المحرم نودي بدمشق على الخبز الخاص الرطل بدرهمين إلا ربعا ، وما دونه بدرهم وربع ، وما دونه بدرهم / فلم يمتثل الخبازون (ص ٥٦) ذلك والحال أن غرارة القمح بنحو المائتين ، والسمسم بنحو الخمسمائة ، والدبس بنحو الأربعمائة ، والفواكه بحمد الله كثيرة ولكن غالية الأسعار على غير قياسها ، والظلم فاش ، ولا قوة إلا بالله .

وفي هذه الأيام عزل النائب دواداره جانبك الفرنجي وولى فيها المحتسب يومئذ ، ونودي بدمشق أن الزعارة بطالة وأن أحداً لا يحمل سلاحاً ،ولا يلف على رأسه قرعانيا ، ولا يقلب ثيابه فلم يمتثل ذلك .

وفي بكرة يوم الاثنين سلخ المحرم المذكور لبس النائب خلعة حمراء بسمور خاص قيل إنها جاءته من مصر وأتى أهل الزعارة على عادتهم قدامه ولا قوة إلا بالله .

وفي بكرة يوم الأربعاء تاسعه دخل من مصر إلى دمشق الأمير أزبك الخازندار محتسب مصر وصحبته نحو عشر خاصكية مارين في الرسيلة إلى ملك الروم ابن عثمان ، وتلقاهم النائب ودخلوا مدخلاً حافلاً ، وأتى صحبتهم خلق كثير من التجار وغيرهم ولم يتكلفوا في طريقهم إلى غرامة ، وأتى صحبتهم عدة خيول خاص ومعهم عدة أحمال برسيم علفاً لهم .

وفي يوم الخميس عاشره دخل من مصر إلى دمشق أيضاً ولد النائب مخلوعاً

عليه بأمره أربعين وصحبته خلعة مطرز مذهب لوالده ، فدخلا مخلوعاً عليهما مدخلاً مهماً .

وفي هذه الأيام قبض النائب على دواداره كان جانبك الفرنجي ووضعه في الحديد وأسلمه ليلاً إلى قلعة باناس ، ثم بعد شهر فك الحديد عنه وأبقي في القلعة المذكورة معتقلاً عليه ، ثم اختفى أمره بعد أن أخذ النائب ماله الكثير المودع في حال اختفائه عند رجل مغربي ، فلما ظهر قبل وضعه في الحديد خاف المغربي منه لأخذ النائب ماله منه فمات خوفاً منه ، فما أمهل حتى وضع في الحديد وأرسل إلى القلعة المذكورة .

وفي يوم السبت رابع ربيع الأول من سنة تسع المذكور توفي دوادار الثاني للنائب وكان في خدمته عدة من الزعر المجرمين ، ومن قبله بأيام هلك السامري صدقة الذي كان أراد أن يتولى مكان جانبك الفرنجي فالحمد لله الذي أعز الإسلام ونصر جنده .

وفي هذه الأيام سافر النائب وجماعته إلى قريتي عذرا وضمير وغيرهما وهو الآن بقرية منين .

وفيها توفي أمام النائب الشيخ العالم محيي الدين يحيى بن شاهين المصري الحنفي ، وكان قد فوض إليه نيابة القضاء بدمشق من أيام ، فقضى نحبه ، وكان عنده فصاحة وفضيلة ، خطب مراراً بمصلى العيدين ، فرأيت عليه سيما العلماء الصلحاء .

وفي عشية يوم الثلاثا حادي عشري ربيع الأول من سنة تسع المذكورة رجع النائب من منين إلى دمشق وقد نقه ولده من مرضه .

وفي يوم الخميس ثالث عشريه أمر النائب بجمع القراء والفقراء ليقرؤوا القرآن وصحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر ، وحضر هناك ، الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون عن يمينه ، وقاضي الحنفية البدري بن الفرفوري عن

يساره ، وتحته قاضي الحنابلة النجمي بن مفلح ، ولم يحضر أحد من نواب الشافعي لغيبته بمصر ، ثم مد النائب للحاضرين مدة هائلة بصحن الجامع على ماقيل ، فيها نحو ألفي صحن أخذت من القاشانيين .

وفي عشية الأحد ليلة المعراج ليلة سبع وعشرين ربيع الأول المذكور توفي نائب طرابلس يلباي الاينالي المؤيدي وقد صار من قدماء الترك ، تولى عدة وظائف في عمره ، وكان قد تولى نيابة طرابلس من سنين وقبض عليه المتغلب نائب الشام / قصروه ، وأخذ ماله وعزل عنها ، وتولى غيرها ، ثم عزل أيضاً ، ولما (ص ٥٧) هرب نائب طرابلس في الشهر الماضي في البحر إلى البلاد الرومية ولي يلباي المشار إليه نيابتها أيضاً ، وأرسل متسلمه إليها وتسلمها ، وحكم فيها عنه ، وأراد يلباي بأن يدخل ولده عريساً بدمشق على ابنة الخواجا ابن القاري ثم يذهب إلى كفالته فتوجع ومات يومئذٍ .

وفي ليلة الأربعاء رابع جمادى الأولى سنة تسع وتسعمائة المذكورة توفي الطفل الكيس المراهق سيدي منصور ابن النائب مطعوناً ، وكان في يوم الجمعة الماضي قد أتى صحبة والده إلى الجامع الأموي وصليا بالشباك الكمالي ، وقد استحلاه الناس وحسن في أعينهم ، وغسل وكفن بالعمارة الجديدة بالاصطبل وصلي عليه تجاه بابي العدل والاصطبل المذكور ، ولم يذهبوا إلى تربة والده من داخل المدينة لأن ذلك فال على السلطان بل ذهبوا به على ظاهر باب الجابية على الشاغور ظاهر بابي الصغير وكيسان ، ثم على ظاهر باب شرقي إلى أن وصلوا إلى التربة التي عمرها والده جوار الشيخ أرسلان ، وقد خطف جميع ما على رؤوس الحمالين من الخبز والزبيب والملح وغير ذلك من قرب باب الجابية ، وحزن الناس على الميت حزناً شديداً ، ولما رجع والده النائب من دفنه أمر بالمناداة بإبطال المحرمات جميعها ، ونودي بذلك على باب البريد ، وأطراف دمشق وحمده الناس على ذلك ، وغلقت غالب أسواق دمشق لأجل وفاة ولده المذكور .

وفي مستهل جمادى الآخرة منها أدخل إلى دمشق مسمراً ينادي عليه الأمير سليمان بن حافظ بن القاق الذي قتل دولتباي خال أولاد النائب اليحياوي المتقدم ذكره في السنة الماضية .

وفي هذه الأيام رسم النائب باشهار النداء بدمشق بأن يتهيأ الناس لأمر الوفد الشريف وأنه هو الذي يسفره بنفسه ، وفيها كثر البرد والمطر وتزايد الطاعون مع شدة البرد ، وفيها أيضاً أتى من مصر قفل كبير صحبته نائب حماة الذي فارقهم وذهب على وادي التيم ، فلما علم النائب بقربهم من دمشق أمر بأن تدوغ جمالهم النفيسة بغير حق .

وفي يوم الثلاثا عاشر جمادى الآخرة المذكور هبت الرياح ووقع المطر واستمر قلة الصحو إلى ليلة السبت حادي عشريه ، وجاءت فيها زيادات كثيرة حتى غرق طواحين كثيرة وذهب مافيها وكذلك الحوانيت التي تحت القلعة إلى قرب باب الفراديس ، وفاضت عين دار البطيخ ، وخرب طباق وبيوت كثيرة ، وبالجملة فلم نر مثل هذه الأيام حتى غلا سعر الخبز لقلة الطحن .

وفي يوم الخميس سادس عشر رجب سنة تسع وتسعمائة المذكورة دخل من مصر إلى دمشق عدة خاصكية صحبة أحدهم خلعة الشتاء للنائب ، فلبسها من مصطبة القبق التي تقابل مسجد القدم ودخل على العادة .

وفي ليلة الخميس مستهل شعبان منها هرب من حبس القلعة جماعة من الأمراء دليت لهم حبال فنزلوا فيها إلى الخندق ، فلما تعالى النهار دل عليهم فأتى بهم .

وفي صبيحة يوم الخميس ثاني عشريه دخل من مصر إلى دمشق الخواجا ابن النيربي مخلوعاً عليه بإمرة الوفد ، وصحبته مشد النائب ، وعلى يديه خلعة النائب / تنسجي بمقلب سمور ، فدخل الثلاثة مخلوعاً عليهم ، وتلقاهم الناس على (ص ٥٨) العادة .

وفي يوم السبت مستهل رمضان منها أدير المحمل بدمشق على العادة القديمة خارج سور دمشق .

وفي يوم الخميس أيضاً رابع شوال منها ، وهو ثاني عشري آذار أدير المحمل المذكور أيضاً وهو عجب يدار المحمل في دمشق في نحو شهر وأيام مرتان .

وفي يوم السبت عشريه نودي بدمشق بعزل الحاجب الكبير وتولية قانصوه الجمل المصري .

وفي يوم الاثنين ثاني عشريه خرج وفد الله من دمشق وأميره الخواجا ابن النيربي .

وفي بكرة يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة منها سافر النائب بعسكر دمشق وصحبتهم جميع آلات الحرب والحصار ونزلوا بالمرج ثم بعد أيام حط على سطح المزة ، ثم سافر إلى البقاع ولم يبق بدمشق غير دوادار النائب والبردار وجماعتها .

وفي هذه الأيام هرب المقدم ناصر الدين بن الحنش من بلاد البقاع ، وحرق النائب بيته بقرية مشغرا ، وخربت بلاد كثيرة من الظلم ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم السبت حادي عشر ذي الحجة منها دخل من مصر إلى دمشق خاصكي لكشف الأوقاف .

وفي هذه الأيام وردت أخبار إلى دمشق بأن وفد الله يحتاج إلى نجدة ، وأنهم في شدة ، فرمي على الحارات مال كثير لأجل مشاة تخرج إليهم ، ونودي بدمشق إلى ملاقاتهم ونصرهم وإغاثتهم ، وتقطعت الطرق وغلا القمح والخبز بدمشق والناس في قلق ووقوف حال .

وفيها أيضاً ورد الخبر من مصر إلى دمشق بعزل قايتباي الذي ولي إمرة الميسرة بها لتجرئه على الأمير طرباي دوادار السلطان بها .

وفي يوم تاسوعاء وهو ثاني عشري حزيران خرج النائب من دمشق بالعسكر بـالعـدة الكاملـة والسلاح واللبـوس إلى تلقي الـوفـد من أجـل الخـوف عليهم من العرب .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره رجع مقـدم البقـاع الهـارب ووجـد في البقـاع الأمير جانبك الفرنجي دوادار النائب كان ، فقتله وقتل جماعة من شيوخ البلاد .

وفي سلخ حزيران يـوم الأحـد سـابـع عشر المحرم سنـة عشر وتسعمائـة تـوفي الخـاصكي الـذي أتى من مصر لأجـل مصـادرة الأوقـاف ولم يفرغ من بعضهـا فاستخلص الباقي نائب القلعة .

وفي يوم الاثنين ثاني صفر منها وصل كتب الوفد إلى دمشق وفيها أن الوقفـة كانت الجمعـة ، وأن سلطـان مكـة بركات كان قـد منع الـوفـد المصري من وقـوف عرفات ، ثم سمح لهم بشرط أن لا يستمروا بمكة أكثر من ثلاثة أيام ، وأنه كان معـه عرب كثير فاشتروا من تجار الوفد مقايضة شيئاً كثير .

وفي يوم الأحد ثانيه دخل الوفد إلى دمشق ودخل النـائب والحـاجب الكبير على يسار النائب ، وأمير الوفد على يمينه ، وشاع أن نـائب القـدس كانت لـه يـد بيضاء في تلقي الوفـد المـذكور ، وأن عسكره وصل مع عسكر النـائب إلى قريب منزلة معان ، وأن النائب أقام بالحسـا إلى أن وصل الوفـد وأنـه قـد حصل للوفـد بذلك فرج عظيم .

وفي هـذه الأيـام ضرب الخـاصكي تمراز الجـوشني للمحب الأسلمي كاتب السر بدمشق ، وليوسف نـاظر الجوالي بهـا ضربـاً مبرحـاً لأجل مـال السلطـان ، وهمـا محبوسان بقلعة دمشق .

وفي يوم الثلاثـا سـابع عشر صفر / المـذكور أتى من مصر خلعـة النـائب حمرا (ص ٥٩)

بسمور خاص ، فخرج على العادة بأرباب الوظائف ودخل بها على العادة وهو صحيح قوي ثم أحس بألم في بدنه فتوفي ليلة اليوم العاشر من لبسها .

وفي هذه الأيام توفي بدمشق رجلان مجرمان فاسقان أحدهما يوسف ناظر الجوالي ، والآخر أحد الدونة المعروف بابن شنتمر .

وفيها أيضاً هم النائب بالتجريد إلى مقدم البقاع ابن الحنش الذي قتل جانبك الفرنجي المعزول عن دوادارية النائب ، ثم أحسَّ النائب بزيادة السقم في بدنه فلم يقدر على السفر فبعث دواداره مملوكه وخرج صحبته الحاجب الكبير قانصوه الجمل وخرج معهما مشاة كثيرة من كل حارة واحد بمعلوم قدره خمسين درهماً ، وسافروا ليلة الاثنين ثالث عشري صفر المذكور ، ثم ثقل مرض النائب فحقن ، ومنع الناس من الدخول إليه .

وفي أواخر ليلة الخميس سادس عشريه وهو ثامن من آب توفي النائب قانصوه المحمدي نائب البرج فأصبح الناس وقد فرح غالبهم بل كلهم بموته ، وقل الترحم عليه كان يظهر الديانة لهم ويغري حاشيته لأخذ أموالهم .

وفي بكرة يوم الخميس جهز وصلي عليه وخرجت والدته في جنازته ودفن عند ولده بتربته جوار الشيخ أرسلان وأظنه في عشر الخمسين من عمره ، وكنت قد اجتمعت به في البيت الذي عمر بالاصطبل فرأيت له معرفة دنيوية تخفى على من لا يجتمع به ويحادثه ويقابله وتواضع للعلماء سامحه الله .

وفي يوم الخميس سابع عشريه رجع الحاجب ودوادار النائب والمشاة من البقاع ونودي للحاجب بنيابة الغيبة ، ولما توفي النائب كاتب إلى مصر تمراز الجوشني الخاصكي الذي أتى من مصر قريباً يسأل أن يستقر حواطاً على تركة النائب المذكور فلم يمهل ، وتوفي أيضاً يوم السبت ثامن عشريه .

وفي ليلة الأربعاء ثالث ربيع الأول منها أتى جماعة من الغوغاء إلى الخوارزمية[١] بسفح قاسيون تحت مغارة الدم ، ودخل اثنان منهم إلى شيخها محمد العجمي المعروف بالطواقي وضرباه بالسكاكين في مواضع كثيرة من بدنه ، ثم ذبحاه فقامت الأصوات فذهبوا عنه خوفاً من الناس فضمته زوجته وبنته إلى جانب الزاوية الخوارزمية ، ثم رجع إليه جماعة منهم فأخذوا رأسه ، قيل وقلبه أيضاً ، ورموا جثته في البير بالزاوية ، فلما أصبح الصباح وجاء الناس إليه فلم يجدوه ثم رأوا جثته بالبير فأخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه بالزاوية ، فكثر كلام الناس في أمره فنودي بأمر دوادار السلطان بالأمان وأن لا يتكلم أحد فيما لا يعنيه ، فظن الناس أن قتله كان بإشارة الدوادار المذكور فإن المقتول المذكور كان النائب المتوفى يكرمه ويسمع كلامه ويشفع في المظلومين ، ويراجع الدوادار المذكور وغيره في ذلك ، فلما مات النائب المذكور طمع في المقتول وسلط عليه هذه الغوغاء ، وخرج الحشرية[٢] إلى موجوده فأخذوه وتركوا زوجته وابنته ، وقرر السراجي الصيرفي في نظر الزاوية لمن أرعبه بالمال لأجل وقمها حمام العين شرقي سوق صاروجا ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الاثنين ثاني / عشر جمادى الأولى من سنة عشر المذكورة هجم جماعة (ص ٦٠ من الغوغاء الحرامية على قيسارية القواسين[٣] قبلي جامع الأموي وقتلوا بوابها وأخذوا من حانوت واحد نحو ثلاثين قوساً .

---

(١) انظر عن الخوارزمية القلائد الجوهرية ٣٤١ .

(٢) كان المذهب السائد في العصر المملوكي هو المذهب الشافعي ، وهذا المذهب لا يورث ذوي الأرحام كما في مذهب أبي حنيفة المعمول به في عصرنا ، ولذلك كان في العهد العباسي والأيوبي والمملوكي دائرة حكومية تسمى الدائرة الحشرية فإذا مات الميت عن زوجة وبنت وضعت الحشرية يدها على التركة فأعطت البنت والزوجة نصيبها وأخذت الباقي لبيت المال .

(٣) هي خان الحرير بسوق الحرير ، جدد بناءها درويش باشا .

[سودون العجمي]

٧٥

وفي اليوم المذكور دخل من مصر إلى دمشق الأمير قلج متسلم دمشق لنـائب الشـام الجـديـد سـودون العجمي المصري أمير مجلس بمصر وشـاع في هـذه الأيـام بدمشق بـأن سيبـاي نـائب حلب عرض عسكره عراضـة عريضـة وأراد استخـدام مشاة بمال كثير من أموال الناس ووافقه بعض مشايخ الحـارات ولم يوافقـه بـاقيهم وأظهر أنه يجرد على ابن رمضان وفي باطنـه خلاف ذلـك لمـا سمع أنـه عزل وطلب إلى مصر ليكون أمير مجلس عوض سودون المذكور ، وأن نيـابـة حلب استقر فيهـا خير بك حاجب مصر ، وشـاع بـدمشق أيضـاً عصيـان نـائب طرابلس دولتبـاي الذي عاد إليها قريباً ، وشاع أيضاً عصيان نائب حماه والله أعلم بصحة ذلك .

وفي يـوم الخميس ثـامن عشري جمـادى المـذكـور ورد المرسـوم السلطـاني إلى دمشق بتحليف الأمراء بقلعـة دمشق بـأن يكـونـوا عضـداً للسلطـان وعلى عهـده فأطاع جماعة منهم ، ودخلوا وحلفوا وتخلف جماعة منهم أركماس الـذي كان غـائبـاً عن دمشق مدة ، وكان النائب المتوفى حرق بيته ثم لما توفي النـائب شـاع بـدمشق أنه سعى في نيابة دمشق ، ثم لما شاع بدمشق تولية سودون العجمي المـذكور دخل هو إلى دمشق وتمارض وتضاعف ، وممن تخلف أيضاً عن دخول القلعة والحلف بهـا الأمير جانم مصبغـة ، والأمير قـايتبـاي والأمير يخشبـاي ، فتريب النـاس وشـاع عصيان دولتباي نائب طرابلس ، قيل وكذا نائب حلب سيبـاي المـذكور وأنـه لم يمكن متسلم خير بك من دخول حلب ، وكذا قيل عن نائب حماة ، وخاف جماعة من أمراء دمشق وغيرهم ، وانتقلوا من خارج دمشق إلى باطنها فزاد ريب النـاس أيضاً .

وفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة من سنـة عشر المـذكورة نودي بـدمشق

من قبل قلج المتسلم المذكور بأن الأمراء والمستقطعين في يوم الأربعاء الآتي يعرضوا عليه بآلات الحرب الكاملة ، وشرع نائب القلعة ودوادار السلطان بدمشق وكذا بقية المباشرين في بناء أسوار بأواخر عمائر دمشق فزاد ريب الناس ووقف حالهم ، ولم يصح إلى الآن أن النائب الجديد خرج من مصر لأجل اختلاف الترك .

وفي اليوم المذكور حضر قاضي الحنفية والمالكية والمتسلم وغيرهم إلى مصلى العيدين وأحضروا الغوغاء من أكابر زعر الحارات وحلفوهم على أنهم يكونوا مع جماعة السلطان بشرط أن يوضع في كل حارة أمير .

وفي اليوم المذكور نودي عنه بأن أحداً لا ينتقل من منزله ، ونودي فيها أيضاً أن المعارية والنجارين والحجارين كلهم يبيتون بقلعة دمشق ، وشاع بدمشق أيضاً بأن دولتباي نائب طرابلس المذكور قد وصل إلى حمص ، وأنه قبض على صهره نائبها ، وأنه توجه إلى حماة بعسكر هو نحو ألف نفر ، وأن النائب الجديد سودون المذكور لم يصح خروجه من مصر إلى الآن والناس في شدة .

وفي ليلة الخميس سادس جمادى المذكور وصل من حماة نائبها جانم هارباً بنفسه إلى دمشق وأظهر الخوف والبكاء / على حريمه وبناته بكاءً كثيراً ، وقال (ص لعلمي بفسق دولتباي ثم رفع إلى قلعة دمشق .

وفي يوم الاثنين عاشر الشهر اتفق رأس المباشرين بدمشق أن يعرض المشاة من كل حارة وكذا الجند إرهاباً للعدو ، فعرض عليهم زعر ميدان الحصى والقبيبات بالميدان الأخضر ، فازداد الزعر طغياناً على طغيانهم ، وتيقنوا عجز أرباب الدولة .

وفي يوم الخميس ثالث عشره قام بالشاغور أزعرهم المشهور بأبي طاقية وجمع

زعر الغوطة وما حولها من القرى ، وزعر بقية حارات دمشق وأخذوا من أموال الناس شيئاً كثيراً ، وطبخوا أطعمة كثيرة وساعدهم في ذلك الأمير أركماس الذي أتى دمشق قريباً كما تقدم ذكره ، وأعارهم شيئاً كثيراً من آلات الحرب وغلقت أبواب دمشق في اليوم المذكور سوى باب الفرج ، فخرج زعر الشاغور بكبيرهم أبي طاقية المذكور وكذا بقية الزعر أطلاباً أطلاباً بترتيب يعجز عنه أرباب الدولة إلى أن وصلوا إلى الميدان الأخضر ، فعرضوا به ، فحينئذ استقل الترك من أرباب الدولة بأنفسهم عنهم ، وخلع على أبي طاقية وجماعته ، ثم رجعوا وقد شاطوا وعاطوا في طلب مرادهم ، ولم يبق للترك عندهم حرمة ، ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الأحد سادس عشره ركب قلج متسلم دمشق وألبس جماعته وخرج معه مشاة كثيرة أرسلهم إليه أعانة أمير البقاع ابن الحنش ودار المتسلم بهم حول دمشق وبين يديه منادي ينادي بالأمان ، وترك حمل السلاح وأن لا يتعدى أحد على أحد وتهدد أهل دمشق بأن العدل لا يعجبهم ، وتوعد المجرمين لما رأى من أكابرهم الغوغاء في العرض المذكور ، وأخذهم أموال الناس بالصدم تارة وبالقهر أخرى ، فخافوا يسيرا حينئذٍ ، واطمأن الناس بعض الشيء سيما وقد شاع بدمشق يومئذ خروج النائب من مصر والله أعلم بصحة ذلك ، وشاع في هذه الأيام بدمشق بأن نائب حلب سيباي المعزول منها يحاصر قلعة حلب وأن دولتباي بحماة وقد استخدم خلقاً كثيراً فزاد وقوف حال الناس .

وفي يوم الاثنين رابع عشري جمادى الآخرة المذكور أشاع نائب قلعة دمشق والمتسلم قلج المذكور وغيرهما بأن نواب السلطان لدمشق وحلب وطرابلس وعسكر السلطان بمصر قد خرجوا من مصر قاصدين كفالاتهم فدقت بشائر دمشق وكبت المخامرون[1] .

(١) المراد بالمخامرة تعبير نية التشخص نحو الأمير والسلطان والانقلاب عليه .

وفي يوم الخميس سادس عشريه ورد المرسوم السلطاني بعزل قلج المتسلم المذكور وأن يرجع إلى مصر ، وشاع بدمشق تولية سيباي المنفصل عن نيابة حلب في نيابة الشام ، وقيل أن السلطان كان قد أنعم عليه بها ، فلما بلغه محاصرته لقلعة حلب عزل منها أيضاً ، وقيل أيضاً أن قيت الرجبي أتابك مصر اختفى وأن الأتابكة قد عينت لسودون العجمي المنفصل عن نيابة الشام وكثرت القالة ولا قوة إلا بالله ، ثم قيل أنه نودي بنيابة الغيبة للحاجب بدمشق قانصوه الجمل وقيل بعد ذلك أنه نودي بها لاركماس ولم يصح وفي ليلة السبت ثامن عشري الشهر سافر المتسلم قلج المذكور إلى مصر .

وفي يوم السبت ثالث عشر رجب منها / دخل من مصر إلى دمشق خير بك (ص ٦٢) أخو النائب المتوفى قانصوه البرج واشتهر بدمشق بأنه نائب حلب ، ودخل صحبته نائب القدس ، ونائب غزة وعسكرهما ، ودخل صحبتهم من مصر قاضي الحنابلة بدمشق النجمي بن مفلح ، ويومئذ وصل متسلم سيباي المنفصل عن نيابة حلب إلى مصطبة السلطان فأصبح يوم الأحد رابع عشر رجب المذكور ، ودخل إلى دمشق في أبهته على عادة أمثاله ، فلما استقر بالاصطبل ورجع عنه الحاجب الكبير قانصوه الجمل المذكور وغيره ، وذهبوا إلى قصر السلطان إلى عند خير بك نائب حلب المذكور بالميدان الأخضر طاش جماعة من عسكره وضربوا في حاشية المتسلم المذكور ونهبوا ثقلهم ، ودخل منهم أيضاً جماعة إلى المتسلم عقب جلوسه بحضرة القضاة وقبضوه وخرجوا به راكباً إلى قصر السلطان إلى عند أستاذهم خير بك المذكور ، كل ذلك والقلعة يومئذ محصنة بآلات الحرب ونائبها يومئذ طومان باي الأسمر ، ثم بعد ساعة وقد أتي بالمتسلم المذكور جماعة من عسكر خير بك المذكور وهو راكب على هيئته ، فدحلوا به من باب الفرج إلى قلعة دمشق ، قيل أن ذلك بإشارة نائبها طومان باي المذكور ، ثم نودي بالأمان وأي من ظلم أو قهر فعليه بملك الأمراء حير بك .

وفي يوم الأربعاء تبين أنه خامس عشري رجب فيه وردت الأخبار من مصر بالقبض على أتابك العساكر بها قيت الرجبي ، وأنه حبس بالإسكندرية ، ومعه ابن سلطان شركس ، وبالقبض على أخيه طومان باي دوادار السلطان بدمشق ، فرفع إلى قلعة دمشق ، وأن تكفل دمشق للأمير أركماس صهر دولتباي العاصي وصهر يخشباي المتروك بدمشق ، ونودي له بذلك ، كل ذلك وخير بك نائب حلب مستمر بقصر السلطان المذكور ، وحوله نواب القدس وغزة وصفد وحماه الهاربين من دولتباي ، وطرابلس يومئذ شاغرة عن نائب ، ثم اشتهر وشاع بدمشق أن قانصوه رحله نائب غزة الذي أتى صحبة خير بك ولي نيابة طرابلس ، وأن يخشباي المعزول بدمشق ولي نيابة صفد ، وأن سودون الدواداري ولي نيابة حماة .

[أركماس]

٧٦

وفي بكرة يوم الاثنين سلخ رجب خرج من دمشق أركماس المذكور وصحبته نائب حلب خير بك المذكور ، وبقية أرباب الوظائف إلى قرب قبة يلبغا وألبس خلعة خضرا بكمين مذهب خاص وكلوته بطرتين خاصين بكنبوش خاص بتقليد كفالة الشام من مصر بعد عزل سودون المذكور ، واستقرار سيباي ، نائب حلب فيها ، ثم عزل منها أيضاً ، ودخل أركماس إلى دمشق في أبهة حافلة ، وعلى يمينه نائب حلب خير بك المذكور ، وكان يوماً كثير البرد لنزول ثلج وبعض مطر إلى أن وصل تحت القلعة ، فسير على العادة ثم أتى إلى باب السر فنزل وصلى على جسره على العادة ثم ركب ودخل على العادة الجديدة بالاصطبل ، ونودي في اليوم حسب المرسوم السلطاني بإبطال المحرمات ولو كانت لأي أمير كان بتهديد شديد ، وأن لا يحمل أحد سلاحاً وهدد على ذلك ففرح الناس بذلك .

وفي بكرة يوم الثلاثاء مستهل شعبان سنة عشر المذكورة نادى بإبطال القرابيص النحاس من الفلوس .

وفي يوم الخميس رابعه سافر من دمشق إلى حلب خير بك نائبها الجديد وصحبته جماعته من النياب والحجاب في أبهة حافلة .

وفي يوم الاثنين سابعه ضرب النائب جماعة قد شربوا الخمر بالمقارع وأشهرهم بدمشق .

وفي يوم / الجمعة خامس عشري شعبان المذكور نودي بدمشق بإبطال (ص ٦٣) مشاهرة المحتسب وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ودعوا للنائب .

وفي بكرة يوم الاثنين سادس رمضان منها خرج النائب ونائب القلعة طومان باي وأرباب الوظائف إلى نحو القبة أيضاً وألبس النائب كاملية حمرا بسمور خاص ، وكذلك طومان باي المذكور ودخلا دمشق على العادة .

وفي هذه الأيام رمى النائب على الناس من عند تربة اليحياوي وحمام النسر والترب ومحلة قناة البريدي ومسجد الذبان وباب المصلا مالاً كثيراً لأجل مجرمين مراقي الدم شرعاً قتلا قبل ولايته نيابة الشام ، ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ثالث عشري رمضان المذكور أمر النائب بتخوزق رجلين مجرميں من زعر الصالحية كانا مع جماعة أخر ودخلا إلى رجل قباقيبي بالصالحية وقتلوه ، ثم بعد أيام أتوا إلى أبيه الذي توعدهم وهو يبيع القباقيب بحانوته بعمارة السلطان قريب مسجد القصب وبقية أولاده عنده بالحانوت فلما رآهم هرب منهم فتبعوه بحضرة الجم الغفير من أهل السوق وغيرهم فدقوه بالسيوف دقاً مهولاً فلم يزل النائب يتطلبهم حتى وقع هذان الرجلان فأمر بتخوزقها في أدبارهما بخوازيق غلاظ في اليوم المذكور وأركبها ونودي عليهما .

وفي يوم الجمعة رابع عشريه وهو سلخ شباط وقع بدمشق ونواحيها مطر جيد ولله الحمد بعد أن أيس نعض الناس وغلا سعر الأقوات بدمشق .

وفي يوم الجمعة عيد الناس وقد قل اللحم والقمح ، وكان النائب أمر أن ينادي أن من كان عنده قمح فليبعه وإلا نهب بعد ثلاثة أيام فتوهم الناس الغلا وقبضوا أيديهم ثم أرسل الله تعالى رحمته بالمطر الكثير إلى يوم الجمعة المذكور .

وفي صبيحة يوم السبت سقط ثلج وكثر المطر في جميع البلاد حتى في حلب بعد أن استقوا ومع ذلك فرطل اللحم الضان بدمشق بنحو ستة دراهم والخبز بنحو ثلاثة ، وكان النائب في الأيام الماضية أواخر رمضان قد أمر أيضاً بإشهار المناداة بإبطال الخمارات وأن أهل الذمة لا يتجاهرون بالخمر ، وأن من جلس منهم في حانوت يحفر له حفيرة يجلس فيها ولا يصدر .

وفي يوم الخميس سابع شوال سنة عشر ثالث عشر آذار أدير المحمل بدمشق على العادة .

وفي بكرة يوم الجمعة ثامنه سلم شيخنا المحيوي النعيمي على النائب الجديد أركماس المذكور في المبيت .

وفي بكرة يوم الأحد عاشره سلم على دولتباي البلباي الدوادار الجديد للسلطان بدمشق .

وفي يوم الثلاثا ثاني عشره عرفت قطعة قماش سرق مع رجل فسئل فقال : أهداها لي فلان فقبض عليه فاعترف بأخذ شيء من الحرام فهدد فأقر على جماعات وسرقات كثيرة ، وأن كبيرهم رجل يدعى هميل ورجل آخر يدعى فطيم الاقباعي سكنه جوار المدرسة البادرائية ، وهو متزوج ببعض جوار النائب ، وهو أحد المشاة قدامه فهدد فأقروا بقماش كثير فأمر النائب بنشر القماش على حبال الخيام بحوش الاصطبل وأمر بإشهار المناداة : أي من كان سرق له شيء من هذا

وعرفه وأقام البينة فليأخذه فأتى جماعات وعرفوا بعض قماشهم وشهد لهم من يعرف ذلك فأسلمه النائب إليهم . (ص ٦٤)

وفي يوم الخميس رابع عشر شوال المذكور وهو خميس البيض ورد من البلاد الشمالية طوائف كثيرة على قصد الحج من كثرة الظلم في بلادهم .

وفي يوم السبت سادس عشره ورد مرسوم شريف بعزل تمرباي أبي قورة من إمرة الوفد الشريف بعد أن تولى فيها قريباً بعد عزل قايتباي الخاصكي أمير ميسرة كان ، لأنه كان قد عين لإمرة الوفد من أوائل رجب فورد هذا المرسوم في اليوم المذكور بإعادة قايتباي وعزل أبي قورة ونودي له بذلك فكاد أن يختل نظام الوفد لقرب وقت الرحيل ، ثم رؤي في آخر المرسوم لفظ والحاضر يرى ما لا يرى الغائب فتعلق النائب بذلك وأصبح يوم الأحد سابع عشره عزل قايتباي وأعاد تمرباي وأمر بإشهار المناداة بأن إمرة الوفد الشريف برسم الأمير تمرباي المعزول بالأمس .

وفي يوم الجمعة بعد صلاتها وهو ثامن عشري آذار ثاني عشري شوال المذكور سافر تمرباي بالوفد من دمشق إلى قبة يلبغا وهو وفد كثير ، وفي يوم السبت ثالث عشريه وقت ظهره سافر من القبة .

وفي اليوم المذكور نودي بدمشق على اللحم كل رطل بأربعة دراهم ، وعلى الخبز كل رطل بدرهم ونصف ، وأعلاه إلى درهمين والحال أن الغنم والقمح فيهما قلة .

وفي يوم الاثنين خامس عشري شوال المذكور وهو سلخ آذار خلع على الحاجب بدمشق قانصوه الجمل باستمراره فيها بعد رجوعه من سفره مع نائب حلب خير بك المتقدم ذكره .

وفي بكرة يـوم الاثنين تـاسـع ذي القعـدة منهـا دقت بشـائر دمشـق لأجـل البشارة بخلعة النائب بالاستمرار .

وفي عشية يوم الاثنين سادس عشره أدخل إلى دمشق مسمرا على سلالمـة شيخ بلاد اللجـاه نصـار وقـد قتل ولـده وعلق رأسـه في رقبتـه وهو شيخ منور الـوجـه بلحيـة بيضـاء حسنـة بجسـد حسن ورأس ولـده على مـا بلغني ضخم بلحيـة سوداء قريب العهـد بعرس أتى الاثنـان طـائعين بهـديـة سنيـة من خيـل جيـاد وغيرهـا للنائب ، لكن لما لم يواجها نائباً قط احترما النائب فعرجـا في طريقهما على الأمير يونس بن القواس ليـدخل معهما إلى النـائب فخـوفهما وهـددهمـا فهرب الـولـد إلى قريب بلـد الكسوة فغمز عليهما يونس جماعتـه فـذبحوا الولـد ووضعوا الـوالـد في الحديد وأخذ الهدية وأرسل بالوالد ورأس ولده على الهيئة المذكورة فلما راهمـا أهل دمشق عرفوهما وتأوهوا لهما وترجموهمـا بـالكرم وإطعـام الطعـام للضيف ، وأخبر النائب بذلك وأن يونس المذكور فعل ذلـك بهما لأجل جـانبـاي أمير ال مري من العرب فإنهما من أصحابـه وهو عـدو يونس فـازداد النـاس حزنـا عليهما ، فلمـا علم النائب ذلك جبر خاطر الشيخ نصار وخلع عليه ووعده بأخذ دية ولـده فحينئـذ دعا الناس للنائب ودعوا على يوس المذكور .

وفي بكرة يوم الخميس تاسع عشره خرج النائب وأرباب الوظائف وغيرهم إلى قرب قبـة يلبغـا ولبس خلعـة الاستمرار المـذكورة ودخل مـدخلا حـافـلا وقرئت المراسيم الشريفة بأن السلطان أقامه مقام نفسه فيما يراه ، وأن ما على يده يد .

وفي يوم الاثنين مستهل ذي الحجة منها سافر النائب إلى المرج .

وفي ليلة الأحد سابعه رجع إلى دمشق .

وفي يوم الأربعـاء عيـد أهل دمشق وغيرهم وهـو رابـع عشر أيـار وكان الغنم والبقر والمعز في / سعره والأثمان وسط الأمور . (ص ٦٥

وشاع بدمشق فيه بأن الوفد لما وصلوا إلى العلا وجدوها خراباً .

وفي هذه الأيام دخل الرجل المجرم أحد كبار أعوان الظلمة المعروف بالأكثر إلى سوق الذراع وأخذ بعض قماش من بعض التجار به على صورة الشراء بقصد البلص ، ثم خرج به إلى أن وصل إلى قريب المدرسة الرواحية لقيته جماعة فوقعوا فيه قتلاً فأراح الله منه البلاد والعباد ، ولله الحمد .

وفي عشية الجمعة ثالث المحرم سنة أحد عشر وتسعمائة أمر النائب بتوسيط أحد المجرمين أيضاً المشهور بالسمكري كبير زعر باب الجابية فأراح الله منه البلاد والعباد ولله الحمد .

وفي هذه الأيام كثر الضرر على أعيان دمشق بسبب دايرة لرجل يزعم الشرف وحصل بجريرة ذلك على بعضهم طلم كثير من النائب ، وفيها أيضاً حصل ضرر كثير عليهم وعلى غيرهم بسبب رمي مال على أملاك الناس أجرة كل ملك عن شهرين بحجة مشاة تخرج إلى ملاقاة الوفد الشريف .

وفي يوم الثلاثا حادي عشريه خرج النائب بالعسكر والمشاة البراوية والمدنية على هيئة عجيبة ونزل قرب قبة يلبغا .

وفي يوم الخميس ثالث عشريه أمر بالمناداة بأن لا يتأخر أحد من المقطعين ، وفي اليوم المذكور خرج إليه الحاجب قانصوه الجمل فخلع عليه بنيابة الغيبة فرجع ودخل دمشق مخلوعاً عليه بها .

[سيباي]

٧٧

وفي يوم الجمعة رابع عشري المحرم المذكور دخل إلى دمشق الأمير سيباي المنفصل عن نيابة حلب قبل عصيانه بها ، ثم الإنعام عليه بنيابة الشام وسمع متسلمه بها ، فلما سمع بأن نائب حلب خير بك الذي وصل من مصر إلى دمشق قبض متسلمه هرب إلى البلاد السوارية[1] وهرب معه جماعة من أمراء حلب فاستمروا هناك إلى أن شفع فيهم جماعة من أمراء مصر وغيرهم ، فأنعم على سيباي بإمرة فأرسل متسلمه إلى مصر ، ثم دخل هو إلى دمشق في اليوم المذكور وصحبته جماعة ونزل بالأخضر ، ثم ركب وأتى إلى قلعة دمشق ودخلها طائعاً وصحبته اثنان فقط فسلم على جماعة بها ثم نزل وخرج إلى الميدان الأخضر المذكور .

وفي يوم الأحد رابع صفر منها سافر الأمير سيباي المذكور مطلوباً إلى مصر وخرج لوداعه نائب الغيبة قانصوه الحاجب وجماعة أخر ، وفي هذه الأيام شاع بدمشق أن النائب والعسكر والمشاة انتصروا على عرب مهنا بن مقلد من عرب آل مري ثم انكسروا بعد ذلك وعلا عليهم العرب وأنه قتل جماعات من الفريقين ، ولم يصح عن الوفد الشريف خبر إلى يومئذ ولم يعلم لهم خبر بل شاع بدمشق أنهم مقيمون بالعلا ثم شاع بها أيضاً أن نائب القدس أخذهم وأتى بهم على وادي بني سالم .

وفي يوم الاثنين تاسع صفر المذكور وصل إلى دمشق كتب الوفد ، وأنه في مشقة ، وأنه أقام بمكة نحو ستة عشر يوماً ، وأنه أتت عليهم ريح شديدة بوادي العطام مات منها حلق كثير ، وأنه لولا نائب القدس الذي أخذهم من أيدي العرب لهلكوا كلهم .

---

(١) البلاد السوارية نسبة إلى الأمير سوار راجع عنه ص (٨٦) تعليقه رقم (٢)

وفي اليوم المذكور ورد مرسوم شريف على يـد بعض أعوان الظلمـة بمصادرة جماعة من العلماء والقضاة وغيرهم .

وفي يوم السبت رابع عشري صفر المـذكور دخل الـوفـد الشريف إلى دمشـق وأخبر بشـدائـد كثيرة ، وأنهم أقـاموا بمكـة كما قيل / ستـة عشر يومـاً وبـالمـدينـة (ص ٦٦) الشريفة سبعة أيام ، وبـالعلا ثلاثـة عشر يومـاً وأن أمير بني لام مسلم وأمراء أخر جعلوا لهم رجالة حتى وصلوا إلى الحسا فتلقاهم نائب القدس وجانباي أمير آل مري فأوصلاهم إلى عند نائب الشام المقيم ببسر .

وفي يوم الثلاثا حـادي عشر ربيع الأول منهـا ختن النـائب ولـده العشـاري السن تقريباً وولد ابنته ابن دولتبـاي النحو التسـاعي السن وأشهرهمـا بـالفرح في دمشق .

وفي اليوم المـذكور تـوفي الرجـل المتحرك السـاكن المحب بن شهـلا وكان قـد شاط زائداً من حين ولي هذا النائب أركماس نيابة دمشق قد أدخله في نظر الجـامع الأموي يعامل الناس بضغائن قلبه ، وفوت معاليم أرباب وظائفه فيما لافائدة فيـه بتحسين ذلك للنائب فأراح الله منه العباد وجعل فرح النائب بولده وسبطـه يوم وفاته حكمة من الله .

وفي ليلـة الجمعـة رابع عشره انخسف القمر بعـد عشـائهـا وتكامل خسوفـه مع ثلث الليل وقريبـاً منـه واستمر إلى نحو نصف الليـل ، ثم أخـذ في الانجـلاء وهـذا اليوم كان عيد الجوزة .

وفي هذه الأيام قد غلا سعر القمح لانقطاع الجلب من بلاد حوران لـما خرج النـائب لتلقي الـوفـد وخربت بـلاد كثيرة من كثرة النهب ، ولا قـوة إلا بـالله ، ورطل الخبز بدمشق بنحو الثلاثة وأقل ما يكون بدرهمين .

وفي هذه الأيام وجد ميت مطروح ، في محلة القيمرية قرب جيرون فرمي على تلك المحلة وغيرها مال فضج الناس وكاد أن يقع شر كبير .

وفيها شنق رجل نفسه بمحلة قناة العوني[1] فرمي على تلك المحلة أيضاً فضجوا أيضاً . وفيها أدب ابن البطايني ولد زوجته فحم الولد المذكور فصودر بسبب ذلك بنحو عشرة أشرفية ، ثم بعد أيام توفي الولد فصودر أيضاً بنحو سبعين أشرفياً .

وفيها وجد أيضاً شاب بيده سكين وهو سكران فأمر النائب بشنقه فشنق .

وفيها خرج النائب بعسكره ونزل بسطح المزة ليسافر إلى نجدة ونصرة مقدم البقاع ابن الحنش على عدوه نائب بيروت بعد أن أرسل النائب أخذ موجوده صابوناً وغيره وطرحه على أسواق دمشق .

(وفي هذه الأيام دقت البشائر بدمشق) لما قيل أن السلطان قد عين لنائب الشام أركماس المذكور خلعة ، وهو عجب لكونه بمجرد التعيين تدق البشائر ، فقد يبدو للسلطان رأي آخر ، وقد تصل الخلعة وقد لاتصل ، وقيل أن ذلك حيلة في إقامة الحرمة على من زعم أن السلطان أكرم سيباي الواصل إلى مصر وأنه يريد إعادته إلى نيابة الشام وأنها مغالطة من النائب .

وفي يوم الخميس ثاني عشر[2] الشهر المذكور ورد الخبر من مصر بأن سيباي

---

(١) قناة العوني ، في حي العمارة قرب جامع الجوزة مكان معروف ومشهور وكان قبلي هذا الجامع مسجد آخر حول إلى محكمة منذ مائة عام ، تعرف بالمحكمة العونية وكان يفصل بين المسجدين طريق ضيق بعرض متر ونصف تقريباً وعرفت هذه المحكمة أيضاً بمحكمة الكلاب ، وكان قبلي هذه المحكمة قناة هي قناة العوني وقد هدمت قناة العوني مع المحكمة العونية منذ ستين عاماً توسعة للطريق .

(٢) الظاهر أنه يريد بهذا الشهر ربيع الآخر ولم يصرح بذلك وقد ورد هذا النص في المفاكهة ص ٢٩٢ وذكر في أخبار ربيع الآخر .

المذكور قد ولاه السلطان أمير سلاح بمصر ، وأن قانصوه رحله تولى الإمرة الكبرى بدمشق عوض بردبك المتوفى ، وأن قايتباي الخاصكي الذي كان أمير ميسرة بدمشق قد ولاه السلطان نيابة كرك الشوبك .

وفي هذه الأيام قد كثرت الرميات والمصادرات في كل محلة ، وشاط الزعر ولم يعطوا في رميته شيئاً ، بل قد وضع أحدهم يده على حوانيت قد أقام فيها من يبيع بأزيد من غيره ويقطع مصانعته ، وإذا رمي على المحلة مال ساعد في إخراج ما يخصه والحوانيت من مال غيره ، وهم في أكل الطيب ، وشرب المسكر ، وفساد في / نساء المسلمين وأموالهم ودمائهم ، وتراه يحمل على وسطه خنجراً مهولاً ، وهو (ص ٦٧) رجل قصير دميم مجرم ، يطمع في الحكام لمساعدته لهم على المصادرات ، ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الأحد رابع عشر الشهر المذكور سرق اثنان من حانوت قصاب رأسين لحم وما وجدا فيه فوجد ذلك معهما قرب باب الجابية فقبض عليهما وضربهما دوادار النائب ضرباً مبرحاً ، وأشهرهما ثم أمر بشنقهما على باب الحانوت الذي سرقا منه .

وفي اليوم الخميس سادس عشري ربيع الآخر المذكور دخل من مصر إلى دمشق نقيب قلعتها في أبهة زائدة وتلقاه أرباب الوظائف وكان النائب حينئذ مقيماً بالعسكر بالبقاع لنصرة ابن الحنش وخراب البلاد .

وفي اليوم المذكور أرصد الرجل المجرم أحد أعوان الظلمة المعروف بالمغربل الذي كان السبب في مصادرة جماعات وأتبع إلى أن دخل إلى زقاق الجاروخية شمالي العادلية الكبرى فقتلوه هناك .

وفي يوم الجمعة سابع عشري الشهر المذكور وصل من حلب إلى دمشق حاجبها الجديد جان بردي الغزالي ، ثم ذهب إلى النائب بالجسر وسلم عليه قيل

فأتى معه إلى المزة ليلبسه خلعة الحجوبية بدمشق عوض قانصوه الجمل الذي تولى نيابة صفد .

وفي يوم الخميس ثالث جمادى الأولى منها أتى النائب من البقاع إلى قبة يلبغا فلبس خلعة الاستمرار ودخل دمشق على العادة .

وفي يوم الاثنين سادس الشهر أمر النائب بصلب الرجل المجرم أحد أعوان الظلمة المعروف بابن المقصاتي الحمامي شكت عليه زوجته وأظهرت عنده السرقة وآلاتها .

وفي يوم الاثنين عاشر شعبان دخل من مصر إلى دمشق الحاجب الثاني عوض طقطباي .

وفي هذه الأيام عزل النائب أستاداره ابن الدمشيقي وولاها دواداره .

وفي يوم الاثنين سابع عشره خرج النائب وأرباب الوظائف إلى قرب قبة يلبغا ولبس خلعة حمرا خاص بسمور خاص ودخل إلى دمشق على العادة .

وفي هذه الأيام أرسل النائب سرية إلى بيت سابر[1] فنهبوها ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الاثنين رابع عشري شعبان المذكور حصل للنائب عقب الموكب بدار السعادة من الحاجب الكبير جان بردي الغزالي ومن دوادار السلطان دولتباي اليلباي ونائب القلعة طومان باي كلمات مزعجة توبيخاً لأجل تسليطه أربعة أشخاص على الناس في الظلم ، ولأجل تطميعه أهل الزعارة منهم أبو طاقية أزعر الشاغور وقد شرع في بناء بوابتين بالشاغور قرب جامع جراح وتفرق

(١) بيت سابر قرية صغيرة تابعة لقصاء قطنا واقعة على نتز مرتفع وسط سهول مدرجة في سفوح حبل حرمون وعلى مقربة منها نهر يسب إليها يسمى السيبراني وهي تبعد عن سعسع نحو ٦ كيلومترات .

الحاجب المذكور ومن حضر عن النائب وقد أعلموه أنهم يكاتبون إلى السلطان فخاف النائب من ذلك وسعى القضاة وغيرهم في الصلح ، وأصبح يوم الثلاثا خامس عشريه خلع على الحاجب ونائب القلعة المذكورين فسكنت الفتنة وبطل بناء البوابتين المذكورتين .

وفي هذه الأيام عزل النائب المحتسب الشريف وولاها لابن المحب ابن شهلا الأشقر .

وفي هذه الأيام أيضاً شرع النائب في عمل درابزين خشب بالجامع يمنة الداخل من باب الزيادة إلى آخر المجاز الذي يخرج منه إلى صحن الجامع وتقر في العواميد وجعل في الدرابزين المذكورة ثلاثة أبواب يدخل من المجاز المذكور إلى بقية الجامع ، ولم يرض أحد / ممن يرجع إليه في الدين بذلك ، ولم يكن الجامع (ص ٦٨) محتاج إلى ذلك ، ولم يكن له أبهة في ذلك في القلوب ، بل ضيعت الجامع فذهب من مال وقف الجامع جملة كثيرة فيما لافائدة فيه ، وفي هذه الأيام كثر وقوف حال الناس من كثرة الظلم ولا قوة إلا بالله .

[سيباي مرة ثانية]

وفي بكرة يوم الأربعاء سلخ شوال سنة أحد عشر وتسعمائة المذكورة خامس عشري آذار نودي بدمشق من قبل الحاجب الكبير جان بردي الغزالي ومن قبل نائب القلعة طومان باي بأن ما لأهل الشام نائب إلا الأمير سيباي ، وهو أمير السلاح بمصر الآن الذي كان نائب حلب ، ثم ولي نيابة الشام ثم عزل منها ، ثم طرد ، ثم رضي عليه ، وطلب إلى مصر وولي إمرة السلاح ، ولما سمع الناس هذه المناداة ظنوا في المعزول أركماس أنه مغضوب عليه لشدة بغضهم في فعاله ، بل أشاع بعضهم أنه أخذ في الحديد ورفع إلى القلعة ، وفرح الناس بعزله فرحاً كثيراً

وتباشروا برخص الأسعار ، ثم نودي بالأمان وأن لا يحمل أحد سلاحاً ، ثم بعد ثلاثة أيام بيع الكيل القمح بأربعين درهماً بعد وصوله إلى نحو ستين درهماً ، ثم هو في هبوط ووجد اللحم بعد أن كان عزيزاً ، ووردت الأخبار من مصر إلى دمشق بأن السلطان خلع على سيباي المذكور بمصر يوم الخميس سابع عشر شوال بنيابة الشام قبل وصول القود والزردخانة إلى مصر .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذي القعدة سنة أحد عشر وتسعمائة المذكورة وهو سادس نيسان دخل إلى دمشق من مصر الأمير اردبش متسلم دمشق لنائب الشام سيباي فتلقاه أرباب الوظائف على العادة ودخل وعليه خلعة بطراز خاص ، فلما نزل أبى أن يحكم حتى يخرج أركماس النائب المعزول من دمشق ، قال فإن لم يخرج وإلا دخلت إلى القلعة وأرسل أعرف أستاذي والمقام الشريف فذهب إليه جماعة فترقرق وطلب أن يصبر على مدة ثلاثة أيام فأبى المتسلم ذلك فروجع وخوف من الرمي عليه من القلعة فركب في الحال من بيته في جماعة يسيرة على جرائد الخيل ومر من تحت القلعة ، ثم على دار السعادة ، ثم على باب الجابية في الشارع الأعظم إلى أن نزل قريب قبة يلبغا ، فحينئذ أمر المتسلم المذكور بإشهار المناداة بالأمان وأن لا ظلم ولا عدوان وأن لا يحمل أحد من الزعر سلاحاً ، ففرح الناس بذلك .

وفي يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة المذكور يوم خميس البيض استخدم أركماس المعزول المقيم قرب القبة خلقاً كثيرة وصرف عليهم وعلى مماليكه جامكية واستحلفهم أن لا يفروا .

وفي يوم عرفة اجتمع جماعات من القبيبات وغيرها وكبروا وأتوا بأعلام وهم يهللون إلى الجامع الأموي وصعدوا المأذنة وكبروا على اردبش المتسلم المذكور ، وكان حينئذ هو والحاجب الكبير غائبين عن دمشق ، وذلك من أجل الرميات والغرامات على الحارات من جهة القتلى بل يقابل ذوو الجرائم بجرائمهم ، فشرع

نائب القلعة والحاجب الثاني في إخراج من حبس منهم في ذلك ونـاديـا لهم بترك هذه العادة وأنها بطالة ويتبع أهل الجرائم بجرائمهم .

وفي هـذه الأيـام وردت الأخبـار إلى دمشق بـأن أركماس المعزول عن نيـابـة الشام وصل إلى مصر ، وأن السلطـان أكرمـه وخلع عليـه وأنزلـه في مكان خـاص وأن سيباي النائب الجديد خرج من مصر وأنه واصل إلى كفـالتـه ، وأن صحبتـه قفل كبير .

وفيها قبض أيضاً / المتسلم المذكور على جماعة من زعر أهل الصـالحية فـأراح (ص ٦٩) الله منهم العباد والبلاد وحمد على ذلك .

وفي يوم الاثنين تاسع تاسوعـاء سنـة اثنتي عشرة وتسعمائـة وهو أول حزيران وصل من مصر النائب الجـديـد سيبـاي ونزل تجـاه قبـة يلبغـا من جهـة الغرب ، ونودي بالزينة بدمشق وحاراتهـا ، وهرع الأكابر للسلام عليـه ، واستمر هنـاك إلى يوم الخميس ثـاني عشره فنزل على مصطبـة القبـق ولبس الخلعـة الحسنـاء بـالطراز الخاص وركب وتلقـاه أربـاب الوظـائف على العـادة ، ودخل إلى دمشق مـدخلاً حسناً حافلاً جعله الله مباركاً على المسلمين وأن يجعله من الموفقين .

وفي يوم الجمعة ثـالث عشره أخليت لـه المقصورة بـالجـامع الأموي فصلى بهـا الجمعة وخلع على الخطيب السراج الصيرفي وعلى نائب المرقي السوبيني .

وفي يـوم الاثنين سـادس عشره أوكب على العـادة ومر على بـاب الجـابيـة ثم الشاغور وقد زينت له وشكى إليه بدار العـدل رجل من زوجتـه التي طلقهـا ولـه منها ابنتان أنها لم ترده إلا بعشرة أشرفية فأمر النائب خازنداره بأن يعطيه خمسـة أشرفية وأن يعطيه بقية الأغوات[1] تتمة خمسة عشر أشرفياً ثم قـال لـه هـذه العشرة

(١) الأغوات جمع آغا يأتي بمعنى السيد ، والامر ورئيس الخدمة والأتباع .

لها والخمسة أنفقها على عيالك ، وكلما احتجت تعال نعطيك فاستحسن الناس ذلك منه وحمدوه ودعوا له .

وفي هذا اليوم رفعت الزينة من دمشق وفي يوم الجمعة سابع عشري المحرم المذكور سافر النائب الجديد المذكور إلى بلاد البقاع للقبض على مقدمها ابن الحنش ، وفي عشية يوم الثلاثا سادس شهر ربيع الأول منها رجع النائب إلى دمشق .

وفي النصف الأول من الليلة المذكورة وهي ليلة الأربعاء سابعه ركب من دار السعادة ومعه بقية العسكر ليلحق الحاجب الكبير جان بردي ومن خرج معه إلى قتال عرب حوران عن الطائفة الطائعة ، ومر النائب على باب الجابية ثم على المصلى ، ثم الميدان ، ثم القبيبات بطبل الحرب يدق بين يديه ولما سمع العرب المذكورون سفره إليهم هربوا عن الطائفة الطائعة .

وفي ليلة الجمعة وقت العشاء عاشر ربيع الأول المذكور وهو سلخ تموز رجع النائب إلى دمشق والمشاعل تضيء قدامه على العادة .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول منها نودي بدمشق بالأمان والاطمئنان وأن أحداً لا يشوش على جلاب وأن لاظلم ولا عدوان ، وأن البلاصية المجددون بطالة ، ومن كان له صناعة فليذهب إليها .

وفي يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى من سنة اثني عشر وتسعمائة المذكورة نودي بدمشق من قبل النائب أن على كل حارة عدة عشرين ماشياً يسافرون صحبة النائب إلى كرك الشوبك حسب المرسوم الشريف ، فشرع عرفاء الحارات في جباية أموال كما فعل النائب قجماس في المشاة التي ذهب بها إلى الروم فتوقف حال الناس .

وفي يوم السبت ثاني عشري جمادى الأولى المذكور خرج النائب بعسكره من

دمشق إلى أن نزل حول قبة يلبغا ، ثم في يوم الأحد ثالث عشريه استناب دواداره الكبير اردبش في نيابة الغيبة وخلع عليه هناك وعلى استاداره ودخلا دمشق ثم سافر النائب .

وفي اليوم المذكور ثاني وصل الأمير دولتباي / أخو العادل الذي أتى به من (ص ٧٠) نيابة حلب إلى نيابة الشام واستمر بها إلى أن عزل العادل فهرب منها ثم شفع فيه ، ثم ولي طرابلس وهرب منها أيضاً إلى الروم ، ثم شفع فيه ملكها ورجع إليها ، ثم رحل منها إلى حماة ونهب نائبها بعد هروبه منه ، ثم رحل من حماة إلى مرعش إلى علي دولة وشفع فيه أيضاً ، ثم نزل الآن على القصير[1] مسافراً إلى مصر وهو زوج بنت أركماس المنفصل عن نيابة الشام الذي هو الآن بمصر ، ثم رحل المذكور من القصير ونزل بالميدان الأخضر ليلة الاثنين رابع عشري جمادى المذكور ، ثم في اليوم المذكور سافر من دمشق الأمير دولتباي اليلباي دوادار السلطان بدمشق ثم سافر بعده الحاجب الغزالي ثم في بكرة يوم الثلاثاء خامس عشريه سافر الأمير الكبير بدمشق بردبك تفاح بطُلُب حسن أحسن الأطلاب ليلحقوا النائب .

وفي بكرة يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة منها سافر من الميدان الأخضر إلى مصر أخو العادل دولتباي المذكور وصحبته خلق كثير منهم طومان باي المنفصل من نيابة قلعة دمشق وصحبته أيضاً تقيبها الجميع مطلوبون إلى مصر والنائب مقيم حينئذ قرب مدينة أربد من حوران ، ثم ذهب إلى صرخد .

وفي يوم الاثنين ثاني عشري جمادى الآخرة المذكور دخل النائب إلى دمشق راجعاً من بلاد حوران وتلقاه الناس على العادة وذهب المال الذي جبي لأجل المشاة وهو مال كثير .

---

(١) القصير تصغير قصر وفي البقعة التي يقال لها القصير خان كبير كانت تنزله القوافل يقال له خان القصير وهو على طريق بغداد وحمص ويبعد عن دمشق (١٦) كيلو متراً وفي أواخر العهد العثماني كان مستودعاً للأسلحة العسكرية وفي سنة ١٩٣١ استلمته دائرة الصحة وقلبته إلى مستشفى للأمراض العقلية ، وأنشئ أمامه حظيرة يسكنها الأشخاص المصابون بالجذام

وفي يوم الاثنين سابع رجب لبس الأمير دولتباي اليلباي دوادار السلطان بدمشق خلعة الاستمرار بين يدي النائب بدار العدل وركب معه أرباب الوظائف على العادة من بين يديه .

وفي يوم السبت حادي عشر شعبان سافر حريم النائب المنفصل أركماس من دمشق إلى عنده بمصر وسافر صحبتهم بحريمه أيضاً امامه الشهاب بن الملاح .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر رمضان كان أول شباط فيه لبس النائب سيباي المشار إليه خلعة جاءته من مصر وخرج إلى نحو القبة وخرج أرباب الوظائف وغيرهم على العادة ثم لبسها ودخل مدخلاً حافلاً .

وفي يوم الخميس حادي عشري رمضان منها وهو رابع شباط دخل من مصر طومان باي راجعاً إلى نيابة قلعة دمشق وصحبته نقيبها وتلقاها الناس على العادة .

وفي يوم الجمعة تاسع عشري رمضان المذكور حرج على اللحم وجعل على كل رأس يخرج من المسلخ لمن يختم عليه نحو الدرهمين فزاد وقوف حال الناس فألهم الله الحاجب الكبير جان بردي الغزالي السعي في إبطال ذلك .

وفي يوم الأحد حادي عشر شوال منها أمر النائب بفتح قبة عائشة غربي صحن الجامع الأموي ففتحت وصعد إليها هو بنفسه ونائبه في النظر على الجامع .

وفي يوم الاثنين رابع عشري شوال المذكور قبض النائب على أحد المجرمين المعروف بابن الدمشيقي استادار النائب المنفصل أركماس لكونه رأس الزغلية ، وضرب على ذلك بقلعة دمشق ومعه جماعة أخر وقد كثر الزغل في هذه الشهور ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الثلاثا خامس عشري شوال المذكور سافر النائب إلى نحو القصير لأجل الوقوف على قسمة ماهناك .

وفي هذه الآيام شرع النائب في عمارة حمام خراب داخل باب توما .

وفي ليلة الثلاثا سادس المحرم سنة ثلاث عشرة وتسعمائة هجم الحرامية على قيسارية القواسين وأخذوا شيئاً كثيراً .

وفيها هجم الحرامية أيضاً على حانوت بالخلعية نزلوا إليه من سطحه وانتقوا قماشاً من خاص قماش به .

وفي يوم الاثنين سلخ أيار تاسع عشر المحرم المذكور ركب النائب والحاجب / جان بردي وغيرهما وأراقوا الخمور وأبطلوا الخمارات ونودي بأن (ص ٧١) لا يحمل أحد سكيناً وفرح الناس بذلك لكثرة الخمارات والزعر وحملهم الخناجر المهولة .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشري المحرم المذكور عرض عسكر دمشق من المقطعين وغيرهم ورمي على الحارات مال كثير لأجل التجريدة إلى عرب كرك الشوبك .

وفي يوم الثلاثا رابع صفر منها خرج النائب بعسكره إلى العرب المذكورين .

وفي هذه الأيام تواترت الأخبار أن مركباً في البحر بالإباحة غرق بأهله وهم نحو المائتين ولم ينج منهم إلا القليل .

وفي أثناء شهر ربيع الأول منها أراد جماعة النائب في غيبته أن يطرحوا على الحارات ثمن شعير للنائب زيادة على ما رموا على الحارات من المصادرات فألهم الله تعالى نائب القلعة في العشي في إبطال ذلك ، واشتهر أن النائب وأزدمر الدوادار الكبير وأمراء دمشق مقيمون بأرض حوران بعد أن نهب أهل القرى وصودروا وهرب منهم خلق كثير ولا قوة إلا بالله .

وفي هذه الأيام نودي بدمشق بالزينة زيادة على ما الناس فيه من الشدائد قيل وسبب هذه الزينة أن جند السلطان الذي أرسله إلى الحجاز انتصروا على العدو .

وفي يوم الأحد ثامن عشري ربيع الأول المذكور وهو ثاني آب سافر قاضي الحنفية وقاضي الشافعية الفرفوريين للسلام على الدوادار الكبير وللسلام على النائب .

وفي يوم الأحد خامس ربيع الآخر منها رفعت الزينة المذكورة من دمشق وكان ذلك اليوم عيد الجوزة ، وفي يوم الثلاثا سابعه رجع القاضيان المذكوران إلى دمشق .

وفي يوم الخميس تاسعه رجع النائب ومن كان سافر معه من الأمراء ونودي بالزينة أيضاً .

وفي يوم الجمعة عاشره صلى النائب بالجامع الأموي وازدحم الناس لرؤيته ونودي بالأمان واستمرت الزينة مع وقوف الحال .

وفي بكرة يوم السبت حادي عشره خرج النائب وأرباب الوظائف وغيرهم إلى قبة يلبغا ولبس النائب الخلعة التي جاءت من مصر في غيبته وكذلك قاضي الشافعية ولي الدين الفرفوري وخرج الناس على العادة .

وفي يوم الأحد ثاني عشره لبس النائب أيضاً خلعة ودخل بها على العادة .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره لبس أيضاً خلعة من قرب القبة ودخل بها أيضاً على العادة ، وفي يوم الاثنين المذكور رفعت الزينة من دمشق بعد فساد كثير وتعب شديد لأرباب الأسواق ولا قوة إلا بالله .

وشاع في هذه الأيام أيضاً أن الخارجي حيدر الصوفي[1] قد خرج على الأمير علي دولة وتقاتلا وأنه قرب من حلب ، فزاد وقوف حال الناس من كثرة الرميات على الحارات وكثرة ما يرميه المحتسب على أرباب المعائش ، ومن كثرة ما يأخذه زعر كل حارة من حوانيت الناس ويقيمون فيها من تحت أيديهم من يبيع لهم ويحمونه من هذه الرميات ويبيعون كيف أرادوا بما أرادوا ، ولا يمكنوا أحداً أن يبيع في سوقهم إلا أن يكون لهم عليه فائدة ، واستهل شهر جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة وهو تاسع أيلول وقد رمي على أهل الحارات مشاة .

وفي يوم السبت ثالثه رسم النائب بعرض مشاة القبيبات ومشاة ميدان الحصى ومشاة المصلى والسويقة المحروقة فعرضوا عليه بالمرجة .

وفي خامس عشر جمادى الأولى المذكور اشتهر بدمشق موت الأمير الذي قد أهلك الحرث والنسل ووصل شره إلى جميع البلاد أزدمر الدوادار الكبير المتقدم ذكره .

وفي يوم الجمعة / مستهل جمادى الآخرة منها برز النائب إلى مصطبة (ص ٧٢) السلطان وخرج معه القضاة ودوادار السلطان على نية السفر والتجريد على الخارجي حيدر الصوفي ، وفي يوم الجمعة سابعه سافر .

وفي أواخر جمادى الآخرة المذكور كثر قتل النفس التي حرم الله في غيبة النائب وكثرت الرميات من خازنداره نائب الغيبة بسبب كثرة القتل .

---

(١) هذه إشاعة شاعت بدمشق والظاهر أن المؤلف لا يعرف عن هذا الخارجي شيئاً فالذي تقاتل مع علي دولة (علاء الدولة) هو شاه إسماعيل الصفوي (انظر العراق بين احتلالين ٣/٣١٢) وتسمى هذه الأسرة بالصفوية نسبة إلى أحد أجدادها صفي الدين ، وينعتها المؤلف بالصوفية وهذا صحيح أيضاً لأن هذه الأسرة توصلت إلى الملك عن طريق الصوفية (انظر المصدر المذكور ٣/٣٢٧) وانظر ص ٢٠٦ حيث يسميه المؤلف : إسماعيل الصوفي .

وفي أوائل رجب منها رجع من عند النائب الأمير أتابك دمشق ودوادار السلطان بها وأخبروا أن النائب راجع أيضاً إلى دمشق .

وفي يوم الخميس عشريه دخل من مصر إلى دمشق المحب الأسلمي وقد تولى عدة وظائف : كتابة السر بدمشق ، ونظر جيشها ، وقلعتها .

وفي هذه الأيام ورد إلى دمشق مماليك أجلاب جراكسة وزاد بسببهم وقوف حال الناس ، وغلقت أسواق وحوانيت كثير من خطفهم مايحتاجون إليه وغيره من الأطعمة والأقمشة ويقفون في الطرق يأخذون عمائم المارين أو شدودهم ويأخذون مايرونه على الدواب من الأثاث وغيره ، وغالب هذه المماليك الأجلاب كبار بذقون ، ويبيعون مايخطفونه لمن يشتريه منهم .

وفي بعد عصر يوم الثلاثا ثالث شعبان منها وهو سابع كانون الأول دخل النائب إلى دمشق وقد مر على البلاد بعد رجوعه من تجريدة الصوفي التي وصل فيها إلى حلب .

وفي يوم الأربعاء ثاني رمضان منها ذهب القضاة الثلاثة خلا الحنفي فإنه بالقلعة إلى دار العدل ومعهم السيد كمال الدين مفتيها من الشافعية فرسم النائب لهم بهدم مابناه كاتم السر المحب الأسلمي قبلي قبة الشيخ رسلان من حيطان على مقابر المسلمين ونبش قبور جماعة فرجع القضاة ومعهم جماعات أخر إلى المكان المذكور وهدموه وقد غرم عليه جملة وحصل عنده قهر وهو ناو للشر لمن كان السبب في ذلك .

وفي يوم السبت سابع عشر شوال منها دخل من مصر إلى دمشق قصاد الخارجي إسماعيل الصوفي وتلقاهم النائب وأرباب الوظائف وهم نحو الخمسين نفراً والمتعين فيهم اثنان وجميعهم بعمائم بيض بوسطها طناطير حمر بارزة طويلة نحو الذراع .

وفي يوم الاثنين سادس عشريه وهو أول آذار لبس النائب خلعة حمرا بسمور خاص جاءته من مصر وكان يوماً مطيراً .

وفي يوم الأحد عاشر ذي القعدة منها ورد مرسوم سلطاني بطلب محب الدين الأسلمي ومن تعصب عليه في نبش المقبرة التي هدم مابناه فيها عند الشيخ رسلان فقبض جماعة منهم النجم بن الشيخ تقي الدين ابن قاضي عجلون وشهاب الدين الرملي والبرهان الصلتي القصير لأجل ابن عمر البرهان الذي هرب ونور الدين بن القباقبي أحد خدام الشيخ رسلان وبات الجميع بالقلعة ، ثم في ثاني يوم ، يوم الاثنين ضمنهم محب الدين وأطلقوا للتأهب إلى السفر إلى مصر ثم كتب نائب القلعة يعلم بهروب البرهان المذكور ، والظاهر أنه إنما هرب إلى مصر خوفاً من الترسيم والخسارة وأن الباقين واصلون إلى الأبواب الشريفة ثم استحثهم في ذلك .

وفي يوم الأربعاء رابع عشره سافر النائب إلى الخربة على العادة .

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة منها رجع النائب إلى دمشق من الخربة وكان قبل رجوعه بأيام جاء نذير من جماعة ابن ساعد يعلمه بأن عرب آل
قنى بالمكان الفلاني فركب في الحال إليهم وتلاحقه العسكر فلحقوا آخرهم بعد
رحيلهم فقتلوا منهم جماعات وأخذوا / منهم مالاً . وفي يوم ... سادس عشر به (ص ٧٣)
حضر النائب والقضاة الأربعة ونائب القلعة ودوادار السلطان ونواب القضاة
بتربة النائب قانصوه البرج بمحلة الشيخ أرسلان لأجل الكشف على ماأحدثه
وتجرأ عليه المحب الأسلمي وهدمه السيد كمال الدين وقاضي المالكية يومئذ بدمشق
خير الدين وقاضي الحنابلة بها يومئذ نجم الدين لورود المراسيم بتحرير ذلك بعد
أن اجتمع السيد كمال الدين بالسلطان ثم قاموا للكشف وصحبتهم المعمارية كابن ٢
العطار والمهندسون الذين جاؤوا من مصر بسبب ذلك فرأوا ذلك ، وشهد
المعماربة ومن معهم زورا ثم أخذ خطوط من حضر في المجلس بالشهادة على شهادة
المعماربه ومن معهم .

وفي يوم السبت ثامن عشريه جاء الخبر إلى النائب بأن العرب طاشت لأجل ماأخذه النائب من أموالهم فسافر إليهم . وفي يوم السبت خامس المحرم سنة أربع عشر وتسعمائة رجع النائب من سفره إلى العرب .

وفي يوم الأربعاء حادي عشره خرج من دمشق ففل إلى مصر وقد حمل كاتب السر ناظر الجيش المحب الأسلمي الآلات التي كان عمر بها الجدار الذي أفتى بهدمه السيد الكمالي مفتي دار العدل فهدمه قاضي المالكية بدمشق خير الدين وتجرأ عليهما بذلك كاتب السر المذكور والذي حط عليه الأمر حكاية كلام منكري القدم وحكاية كلام من أثبته وحمل هذه الآلات على عدة اثني عشر جملاً وأرسلوا إلى مصر ليقف المقام الشريف بها وتشخص قدامه وقد كان جمع قاضي القضاة المالكية خير الدين الهادم عظام الموتى التي أخرجت من تحت الجدار في علب وختم عليها وختم النائب عليها معه وسافر بإذن النائب في يوم الجمعة ثالثه إلى مصر ، وفي هذه الأيام سافر النائب من دمشق إلى مرج الغوطة وقد كتب في محاضر الفريقين خطه وكذا جميع أرباب الوظائف وغيرهم ممن يشار إليه بها ثم عاد سريعاً .

وفي يوم السبت حادي عشر صفر منها خرج النائب وأرباب الوظائف بدمشق إلى تجريدة عرب كرك الشوبك بعد أن رمى على الحارات مالاً وقيل إنما خرج لمصادرة الأمير محمد بن ساعد .

وفي يوم الجمعة مستهل ربيع الأول منها وهو سلخ حزيران اشتهر بدمشق بأنه رسم على السيد كمال الدين بن حمزة وعلى قاضي المالكية بدمشق خير الدين وأنه لما أحضر على السلطان سأله ما السبب لهذا الاختلاف فأنطقه الله بشيء كان سبباً لنصر المحب الأسلمي فقال : حظوظ النفس وضغائن في القلوب ، فقال السلطان : في هذا الجواب كفاية فكيف تكون الأحكام الشرعية بالحظوظ والضغائن ؟ فجعل ذلك حجة له بعد أن كان جانبه مترجحا ، ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس خامس ربيع الآخر منها رجع النائب من غيبته بالبلاد القبلية بعد أن وفق بين طوائف العرب وهو لابس خلعة جاءته من مصر .

وفي يوم الثلاثا رابع رمضان منها لبس النائب خلعة الشتاء وتلقاه الناس على العادة ثم دخل عقب دخوله إلى دمشق ثلاث محفات الأولى فيها أم النائب ومعهن محاير كثيرة وكان مدخلاً جافلاً .

وفي يوم الاثنين رابع عشري ذي القعدة منها جاءت إلى النائب خلعة على يد هجان فخرج هو وأرباب الدولة إلى لبسها فلبسها على العادة ودخل بها وهي خلعة حمراء . وفي يوم الأحد رابع ذي الحجة منها تضاعف النائب فنهب المماليك أغنام الناس ومن أعطى منهم ثمنها إنما يعطى نزراً يسيراً مع غلاء سعر اللحم كل رطل بستة .

وفي يوم الثلاثا آخر أيام التشريق / أمر النائب بإشهار النداء بإبطال الجباية (ص ٧٤) عن الحارات وأن لاتسمع الشكوى بلا غريم يقابل ، وأن لاظلم ولا عدوان ، وأن لايحمل أحد سلاحاً ، وأن كل غريب عن بلده يرجع إلى أهله أو يقيم عند من يضمنه ،وفي يوم الخميس خامس عشره أظهر النائب العافية وخرج إلى الناس .

وفي يوم السبت ثاني محرم سنة خمس عشرة وتسعمائة خرج النائب من دمشق إلى الخربة على العادة ، وفي يوم السبت حادي عشري صفر منها رجع النائب من الخربة وقد دقت بشائر دمشق مدة أيام لكونه قتل كبار آل دغمان وهرب الباقون ، وأخذ حريمهم وإبلهم وأولادهم ونودي بالزينة فوضعت بدمشق بكرة يوم الأحد ثاني عشريه .

وفي يوم الاثنين ثالث عشريه دخل النائب دمشق وتلقاه الناس على العادة ودمشق مزينة له وزحف جماعة المقتولين من آل دغمان وغيرهم على أمير العرب

ابن جانباي البدوي فهرب منهم إلى قرب دمشق كالقبيبات وتخبط البر وانمحق زرعه ، ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الأربعاء خامس عشريه سافر النائب إلى المرج لأجل تدويغ الدواب التي أخذها من العرب وقد باع جماعته بدمشق إبلاً كثيرة وغيرها بالرخص فالله يحسن العاقبة .

وفي ليلة الأحد ثامن عشريه رجع النائب إلى دمشق .

وفي يوم الخميس سابع عشري ربيع الأول منها لبس النائب خلعة وتلقاه الناس على العادة ، ودخل وعلى يمينه القاضي الشافعي النجمي ابن قاضي عجلون ، وعلى يساره القاضي المالكي خير الدين الغزي وقد أتى من مصر قريباً .

وفي يوم الاثنين سادس عشري ربيع الآخر منها أتى النائب من مصر خلعة على يدي جماعته وقد خلع عليهم أيضاً ولبسها من خارج دمشق على العادة وعلى يديهم مراسيم بإخراب بلاد ابن ساعد ، والقبض عليه ومرسوم آخر بالحط على جماعة النائب وأن جماعة القلعة شكوا عليه .

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشريه سافر النائب نجدة لدواداره وقد حصره العرب .

وفي ليلة الثلاثا خامس جمادى الأولى منها دقت البشائر بدمشق لأجل ماقيل إن النائب انتصر على من حصر دواداره من العرب .

وفي هذه الأيام أرسل النائب إلى دمشق يطلب سنيحاً يجهز له من مال الحارات وما أظنه يعلم ، وفي ليلة الجمعة ثاني عشريه رجع النائب إلى دمشق .

وفي ليلة يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة منها سافر النائب سيباي مطلوباً إلى مصر وكثرت الأقوال بسبب ذلك ، وفي يوم الأربعاء سلخ رجب منها نودي

بدمشق بالزينة بعد أن دقت البشائر بأن النائب خرج من مصر وتوجه إلى كفالته على عادته وأن بعض الناس فارقه بغزة .

وفي بكرة يوم السبت ثالث رمضان منها دخل النائب إلى دمشق مخلوعاً عليه راجعاً من سفرته إلى مصر وتلقاه القاضي المالكي والقاضي الحنبلي وأرباب الوظائف على العادة في أبهة حافلة ولم يحضر القاضي الشافعي النجمي ابن قاضي عجلون لأنه كان مرسماً عليه بالقلعة ولا القاضي الحنفي المحيوي بن يونس لأنه كان مسافراً بمصر . وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشري ذي القعدة منها لبس النائب خلعة حمراء بمقلب سمور خاص من قريب القبة أتت على يد خاصكي عليه خلعة بطراز خاص وكان يوماً مطيراً فلم يحتفل الناس على عادتهم لأجله وهذه الخلعة تتمة ثلاثة عشر خلعة .

وفي يوم السبت العشرين من ذي الحجة منها سافر النائب والعسكر خلا الحاجب الكبير يخشباي نحو البلاد الشمالية / وفي هذه السنة جدد النائب مكاناً (ص ٧٥) قبلي دار السعادة والمدرسة العذراوية وغربي المدرسة الصارمية وشمالي حارة الغرباء وغربي المارستان النوري وجدد تجاهه قناة وبركة وساق الماء إليها ، واشتهر بين الناس أن رجلاً من الجند اسمه أبو بكر بن شعبان الرجبي بالجيم حسن للنائب ذلك ، وأنه رأى في منامه بعض الصالحين يدعى سيدي أحمد عمود مدفون لصيق عمود في هذا المكان فأبرز القبر والعمود وكساهما ، ولما توفي النائب المذكور محا الرجبي المذكور اسمه من الطراز بالمكان وجعل اسمه موضعه وقال أنا كتبت اسم النائب حشمة معه وأوقف عليه قيسارية البهار قبلي قيسارية تنكز وغير ذلك .

وفي بكرة يوم الأحد خامس المحرم سنة ست عشرة وتسعمائة رجع النائب إلى دمشق من سفره إلى البلاد الشمالية وكان ذهب نجدة لنائب حمص بمقتضى مرسوم شريف على عرب آل فضل بن نعير فأخذوهم غروراً وهم طائعون وأخذوا منهم

جمالاً وغنماً كثيرة وغير ذلك وقتلوا منهم ومن أكابرهم جماعات ودقت البشائر بدمشق وغيرها أياماً وأرسل إلى السلطان منها جمال كثيرة .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره أمر النائب بإشهار المناداة بإبطال المظالم والرميات على الحارات وأن لا يؤخذ أحد إلا بمشتكي وفرح الناس بذلك .

وفي يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر منها سافر النائب من دمشق إلى جهة حوران ونودي بأن كل من كان من أرباب الإقطاعات يلحق النائب وأن يرمي مال على الحارات لأجل مشاة تلحقه أيضاً .

وفي آخر هذا الشهر بلغنا أن النائب وقع في بلاد ابن ساعد وغيره بالحرق وتخريب الأمكنة وإتلاف الزروع والمغلات والحيوانات وقتل منهم جماعات منهم الدوادار الثاني له .

وفي يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى منها دخل النائب إلى دمشق راجعاً وكان في غيبة قد أتت له من السلطان خلعة ودقت لها البشائر بدمشق فدخل يومئذٍ وهو لابسها سمور خاص وتلقاه الناس ومنهم القضاة الثلاثة المحيوي بن يونس وخير الدين الغزي والنجمي بن مفلح وتخلف القاضي الشافعي الولوي بن الفرفور لضعفه على العادة ، ثم توعك النائب واستمر لم يركب إلى يوم الجمعة ثالث عشريه فصلى بالشباك الكمالي بالجامع الأموي على العادة .

وفي يوم الخميس سادس عشر شوال منها لبس النائب خلعة حمراء بسمور خاص من قريب قبة يلبغا وتلقاه الناس على العادة أتت إليه مع خاصكي فدخل معه وهو مخلوع عليه خلعة بطراز .

وفي يوم الثلاثا ثامن عشريه خرج النائب بعسكره إلى عند القبة قيل على نية نهب بلاد ابن ساعد .

وفي ليلة الجمعة ثـالث عشر المحرم سنـة سبع عشرة وتسعمائـة رجع النـائب من سفرته من بلاد حوران ، وفي يوم السبت خـامس صفر منهـا لبس النـائب خلعـة من قبلي البلد حمراء خاص بمقلب سمور خـاص ودخل بهـا على العـادة . وفي بكرة يوم الاثنين سابعه لبس النائب خلعة حمراء خاص ودخل بها على العـادة فلمـا نزل ألبسها للقاضي الشافعي .

وفي بكرة يوم الثلاثاء ثامنه سـافر النـائب إلى الصلح مع نـائب صفـد جـان بردي الغزالي فصالحه ورجع بعد يومين .

وفي يوم الأربعاء من ربيع الأول منها سقط النائب عن الفرس فتألمت يده . وشاع بدمشق موت نائب الشام كان دولتباي أخي العادل .

وفي يـوم الجمعـة عـاشرة دخـل إلى دمشـق / ابن الأمير ابن سـاعـد كبير البر (ص ٧٦) وحوران وعجلون وصحبته الشيخ محمد الصمادي بالطبول الصمادية وتلقـاه جمـاعـة وأعطى الطاعة طـالبـاً من النـائب العفو والإعـانـة من السلطـان وقـدم للنـائب خيولاً وغيرها فخلع عليه وأكرمه وأمر الأمراء بإكرامه .

وفي ليلة السبت تاسع ربيع الآخر منها تعامل خازندار كيس الـذي للنـائب مع البواب وجمـاعـة أخر قـد بربكو بربيكـة مع النسـاء واختفوا وكثرت القلاقـل بسبب ذلك والنائب مستمر بوضع[١] اليد من السقطة المتقدمة ثم ظهروا عند نائب صفد جان بردي الغزالي مستجيرين به .

وفي يوم الأربعاء سابع عشريه أفرج النائب عن جمـاعـة من المحـابيس لأجل عافيته من وجع يده من السقطة عن الفرس .

وفي يوم الخميس تاسع عشريـه جلس في مجلسـه على العـادة ونودي بـالزينـة بدمشق ، وفي ثانيه يوم الجمعة ركب وصلى بالجامع الأموي على العادة .

(١) هكذا في الاصل ولعله يقصد بوجع .

وفي يوم الخميس ثالث رجب منها ولى نائب الشام وظيفة الدوادارية ليلباي المشد والخزندارية لتنم المحتسب مكان الدوادار المطلوب إلى مصر أردبش ورفيقه الخازندار المطلوب إليها أيضاً خشقدم لورود المرسوم إلى النائب بتولية غيرهما لكثرة الشكاوى عليهما .

وفي بكرة يوم الخميس سادس عشريه دخل إلى دمشق الأمير الأصيل ناصر الدين محمد بن مدلل الغزاوي بتخفيف الزاي الشهير بابن ساعة كبير المشايخ الذي اشتهر بالدين والخير وفرح الناس بدخوله دمشق واستبشروا بإصلاح شأن الحاج وغيرهم بوقوع الصلح بينه وبين الترك فلما وصل إلى حضرة النائب رأى السماط قد حضر فتسالما وأكرمه النائب وأمره بالأكل فامتنع وقال إني صائم هذه الثلاث شهور فألح عليه فأفطر ، فلما فرغ السماط ألبسه خلعة سنية ولولديه الصغيرين اللذين أتيا معه كل منهما خلعة ، ثم في غدة يوم الجمعة ذهب بجماعة إلى الجامع وصلى بالمقصورة ، وازدحم الناس لرؤيته والدعاء له ، وقد ألقى الله له المحبة في قلوب الناس .

وفي يوم الجمعة رابع عشريه عقب صلاتها سافر النائب والعسكر إلى عرب آل علي وعرب الجبل .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ثامن عشريه دقت البشائر بدمشق لنصرته عليهم وشاع بها أنه نهب منهم جمالاً كثيرة وغنماً وغير ذلك ثم رجع إلى دمشق في اليوم المذكور .

وفي أواخر شعبان منها سافر الأمير ابن ساعد إلى بلاده ثم ليسافر إلى مصر مع الدوادار الثاني ، وصحبتهما نقيب الطلب العلاء بن طالو وسافروا في سادس عشر رمضان منها .

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة منها رجع الأمير ابن ساعد وصحبته نقيب الطلب المذكور من مصر إلى دمشق مخلوعاً عليهما وصحبتهما خلعة للنائب .

وفي بكرة يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة منها دخل الأمير محمد بن الحنش مقدم البلاد البقاعية ونائب صيدا وتلقاه المباشرون إلى الصالحية ، وأتى إلى النائب وهو يسير بالميدان الأخضر فسلم عليه طائعاً مذعناً ثم أتيا إلى دار السعادة فخلع النائب عليه وعلى جماعته ثم أمره بالنزول قرب التربة الجيبغائية[1] ثم كاتب له إلى السلطان كما فعل بابن ساعد .

وفي عشية يوم الأربعاء سادس المحرم سنة ثمان عشرة وتسعمائة سافر النائب إلى قرية الشبعا[2] ثم إلى نهب عرب الجبل وبني صخر وظفر بهم وأخذ غنماً كثيرة وإبلاً وأثاثاً .

وفي يوم الأحد ثاني صفر منها وصل النائب من الخربة إلى مخيمه قرب قبة يلبغا وبات هناك ثم / أصبح وخرج لملاقاته أرباب الدولة والمباشرون على العادة (ص ٧٧) فلبس خلعة حمرا خاص بسمور خاص والقاضي الحنفي المحيوي ابن يونس أيضاً خلعة ودخلا على العادة وبخلعة النائب هذه كمل له عشرون خلعة من حين ولايته في ذي القعدة سنة أحد وعشر ، ومعها الخاصكي الذي أتى بالخلعتين وقد أتى بأشياء كثيرة منها عزل يلباي دوادار النائب وتنم خزنداره الجديد ، وإعادة أردبش وخشقدم إلى مكانهما وتوقف النائب في ذلك .

وفي يوم الجمعة سابعه أعاد النائب أردبش إلى دواداريته الكبرى ، وكذلك أعاد خشقدم إلى خزنداريته .

---

(١) الاصح التربة الاجيبغائية نسبة إلى الأمير الجي بغا راجع عنها تنبيه الطالب (٢٢٧/٢) وموقعها الآن سمالى المدرسة الصابونية في أول طريق الميدان .

(٢) قرية جنوب شرقي دمشق تبعد عنها (٢٣) كم .

وفي يوم الخميس خامس عشري ربيع الأول منها لبس النـائب خلعـة ونـاظر الجيش محب الدين خلعة ونـائب القلعـة سنطبـاي خلعـة ودخلوا جملـة ، ونـائب القلعـة عن يسـار النـائب تحت الحنبلي ومحب الـدين قـدامـه وثـلاث خلـع على القصاد ، فلمـا وصل النـائب إلى دار السعـادة خلع خلعتـه على القـاضي الشـافعي الولوي بن الفرفور تـداركا وقع في حقـه يوم الاثنين ثـاني عشرة من الأشلاء عليـه بسبب نوابه وعزلهم .

وفي يوم الجمعة سادس عشريه صلى النائب الجمعة بالجامع الصابوني[1] وهو على هيئة المسافر ثم ركب وسافر معه جماعته وابن ساعد لأجل عرب آل سرحان .

وفي يوم الأحد والاثنين ثامن وتاسع عشريه دقت البشائر بدمشق وشـاع أن النائب انتصر على عرب آل سرحان وأنه أخذ منهم دواب كثيرة وأمتعة وقتل منهم جماعة .

وفي يوم الثلاثا سلخه وقال بعض المؤرخين : إنه أول ربيع الآخر منهـا رجع النائب إلى دمشق ، وفي يوم السبت خامسـه سـافر النـائب إلى المرج لأجل دواب النهب ، ثم رجع يوم الأحد سادسه ، وفي يوم الخميس مستهل جمـادى الأولى منهـا حضر الأميران : مسلم كبير بني لام ، وعساف كبير آل مري بـدار السعـادة بحضرة المباشرين وحلفوهما أنهما يقومان بما عليهما من حفظ الحجاج والطرق على العوائـد القديمة وأشهدوا عليهما بـذلـك جمـاعـة منهم العز ابن قـاضي نـابلس والشهـاب ابن البغدادي .

وفي يوم الاثنين خـامسـه خلـع النـائب عليهما وفي يـوم الاثنين حـادي عشر جمادى الآخرة منها لبس النائب خلعة حمرا بسمور خاص جاءت من مصر على يـد

(١) هي المدرسة الصابونية .

خاصكي هو أنيته في مصر أرسله السلطان كالمعاتب له على يديه واسمه تنم وهو قريب من سن النائب وهيئته .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر رجب منها سافر النائب إلى وادي التيم ، وفي يوم الثلاثا ثامن شعبان منها رجع النائب إلى دمشق من دورته .

وفي يوم السبت رابع رمضان منها سافر النائب إلى خارج دمشق كوادي العجم والغوطة والمرج ، وفي يوم الأحد ثاني عشره رجع إلى دمشق ، وفي يوم الثلاثا تاسع عشر شوال منها خرج محمل الوفد الشريف وكان قد ترك خروجه من سنة أحد عشر وتسعمائة وقد جبي من حارات دمشق نحو ألفي دينار بحجة إعانة أمير الوفد أمير ميسرة أصباي ومواطأة النائب سيباي على ذلك .

وفي يوم السبت تاسع عشري ذي القعدة منها لبس النائب المذكور خلعة حمرا خاص جاءته من مصر ثم سافر في اليوم المذكور إلى تدمر .

وفي عشية يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة منها عاد إلى دمشق بعد أن نهب أهلها وقتل نائبها .

وفي يوم الاثنين ثاني عشريه شكى العوام للنائب غلو الخبز فاجتمع جماعة من المباشرين واتفق رأيهم على أن يجعلوه كل رطل بأربعة ، والحال أن الغرارة بخمس مئة وهيهات أن يحصل دلك فقد / باعوا قمح القلعة العتيق كل كيل بخمسة وستين (ص ٧٨)
ودرهمان حمولة وهو ينقص خمسة أمداد ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الثلاثا لم يوجد الخبز بدمشق وماج الناس بعضهم في بعض ثم عاد إلى حالته الأولى .

وفي يوم الثلاثا رابع عشر المحرم سنة تسع عشرة وتسعمائة سافر النائب إلى الخربة .

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشريه دخلت كتب الوفد الشريف إلى دمشق وفيها أمور مهولة من أمر الغلاء وقلة الخبز وفي يوم الجمعة تاسع صفر منها دخل محمله إلى دمشق وقد أثنى الناس على نائب القدس من كثرة نفعه للغرباء من الحجاج ، ولم يثنوا على ابن ساعد .

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشريه رجع النائب من الخربة ، وفي هذه الأيام شاع بدمشق أن الوباء بمصر كثير وأن السلطان أطلق المحابيس فشرع النائب في بناء تربة غربي باب الجابية قبلي الشريف (؟) الذي كان هو جدده بعد خرابه في الغالب .

وفي يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى منها سافر النائب إلى المرج بجماعته فشاط العرب الذين قتل النائب أميرهم فأحرقوا ببلاد كثيرة بيادر مغلات كثيرة وأتلفوا مغلات كثيرة وقتلوا من جماعة النائب عدة فزاد وقوف حال الناس الذي كان بعدة أشياء منها المعاملة بالفلوس الرابيص .

وفي يوم الجمعة تاسع عشره رجع النائب إلى دمشق وصلى الجمعة بالشباك الكمالي بالجامع الأموي وأشعلوا له المصابيح والسرج مع وجود الزينة من سبعة أيام لأجل عافية السلطان قانصوه الغوري وولده محمد فلما رجع من الصلاة رفعت الزينة .

وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة منها حصل غيم وهبت رياح من كل جانب وتوفيت والدة النائب وهي في سن الثمانين ظناً وخرج النائب فمن دونه في جنازتها من بيتها الذي هو غربي سكة تربة النائب جلبان شمالي القنوات ودفنت بتربة ولدها التي قد شرع فيها خارج باب الجابية ، وفي عزمه أن يضيف إليها مدرسة وفيها خطبة .

وفي يوم الخميس تاسع عشري رجب منها لبس النائب خلعة جاءته من مصر حمرا بسمور ودخل على العادة على غير الترتيب الذي عهد .

وفي يوم الاثنين ثامن شوال جاء إلى النائب خلعة على يدي مملوكه ودواداره الثاني تمرباي فلبسها في هذا اليوم ودخل بها على العادة بالقضاة خلا القاضي الحنبلي النجمي بن مفلح فإنه متوعك .

وفي السبت العشرين منه خرج محمل الوفد الشريف وأميره الحاجب الكبير صنطباي .

وفي يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة منها أمر النائب بإشهار النداء بصيام ثلاثة أيام والتوبة والخروج إلى الصحراء وزيارات المزارات لينقطع الوباء ، فقال القاضي الشافعي الولوي بن الفرفور قد كثر الظلم فلو بطلتموه كان حسناً ، فلم يسهل على النائب ذلك وأسمعه ما يكره ولا قوة إلا بالله والسبب الذي ألجأ النائب إلى هذه المناداة بعض المتصلحين ابن حمزة زعم أنه رأى النبي ﷺ في منامه وأنه أمر بذلك .

وفي يوم الأحد تاسع عشره نودي أن لا يفتح أحد حانوته إلا الخباز والطباخ وأن تخرج العلماء والصلحاء بالتهليل والتكبير إلى سطح المزة ليدعوا الله تعالى فخرج النائب والقضاة الثلاثة - وأما الحنبلي فإنه توفي - وهم الولوي بن الفرفور ، والحيوي بن يونس ، وخير الدين الغزي الشافعي ، وصحبهم السيد كمال الدين والمشايخ بالأعلام والربعات بكرة يوم الاثنين عشريه ، فلما وصل النائب مد له أهل المزة مدة ثم حضر المشايخ وحضروا في الربعات والصالحون يذكرون الله تعالى ثم ركب النائب في أثناء ذلك وذهب نحو الربوة راجعاً / (ص ٧٩) فرجع القضاة المشار إليهم خلفه واستمر الباقون وليس لهم قائد ، وكان العادة أن يجتمع الكل في صلاة العصر ثم يدعو الإمام دعاء لائقاً بالحال ثم ينصرفوا إلى بيوتهم .

وفي يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة منها سافر النائب إلى عرب زبيد ورجع إلى دمشق خامس عشريه ، وفي بكرة يوم الخميس ثامن عشريه لبس النائب خلعة من خارج البلد ودخل بها على العادة وسببها أن السلطان قانصوه الغوري كان طلب من هذا النائب سيباي تزويج ابنته ستيته بابنه محمد فأجابه وهي غائبة بالحجاز مع أمها .

وفي يوم السبت ثامن عشري المحرم سنة عشرين وتسعمائة وصلت كتب الوفد الشريف إلى دمشق وأخبروا بالرخص وأنهم أقاموا بمكة نحو عشرين يوماً وفيه خرج الشمس الكفرسوسي الواعظ بولده وجماعته إلى نحو مسجد القدم يستسقون .

وفي ليلة الثلاثا أول صفر منها سافر النائب لملاقاة أهله مع الوفد الشريف .

وفي يوم السبت خامسه وهو أول نيسان استسقى الناس بدمشق فأغاث الله بالمطر بعد انقطاعه نحو شهرين ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس عاشره دخل محمل الوفد ونساء أمير الحاج صنطباي الحاجب الكبير بدمشق ولم يدخل هو على العادة ، وأما حريم النائب فذهبوا إلى عنده بالخربة وأخبروا بقلة القماش والجوز الهندي وغلاء التمر لكثرة طالبيه وقلة الماء بعرفات . وفي ليلة الخميس ثامن عشره رجع النائب إلى دمشق وترك زوجته وجماعتها وجماعة من جماعته معها بالبر .

وفي يوم الاثنين ثاني عشريه دخلت إلى دمشق زوجة النائب بابنتها ستيته المراهقة وابنتها الصغيرة شقرا راجعين من الحجاز بعد أن أقاموا في معاملات ابن ساعد وغيره أياماً وصحبتهم الأمير بيبرس بأهله وقد خلع عليه والديوان المصري ، وقد خلع عليه أيضاً والطواشية حول المحفة وقد ركب في خدمتها غالب نساء جماعة النائب كالدوادارية والخزندارية ونساء الأمراء وما انضم إليهم

وقدامهم نساء مشاة بغير يزر يضربن بالدفوف وقد عصبن فوق رؤوسهن بالعصائب الصفر وكان مدخلاً مهولاً ولا قوة إلا بالله .

وتلقاهم القضاة الأربعة وغالب النواب وجماعة النائب سيا لما سمعوا أن السلطان خطب ابنة النائب ستيته لابنه ، وقد كان أبوها هو الطالب لذلك .

وفي ليلة الخميس سابع عشر ربيع الأول منها أولم النائب وليمة وحضر حريمه وجماعته بتربته ومدرسته الجديدة وقد قرب فراغ عمارتها وحضر القاصد الذي كان أرسله السلطان قانصوه الغوري إلى سلطان الروم المظفر سليم خان بن عثمان وعاد وجماعته ، وقرئ المولد النبوي بحضرة قضاة دمشق وعقدوا له على معتوقته أم ابنته الوافدتين من الحج الشريف التي كان أعتقها قبل خروجها إلى الحج ليصح حجها .

وفي صبيحة يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى منها كبس النائب بجماعته الجانب القبلي من داريا الكبرى وقتل جماعات نحو الخمسين ونهب بيوت كثيرة . وهذا كله من فتنة الدوادار الثاني له فهو الذي أغاظه عليهم ثم ذهب إلى أهل قريتي الأشرفية وصحنايا وأعلمهم أن غداً يأتي ملك الأمراء ويكبسهم فساعدوا في كبسهم له فإنهم أعداكم فساعدوا النائب .

(ص ٨٠ وفي / يوم الأربعاء ثاني عشره توفيت الطفلة الصغيرة المراهقة ستيته ابنة ملك الأمراء توفيت معها .... معاً أما الأولى ففي نعش مستور ببنخانة[1] حمرا معلقة على أربعة من الرماح تحملها المماليك وأما الثانية فعلى العادة وبقية المماليك خلفها ودفنتا في تربة النائب خارج باب الجابية بالقبة الجديدة .

وفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة منه دخل القاضي شرف الدين

---

(١) في الضوء اللامع للسخاوي ١٦٤/١١ مايلي : وستر نعشها ببشخاناه زركش بوجهين .

يونس العادلي وكيل المقام الشريف في قبول نكاح البنت البكر شقرا التساعية السن ابنة ملك الأمراء لسيدي محمد بن المقام الشريف الملك الأشرف قانصوه الغوري وصحبته الخاصكي الشاب مامية وصحبتها خلعة للنائب الناكح المشار إليه ، وهي حمرا بسمور خاص وهي تتمة سبعة وعشرين خلعة ، ثم أنزل الخاصكي بمنزل النائب الذي توفيت فيه ابنته ستيته المخطوبة قبل هذه بالقنوات ونزل العادلي جواره ثم في اليوم المذكور نودي بالزينة . وفي يوم الاثنين ثالث عشريه وهو عيد الجوزة (أنزل) من القلعة عدة عشرين ألف دينار في عدة عشرة أكياس في عدة عشر صدورة على رؤوس عشر حمالين وزفت من باب القلعة والقضاة الأربعة : الولوي بن الفرفور ، والمحيوي بن يونس ، وخير الدين الغزي ،والشرف بن مفلح ، وبعض نوابهم ونائب القلعة والحجاب وبقية المباشرين مشاة إلى باب الفرج ثم إلى باب الحديد ثم إلى باب النصر إلى إيوان دار العدل وملك الأمراء جالس بصدره فوضعت العشر صدورة قدامه ثم كشفت حتى رأى الأكياس العشر عشرات ، فقال إلى داخل البيت فرفعت ثم وضع السكر في عدة زبادي ثم سقي ملك الأمراء سيباي الناكح ثم بقية الحاضرين ، ثم خلع ملك الأمراء على الخاصكي ماميه ، ثم على العادلي المذكورين ، ثم على يلباي نائب القلعة ، ثم على منصور حفيد المحب ناظر الجيش ، ثم على الشهود ، ثم على آخر ، ثم قام ودخل البيت ثم خرج وجلس بطرف الإيوان على العادة ، وفي بعد صلاة الجمعة سابع عشريه رفعت الزينة من دمشق .

وفي يوم الأحد سابع عشري رجب منها شاع بأن قاصد الملك سليم خان بن عثمان ملك الروم وصل إلى دمشق وأخبر بأن أستاذه انتصر على الخارجي إسماعيل بن حيدر الصوفي وقتل من عسكره أكثر مما قتل من عسكر ملك الروم بكثير وأنه ملك توريز العجم ، ففرح الناس بذلك .

وفي يوم الخميس ثاني شعبان منها قرئ مرسوم بدار العدل بحضرة النائب

والمباشرين بأن يرمي على الحارات وغيرها عدة أربعة آلاف ماش كل ماش بخمسة وعشرين أشرفياً ويوضع المال بالصندوق بالقلعة ، وأن ملك الأمراء مخير في الذهاب صحبة العسكر المصري ويكون رأس باشه ، وإن شاء يمكث حتى يأتي مايعتمد عليه فاغتم الناس لذلك .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره طلب النائب وجماعته وألبس الخيل الجياد والهجن وأخرجها لملاقاة الباش أمير آخور قانباي الرماح والأمير سودون رأس نوبة النوب والأمير .... المعزول من نيابة طرابلس والأمير أرزمك الناشف ، ثم دخلت أطلابهم ثم طُلبه ، ثم دخل هو بخلعة خضراء بطراز ذهب ، وعلى يمينه الرماح بخلعة حمرا بمقلب سمور ، والأمراء الأخر عن يمين الرماح ولحقتهم العشران بعد ذلك ، وأما القضاة فتقدموا على دخول النائب والمذكورين معه وكان يوماً مشهوداً .

وفي يوم الجمعة سابع عشره أعلم النائب القضاة والمباشرين بالحضور بمدرسته خارج باب الجابية وبحضور الباش المصري الرماح وجماعته وأن تقام الجمعة / بها (ص ٨١) فحضر القضاة[1] وهو معهم وجماعته ، وخطب القاضي الشافعي الولوي بن الفرفور وحضر الخاصكي مامية ويونس العادلي وجماعتها ...[1] السفر إلى مصر فصلوا جميعهم الجمعة بها ثم ركبا .

وفي يوم السبت ثامن عشره سافر قانباي الرماح بعد سفر جماعة الأمراء المتقدم ذكرهم قدامه إلى البلاد الحلبية .

وفي يوم السبت عيد الناس عيد الفطر والناس في مشقة من جهة المال الذي رمي على الحارات وقد كثر بدمشق الغرباء من قاصدي الحج وغيرهم ، وقد غلا

---

(١) كلمات أكلت موضعها الأرضة فلم تظهر في التصوير .

سعر الزيت والصابون لأن الزيتون قد ضرب ، وكثر طرح لحم الغنم النعاج على اللحامين فيقوم الرطل بنحو الثانية .

وفي يوم الأربعا تاسع عشر شوال منها خرج محمل دمشق وأميرهم صنطباي أمير ميسرة وخرج معه وفد كثير من غالب البلاد .

وفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة منها لبس النائب خلعة جاءته من مصر على يد فخر الدين ناظر الجامع الأموي كان ، وهو الذي سافر إلى مصر بتوكيل النائب لدوادار السلطان في عقد نكاح ابنته شقرا على محمد ولد السلطان فعقد ثم أتى ومعه هذه الخلعة لأجل التزويج المذكور ، ومعه أيضاً أخرى لأجل الشتاء لبسها ثاني يوم ، يوم الثلاثاء ثامنه ، وقد كمل للنائب عدة ثلاثين خلعة من حين كفالته الشام .

وفي هذه الأيام تراجع العسكر الذي ذهب إلى حلب من غير فائدة بل ذهب مال كثير للمسلمين وخربت بيوت كثيرة ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الاثنين ثامن عشريه أمر النائب بإشهار المناداة بتزيين دمشق لكون السلطان ذهب إلى مدينة الإسكندرية ورجع سالماً ثم رفعت الزينة بعد أسبوع .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشري المحرم سنة أحد وعشرين وتسعمائة وصلت كتب الوفد الشريف إلى دمشق وأخبروا أن الوقفة بعرفة كان يوم الخميس الذي فيه كان عيد أهل الشام .

وفي يوم الأربعاء خامس صفرمنها دخل محمل الوفد الشريف إلى دمشق وأخبروا عن الوفد المصري أشياء منها : أن زوجة السلطان ومعها ابنها محمد كان معها سبع محفات مبجلات ، وكان مع كاتم السر ابن أجا محفتان إحداهما مقصصة من جوخ ، والأخرى حرير برصافيات من ذهب وخلاخيل من ذهب ، ثم

محفات أخر عدة الجميع خمسة عشر محفة ، وكنت في هذا العام حاجاً فشاهدتهم .

وفي يوم الثلاثا سابع عشر ربيع الآخر منها خرج النائب إلى المرج فشرب شربة ثم خرج الطلب من دمشق إلى الكسوة ، ثم جاء إليهم النائب من المرج ، وسافر من هناك للإصلاح بين مشايخ العربان وجمع مرجع دمشق إلى استداره الحرك ، ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الخميس ثالث ربيع الآخر منها رجع طلب النائب إلى دمشق من بلاد حوران ودخل هو ليلة الجمعة رابعه .

وفي يوم الأربعاء سادس عشره أتى من القدس الشريف قاصد ملك الأمراء نقيب الأشراف العجمي وصحبته ابن أخي أبي الفضل بن أبي اللطف المقدسي لابسين خلعتين وصحبتهما من آثار النبي ﷺ قدح ، وبعض عكاز ، مغطيين فوق رأس رجل حامل لهما قدام ملك الأمراء والقضاة ومتصوفة دمشق وغيرها قدامهما بالأعلام وضرب المزاهر ، وقد خرج كثير من العوام للنظر إلى ذلك فسألت عن ذلك ، فقيل كانا عند والد ابن أبي اللطف ، فأرسل النائب إليهما ليتبرك بهما ، ثم تبين أنهما ليسا من الأثر النبوي ، وإنما هما من أثر الليث بن سعد عند القلقشنديين .

وفي هذه الأيام شاع بدمشق موت الأمير الكبير بمصر سودون العجمي الذي كان قد ولي كفالة الشام ولم يأت إليها ، وولي الإمرة الكبرى مكانه نائب الشام أركماس كان ثم أمير آخور كبير بمصر ، وولي في هذه الإمرية ولد السلطان محمد عوض الرماح الهالك .

/ وفي يوم الخميس سلخ جمادى الأولى منها ورد مرسوم شريف على النائب (ص ٨٢) بالتأهب لأمر علي دولة بعد أن شاع أن ملك الروم سليم خان بن عثمان قتله وولده .

وفي يوم الخميس عشري رجب منهـا دخل من مصر خـاصكي قيل من أقـارب النائب وصحبته خلعة حمراء بقلب سمور فلبسها ودخل بها على العادة .

وفي يوم الثلاثا ثالث عشرين شعبان منهـا تجهز النـائب وسـافر ومكث على جسر زينـون ثم تبين أنـه إنمـا سـافر ليقبض على نـائب بيروت ، وقـد تـواترت الأخبار بمجيء الدوادار الكبير بمصر طومان باي من مصر .

وفي يوم الأربعاء ثاني رمضان منها رجع النائب إلى دمشق بعد أن قبض على جماعة من أكابر بيروت .

وفي يوم الخميس رابع عشريه سافر النائب للسلام على الدوادار الكبير طومان باي والقلعة قد شرع نائبها في تحصينها وقد غلت أسعـار الـدبس والزيت والسيرج والناس في كلام مختلف .

وفي يوم الخميس سادس عشر شوال منها عاد النـائب إلى دمشق وعليـه خلعـة بطراز ومعـه القضـاة الأربـع وعليهم خلـع أيضـاً وقـدامهم .... اللـذان دخـلا إلى دمشق وكان يوماً حافلاً .

وفي يوم السبت ثـامن عشره خرج محمل الـوفـد الشريف وأميره أصبـاي أمير ميسرة وخرج معه القضاة على العادة .

وفي يـوم الاثنين ثـالث ذي القعـدة منهـا قبض النـائب على استـداره الحرك وعوقب وأقيم مكانه البردار محمد البعني بالأمانة .

وفي يـوم الاثنين خـامس عشر المحرم سنـة اثنين وعشرين وتسعمائـة سـافر النائب إلى الخربة وقد كان عزم على تلقي الوفد فاشترى أمتعة كثيرة لأجلهم .

وفي يوم الأحد ثامن عشريـه دخل إلى دمشق كتب الوفـد الشـامي وأخبروا فيها أن يوم عرفة كان الاثنين الـذي كان عيـداً عنـدنـا ومر الكتـاب على النـائب

بالخربة ، وفي يوم السبت رابع صفر منها دخل إلى دمشق محمل الوفد ، وفي يوم الأربعاء ثامنه دقت البشائر لأجل قدوم خلعة للنائب وهو مقيم بالخربة ، وقد شاع في هذه الأيام أن السلطان يريد النزول إلى بلاد الشام بعد إدخال ولده على بنت النائب ، ولا قوة إلا بالله .

وفي ليلة الخميس ثالث عشريه كانت السماء مصحية وكان النائب بائتاً قرب قبة يلبغا ليلبس الخلعة التي جاءته وهو بالخربة فلما قرب طلوع الفجر دقت البشائر ، وتراكم الغيم من كل جانب ، ثم وقع رعد وبرق ، ثم مطر شديد ، ثم برد شديد بحيث نثر المشمش والتفاح ولم يقع مثله في هذه السنة ، وجاءت السيول من كل جانب بحيث أيس من دخول النائب إلى دمشق في اليوم المذكور ، ثم صحت السماء فدخل النائب لابس الخلعة وهي حمرا خاص على العادة وبها كمل له عدة ثلاثة وثلاثين خلعة .

وفي يوم الجمعة سابع ربيع الآخر منها شاع موت خوند زوجة السلطان قانصوه الغوري التي حجت في السنة الماضية عشرين وتسعمائة ، وكان السلطان حينئذٍ في همة صرف جوامكي العسكر الذين عينهم للذهاب إلى البلاد الشامية لكل فارس مائة دينار برسم نفقته ، وثلاثين أشرفياً برسم عليق فرسه ، وسبعة أشرفية بسبب أجرة حمل ما يحتاج إلى حمله .

[تأزم الحال بين ملك الروم والغوري]

وفي يوم الاثنين عاشره سافر السلطان من مصر لأجل عود مدينة مرعش من ملك الروم سليم خان بن عثمان وفي يوم الثلاثا ثامن عشره دخل إلى دمشق أوائل الجند من العسكر المصري .

وفي يوم الجمعة خامسه بعد صلاتها سافر النائب والقضاة والأمراء إلى ملاقاة

السلطأن ،وفي يوم الأربعـاء عـاشره اجتمعوا بـالسلطـان في أرض قلنسوة[1] وسلموا عليه ثم عادوا إلى دمشق .

(ص ٨٣) وفي صبح يوم الجمعـة ثـاني عشره وقع الخبر إلى دمشـق بمـا وقـع . / للنـائب والقضاة مع السلطان وكان عند الناس أنه غضبـان عنـدهم فـدقت البشـائر في دار السعادة .

وفي صبح يوم الاثنين خامس عشره رجع النائب والقضاة إلى دمشق ودخلوه في موكب حافل لابسين الخلع السلطانيـة فـالنـائب خلعتـه حمرا بسمور خـاص ، والشـافعي الـولـوي بن الفرفـور ، بصـوف أبيض ، والحنفي المحيـوي بن يـونس بـأحمر ، والمـالكي خير الـدين الغـزي بـأخضر ، والحنبلي الشرف بن مفلـح بـأحمر أيضاً ، وزينت البلد وشرع النائب في تهيئة مدة للسلطان .

وفي بكرة يوم الأربعـاء سـابع عشره وصـل السلطـان إلى مخيمـه بقبـة يلبغـا والنائب بها ، ثم جاء جميع الأمراء وحضروا السماط ثم خلع السلطان على النائب ، وعلى سبع أمراء معه ، ثم دخلوا دمشق في أبهة عظيمة .

وفي بكرة يـوم الخميس ثـامن عشره وهـو تـاسـع عشر حـزيران وثـامن برج السرطان دخل السلطان من قبة يلبغا إلى دمشق ماراً إلى المصطبـة عنـد القـابون الفوقاني خارج دمشق من جهة الشرق في موكب عظيم لم يشـاهـد مثلـه عن يمينـه ملك الأمراء سيباي حاملاً القبـة على رأس السلطـان مـاسكهـا بيـده وهو مستور بها ، ولما نزل بالمصطبة قدم له النائب ضيـافـة عظيمـة فـأكلهـا وخلع عليـه خلعـة عظيمة مزركشة على أخضر بأكام مذهبة يلبغاوية فعاد بهـا إلى منزلـه دار السعـادة ومعه غالب الأمراء في موكـب عظيم ، وكمل له بهذه الخلعة عدة ستة وثلاثين خلعة

---

(١) كذا في الفاكهة أيضاً وأرجح أن صوابها أرض الكسوة .

من أول كفالته إلى الآن ، ثم خلع السلطان على الأمراء السبعة كما فعل بالأمس مع السبعة الأخر ، فالجملة أربعة عشر أميراً .

وفي يوم الأحد حادي عشريه أرسل النائب تقدمة للسلطان عدة أربعة عشر صدراً[1] على رأس كل رجل صدر مغطى بلون من الألوان في أربعة صدورة خمسون ألف درهم فضة وفي بقية الصدورة قماش ... وخلف هذه الصدورة عدة عشرة من مماليكه الخاص الكتابية الحسان ، وخلفهم عدة عشرة من الخيول الخاص ومعهم أمير آخور تنم وخازنداره خشقدم .

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه رحل السلطان من الصفة إلى جهة حلب وهدت الزينة ، ثم ركب في آخر النهار بعد أن خلع على النائب خلعة أخرى بهذه المصطبة فكملت خلعه سبعاً وثلاثين .

وفي يوم الخميس خامس عشريه خلع النائب على أمير آخوره تنم بنيابة الغيبة .

وفي بكرة يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة منها وهو عاشر تموز سافر النائب لاحقاً بالسلطان في موكب عظيم وخرج معه القضاة الأربع للوداع ، ولما نزل بالمصطبة السلطانية رجعوا ولم يرحل منها إلى يوم السبت .

[وقعة السلطان سليم مع الغوري ووفاته]

وفي عشية يوم السبت ثاني شعبان منها وصل الخبر على يد هجان إلى دمشق أن سلطاننا قانصوه الغوري التقى مع ملك الروم سليم خان بن عثمان في مرج

---

(١) الصدر طبق كبير (صينية كبيرة) من النحاس الأصفر وكانت كل دار في دمشق والقرى المحيطة بها تحتوي عدة صدور تستعمل في الولائم فتوضع على الأرض وعليها صحاف الطعام ويتحلق الناس حولها .

دابق بموضع يعرف بتل الفار يوم الأحد رابع عشري رجب الماضي وأنه كانت النصرة أول النهار لسلطاننا ، وفي وقت الظهر اشتغل عسكره بالنهب فرجع عليهم ملك الروم بالبندق الرصاص فكسرهم ، فلما رأى سلطاننا ذلك دعى بماء فشرب وأغمي عليه ثم سقط ميتاً بالقولنج ، وهو يستغيث بالأغوات ، ولم يقاتل أحد من جماعته مثل ملك الأمراء بدمشق سيباي فلما سقط صنجقه تفرق عسكره ، وبعده الأمير الكبير سودون العجمي ، فلما سقط صنجقه تفرق عسكره ، وولى الباقون منهزمين إلى حلب .

وفي يوم الاثنين رابعه دخل دمشق محمد بن سلطاننا ومعه الغزالي جنبردي نائب حماة ، وأركماس أمير سلاح ، وسودون الدواداري ، وعلان وتقدمهم (ص ٨٤) المباشرون / كاتب السر ابن أجا ونائبه أحمد بن الجيعان ، وابن الإمام ناظر الخاص ، وتاج الدين بن الديوان بقلعة دمشق ، والمحب ناظر جيش دمشق ، وخلفهم قضاة مصر الحنفي بن الشحنة ، والمالكي الدميري فارين من ملك الروم .

وفي يوم الثلاثاء خامسه نودي لجان بردي الغزالي بدمشق بنيابة الشام باتفاق جماعة من الأمراء الراجعين مع ولد السلطان إلى دمشق في اصطبل دار السعادة واتفقوا أيضاً على أن ولوا طرابلس وصفد لشخصين آخرين وخلع عليهما ، ومشوا مع الغزالي إلى دار السعادة ونادى بالأمان .

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه خرج ابن سلطاننا من دمشق إلى مصر ومعه جميع العسكر المنهزمين والمباشرين وامرأة النائب سيباي المفقود ، وبنتها وهي زوجة ابن السلطان المذكور لكنه لم يدخل بها إلى الآن .

وفي يوم السبت ثالث عشريه تبعهم النائب جان بردي الغزالي بجماعته ملبسين هاربين .

وفي يوم الخميس ثامن عشريـه وصل متسلم ملـك الروم إلى القـابون الفوقـاني واسمـه مصلـح ميزان ثم وجـه اثنين من الخـاصكيـة ومعهما السمرقـنـدي ، ويـونس العادلي ، وابن عطية التـاجر إلى دمشق ليكشفوا هل يسلمون أم يقـاتلون ، وقـد كانت اتفقت أكابر دمشق ومشايخ الحارات على تسليم البلد ، فتلقت الخلق لهـذين الخاصكيين ومن معهما وسلموهم دمشق .

العهد العثماني

[يونس باشا أول ولاة العثمانيين]

١

وفي يوم الجمعة تاسع عشريه دخل نائب الشام الجديد من قبل ملك الروم واسمه يونس باشا ونزل بالمرجة غربي دمشق والميدان الأخضر فأتى إليه نائب القلعة عليباي فخلع عليه خلعة على زيهم بكفوف ذهب وألبس لجماعته لكل واحد منهم خلعة ، وعاد إلى القلعة بعد أن اتفق مع النائب على أن يمسك القلعة إلى أن يحضر ملك الروم ، وخطب في هذا اليوم في جامع الأموي الولوي بن الفرفور باسم ملك الروم وكذا في سائر الجوامع ثم تتابع دخول العسكر .

وفي يوم السبت مستهل رمضان منها وصل ملك الروم إلى المصطبة السلطانية بأرض برزة في عساكر عظيمة لم نر مثلها ، ويقال إن عدتها مائة ألف وثلاثون ألفاً .

وفي يوم الخميس ثالث عشره دخل الملك المذكور إلى دمشق وسكن ببيت تنم خلف المدرسة النورية[1] .

وفي يوم الجمعة رابع عشره تسلطن طومان باي بمصر غصباً عليه ولقب بالملك الصالح .

---

(١) هي مدرسة معروفة ومشهورة بدمشق وتعتبر أقدم وأعظم مدرسة من العهد الأيوبي (انظر عنها تنبيه الطالب ١/١٠٦) ورغماً عن كونها مسجلة في الآثار القديمة فقد هدم إيوانها الشمالي بقنطرته الرائعة قبل عشرين عاماً ، فما قيمة هذه التسجيلات الأثرية ؟

[أحمد بن يخشي ثاني ولاة العثمانيين]

٢

وفي يوم السبت النصف منه تولى بمصر نيابة دمشق جنبردي الغزالي . وفيه عزل ملك الروم بدمشق عن نيابة دمشق يونس باشا وولى مكانه الأمير شهاب الدين أحمد بن يخشي ، وذكر شيخنا المحيوي النعيمي المؤرخ أنه ولي يوم الخميس ثالث عشره ، وفي يوم الثلاثا تاسع شوال منها عرض على الملك المذكور ثوب الكعبة مع طرازه المكتتب عليه اسمه واسم آبائه وثوب المحمل وقد عمل من قماش لفاوي والصنجق ، وقصد تسيير الوفد من دمشق في هذا العام فلم يتم ذلك لتغير الدولة وتمرد العربان .

وفي يوم الاثنين العشرين من ذي القعدة منها وهو خامس عشر كانون الأول ورابع الأربعينيات الشتوية سافر ملك الروم من دمشق إلى مصر لأخذها من يد الجراكسة وخرج من باب الجابية دغشة على الشموع .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشريه لحقه الخليفة ثم لحقه القضاة المصريون خلا الحنفي فإنه توجه مع الجراكس الهاربين إلى مصر قبل ذلك .

وفي يوم الجمعة ثاني ذي الحجة منها نادى النائب الشهاب بن يخشي وقد سكن ببيت / ابن بيغوت بالقرب من الشامية البرانية بالأمان والاطمئنان وأن لاظلم ولا عدوان ، وأن لا يحمل أحد سلاحاً وأن لا يتكلم أحد فيما لا يعنيه وأن لا يبيت أحد عن النحس . ص ٨٥)

وفي يوم الأربعاء رابع عشره وصل الخبر بأن سنان باشا الوزير الأعظم لملك الروم التقى هو وجان بردي الغزالي الذي تولى نيابة دمشق من قبل سلطان مصر

ودولتباي نائب غزة وقضا بردي نائب إسكندرية وكانوا كشافة العسكر المصري على الشريعة بالقرب من غزة فاقتتلوا ، وكان الغزالي ورفقاؤه قصدوا كبس سنان باشا فجاء النذير فأخلى لهم الوطاق حتى أخذوه ثم رجع عليهم فكسرهم وجرح الغزالي وولى هارباً ، وكانت الوقعة يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة منها فدقت البشائر بقلعة دمشق وسيب بها نفط كثير ثم نادى النائب بالزينة واستمرت مدة أسبوع .

وفي يوم الجمعة ثاني عشري المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وردت مطالعة من العلاء بن طالو نقيب الجيش إلى الشيخ عبد النبي مضمونها الإنكار عليه بمساعدة العثمانية وتأييد ملكهم مع كونه خارجياً ولوح بأنه مسك ، فأظهر المطالعة الشيخ عبد النبي فكثر الهرج والمرج في دمشق ، وتحركت بعض زعر الحارات وقتلوا بعض أعوان الظلمة الجراكسة وتقصدوا جماعة العثمانية ، فحين بلغهم ذلك دخلوا وسكنوا داخل البلد مع نائبها وحصنوا القلعة .

وفي يوم الثلاثا سابع عشريه عرض النائب ونائب القلعة بالميدان وتحت القلعة خوفاً مما شاع بدمشق وغيرها من كسر ملك الروم أو قبضه .

وفي يوم الثلاثا ثالث صفر منها وردت مطالعة من المقدم ناصر الدين بن الحنش فيها أن ملك الروم انتصر على الجراكسة المصريين ، ثم بعد ساعة من النهار ورد قاصد من عند ابن طربية أمير الدربين مع مرسوم وصل إليه من ملك الروم ابن عثمان مكتتب في منزلة بولاق خارج القاهرة مؤرخ بيوم الأحد عاشر المحرم ، وفيه أن ابن عثمان دخل مصر يوم الثلاثا خامس المحرم ووقع القتال بينه وبين الجراكسة يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وفي آخرها ليلة السبت فرت الجراكسة بعضهم إلى الصعيد وبعضهم إلى البحر ، وبعضهم إلى جهة الشام مكسورين ، ثم التحريض لابن طربية في مسك من يظفر بالدرب من الجراكسة فشكوا الناس في هذا المرسوم .

وفي يوم الجمعة سادس صفر المذكور وردت مراسيم على يد أربعة من الهجانة بنصرة ابن عثمان على الجراكسة وأخذه للقاهرة .

وفي يوم السبت سابعه قرئت هذه المراسيم ودارت مبشري الأروام على بيوت الأكابر والحارات بالطبول والنايات وأطلقوا نفطاً كثيراً في القلعة ونادوا بالزينة سبعة أيام .

وفي يوم الخميس تاسع ربيع الآخر منها وهو آخر نيسان نودي بدمشق من قبل النائب بالأمان والاطمئنان وأن الملك المظفر سليم خان بن عثمان قد ملك ، وأنه أفنى الجراكسة وأنكم تزينوا دمشق سبعة أيام فزينوا ، وسبب ذلك أن سلطان مصر طومان باي كان فر هارباً فمسكه أمير العرب الجيولي وأتى به إلى الملك المظفر المذكور فشنقه بالقاهرة على باب زويلة وقت الظهر يوم الاثنين حادي عشر ربيع هذا ، ثم جاء الملك المظفر المشار إليه إلى جامع الأزهر فقرأ مولداً وفرق دراهم كثيرة .

وفي يوم الاثنين مستهل رجب منها رجع إلى دمشق من مصر نساء كثيرة من (ص ٨٦) نساء أكابر الجراكسة ، منهن زوجة نائب الشام سيباي كان وبنتها بعد / أن دخل عليها أمير سلاح كان محمد بن السلطان قانصوه الغوري بمصر ونزلت ببيت الأمير يخشباي داخل باب الجابية ، ومنهن سراري نائب حلب كان خير بك ونزلن ببيت الخواجا ابن النيربي ، ومنهن سورباي زوجة جان بردي الغزالي نائب حماه كان وبقية نسائه وأتين إلى المزة ونزلن بالميدان الأخضر .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشري شعبان منها شاع بدمشق أن ملك الروم ولى مصر لخير بك نائب حلب .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان منها دخل إلى دمشق من مصر قفل كبير

فيه أروام كثيرة وأخبروا أن سلطانهم واصل قريباً ، وأنه خرج من بعدهم من مصر يوم الخميس ثالث عشري شعبان المتقدم .

واشتهر في دمشق أنه قتل جماعة من جماعته منهم الوزير الكبير يونس باشا في الخطارة[1] فوضعت الحوطة على ماله بدمشق وأخذ للخنكار[2] وأما وزيره الأكبر سنان باشا فإنه قتل بمصر .

وفيه سافر النائب وجماعته لملاقاة السلطان ملك الروم ، وفي يوم الخميس خامس عشره تبعه الولوي بن الفرفور للملاقاة أيضاً .

وفي يوم الأحد ثامن عشره دخل من مصر إلى دمشق أوائل العسكر الرومي وكان نودي بتعزيل الطرقات لأجل دخوله فعزلت .

[السلطان سليم في دمشق]

وفي يوم الثلاثاء بعشرين منه نودي في الحارات بأن يعزلوا المرجة لينزل بها السلطان ملك الروم المظفر سليم خان بن عثمان فعزلوها .

وفي يوم الأربعاء حادي عشريه وهو سابع تشرين الأول دخل السلطان من مصر إلى دمشق في أبهة حافلة بخلق كثير بعد أن مر على جامع تنكز ونزل بالمرج ونصب سوقه تحت القلعة .

---

(١) الخطارة من القرى المصرية التى أنشأها العرب بمصر وردت في جداول أسماء البلاد وفي صبح الأعشى (ص ٣٧٧ ج ٤) : ضمن مراكز البريد بين السعيدية والصالحية ، وفي العهد العثمانى قسمت الخطارة إلى ناحيتين وهما الخطارة الكبرى ، والخطارة الصغرى ، وفى سنة (١٢٧٥ هـ) ألغيت ناحية الخطارة الكبرى وأضيف زمامها إلى ناحية الحجاجية بمركز فاقوس بمديرية الشرقية الخ .. (تعليقات النجوم الزاهرة ٢٥١/٨) .

(٢) الخنكار : كلمة فارسية استعملت بمعنى السلطان .

وفي يـوم الخميس الثـاني والعشرين منـه تطلبت العسـاكر النزول في البيـوت فهجموا على النسـاء وتضرر الخلق بـذلـك صرراً زائـداً ، وتحقق أن السلطـان عزم على الإقامة بـدمشق فغلت الأسعـار وبيع الرطل اللحم بـاثني عشر درهمـاً والسمن بستة وثلاثين درهماً .

وفيه نودي للمعمارية والحجارين والترابـة أن يجتمعوا لعمارة المكان الـذي ينزل فيـه السلطـان وفي يوم السبت رابع عشريـه طلع الـولـوي بن الفرفـور إلى تربـة المحيـوي ابن العربي المشهـورة بـه ، وكانت تربــة القــاضي ابن الـزكي ومعــه معلم السلطان شهاب الدين بن العطار وجماعته وهندسوها لبناية جامع بخطبة بإشارة السلطان .

وفي يوم الأحـد خـامس عشريـه طلع الولـوي بن الفرفـور وقـاضي العسكر ركن الدين بن زيرك ، واشتروا بيت خير بك دوادار منشئ المدرسة الحاجبية من مالكه رزق الله بستة آلاف درهم ليوسعوا به الجـامع ، وعين مشـد من الأروام على العمارة ، وحط عنده عشرة آلاف دينار بسببها ، وسكن بزقـاق الشهـاب القرعوني بالقرب من العمارة المذكورة .

وفي يوم الاثنين سادس عشريه شرع في هدم المسجد الذي كان جدده شهـاب الدين بن الصميدي لصيق التربـة المـذكورة والخلاوي وطمت البحرة العميقـة نحو رحين التي كانت قدام ذلك وحمام الجورة لصيق ذلك .

وفي يوم الثلاثا سابع عشريه نودي بالحج من الطريق الشامي وعين لـه أمير من الأروام ومعه عسكر .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشريـه خرج جـان بردي الغزالي من دمشق بجماعـة كثيرة إلى بلاد حوران .

وفي يوم الجمعة سلخه طالعت الأروام من القلعة سنجقا أحمر ليس لـه طراز ، في رأسه هلال شبه سبورة من فضة مطلية بذهب إلى الجـامع الأموي / ونصبوه في (ص ٨٧) البـاب الأوسـط من الأبواب الثلاثـة التي تحت قبـة النسر على العـادة في وضعـه ، وغيروا صنجـق الجراكسـة ، وهـو كان من حرير أصفر أطلس بطرز مـزركش بشراريز ، وهلاله من ذهب شبه نعل المصطفى وكان أكثر بهجة ، وخرجت معـه النقارات والمشعلين الملبسين على عادة الجراكسة .

وفي يوم السبت أصبح العيد الصغير وسلم الناس على السلطان وهو بـالميـدان الأخضر ، قيل وصرف ملك الأمراء بدمشق شهاب الدين أحمـد بن يخشي أغلي عن نيابة الشام فسافر .

وفي يوم الخميس سادس شوال منهـا انتقل السلطـان من الميـدان الأخضر إلى الدار التي كان سافر منهـا إلى مصر المعروفـة قـديمـاً بـدار سودون من عبـد الرحمن ويومئذٍ بتنم مملوك سيباي نائب دمشق كان وجعل قيساريـة القواسين مطبخـا كما كان فعل قبل سفره والدهليز المبلط من هذا البيت إلى الحمام قبلي المدرسة الخاتونية العصمية ممراً إلى الحمام المذكور كما كان فعل قبل سفره أيضاً .

وفيه شاع أن الحج الشامي بطل .

وفي يوم الجمعة رابع عشره تحقق ذلك بعدم طلوع السنجق إلى الجـامع الأموي على العادة قيل وسبب تعطيله أن الأمير محمد بن ساعد قـال إن العربـان مختلفون ولم يملأ الأخيضر فيخاف على الحج من العرب والعطش .

وفي ليلـة الثـلاثـا ثـالث ذي القعـدة منهـا أمر السلطـان بعمارة قبـة على المحيوي بن العربي فشرعوا فيهـا ليـلا ، وحفروا عـدة قبـور وخشـاخيش ، وبنـوا مكانهم أساسانها ، وفعلوا ذلـك ليلا خوفاً من كلام النـاس وظنـاً منهم أن ذلـك لا يطلع عليه أحد .

وفي يوم الأربعاء عاشر ذي الحجة منها عيد الناس وأرسل السلطان إلى عمارته بالصالحية مائتين وخمسين رأساً من الغنم ، وجملاً ، فذبحت ثمة وفرقت وإلى بقية جوامع الصالحية غنماً فقط عدة ثلاثين رأساً فكثر الدعاء له ، وصلى العيد بالجامع الأموي وأشعلت لأجله الثريات والصنوبرة تحت قبة النسر ، والسراج بباب الجامع الشمالي ، ثم فرق ثمة مائة وخمسين رأساً من الغنم وعشرين جملاً مذبوحين ، وكانت الأضحية في هذا العيد قليلة .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره توجه السلطان من جهة القبيبات ليلاً على الشمع الموكبي بيد الانكشارية ولحقه غالب عسكره وأربع عربات للقبض على الأمير ناصر الدين بن الحنش .

وفي يوم الجمعة يوم عاشوراء من محرم سنة أربع وعشرين وتسعمائة أخبرت أن السلطان لما خرج من دمشق نزل ومن معه بالدار والخبية وأنه مكث بها مدة ستة أيام ثم رحل منها ، ونزل بمنزل الأمير ابن القواس بشقحب وأنه بها إلى الآن وأن الأمير ناصر الدين بن الحنش رُؤي ومعه خلق سائراً بالجولان هارباً .

وفي يوم السبت حادي عشره رجع السلطان إلى دمشق .

وفي يوم الاثنين العشرين منه وهو أول شباط وضع منبر الجامع الجديد الذي رسم السلطان ببنائه بالصالحية لصيق تربة المحيوي بن العربي ، وفيه رسم ببناء تكية شمالي الجامع المذكور .

وفي يوم الخميس ثالث عشريه طلع خام السلطان إلى المصطبة السلطانية بأرض برزة .

وفي يوم الجمعة رابع عشريه ركب السلطان وجاء إلى الصالحية ودخل جامعه المذكور وصلى به الجمعة وخطب به الولوي بن الفرفور وكان معه قاضيا العسكر

والـوزراء فمن دونهم وخلـق كثير ، حتى أن غـالـب أسـواق دمشـق قفلت في هـذا اليـوم / وهرعت الفقراء والشحـادون والنسـاء رجـاء الصـدقـة عليهم ، ثم رجـع (ص ٨٨) السلطان إلى منزلـه عقب الصلاة وهـذه الخلق داعيـة لـه وقـد هم على الرحيل من دمشق ، ثم حبست النساء بالجامع المذكور والرجـال بـالمـارستـان القيمري لصيقـه وفرق على كل منهم جراباً من فضة دمشقية مابين أربعة دراهم ، وستـة ، وعشرة ، وعشرين ، وثلاثين ، ويقال أنه أعطى الخطيب نحو العشرة آلاف درهم .

وفي يوم الاثنين سـابع عشريـه طلع السلطـان من دمشـق مخرجـاً حسنـاً إلى المصطبة المذكورة وسخرت النـاس في مسـك الخيل وغيرهـا وتضرر النـاس بسبب ذلك .

وفيه شرع في الجبايـة على كل شخص أشرفي داخل البلـد ولم تؤخـذ على هـذا المنـوال بـل عـدت الأشخـاص ومـا يطلـع عليهم على حسـاب كل منهم أشرفيـاً ثم وزعت الجملـة على الأشخـاص على قـدر مراتبهم في الغنى والفقر والتوسط بينهما ، وأشيع أن الصـالحيـة عفي عنهـا بسبب المحيـوي بن العربي ولم يصـح ذلـك وأخـذ منها .

وفي يوم الأحد ثالث صفر منها خوزق السلطان بالمصطبة ثلاثـة عشر نفسـاً من خزنداريته وبوابيه بسبب فقد مال من خزانته ، واختلفوا في قدره فقيل ألفـا درهم ومائتان ، وقيل ألفا قبرصي .

وفي يوم الاثنين رابعـه وهو خـامس عشر شبـاط نودي بـدمشـق والسلطـان بالمصطبة بأن لا يبقى أحد بدمشق بعد يوم الثلاثا من الأروام بل الكل يسـافرون وتوعد من يخفي أحداً منهم .

[جنبردي الغزالي]

٣

وفي يوم الثلاثا خامسه فوض السلطان نيابة دمشق لجنبردي الغزالي وما معها من بلاد المعري[1] إلى عريش مصر على مال معين قيل قدره مائتا ألف دينار وثلاثون ألف دينار ، وأضاف أمر الجراكسة من الحجوبية الكبرى والثانية ودوادارية السلطان وأمرة ميسرة وغير ذلك من الأمريات خلا الكبرى إليه .

وفي يوم الأحد عاشره سافر السلطان من المصطبة متوجهاً إلى بلاده ، وكان النائب جنبردي المذكور قد سبقه إلى حمص ليؤهب له ضيافة هناك .

وفي يوم الخميس رابع عشره سافر حريم ابن السلطان قانصوه الغوري الذي تزوج بنت النائب سيباي إلى اصطنبول ولا قوة إلا بالله .

وفي يوم الأربعاء عشريه بلغني أن الأمير ناصر الدين بن الحنش دخل إلى بلاده وأن جماعة من عنده ذهبوا لملاقاة النائب ليشفعوا له في الاستمرار على عادته .

وفي بكرة يوم الجمعة ثاني عشريه رجع جان بردي من توديع السلطان إلى دمشق في أبهة عظيمة ونزل عند الشامية البرانية .

وأمر بعمارة دار السعادة واصطبلها فشرعوا في ذلك عجلاً ، ثم نادى مناداة حسنة بأن لاظلم ولا عدوان وأن رؤس النوب ، والنقباء ، ومشايخ الحارات بطالون . وفي يوم الجمعة حادي عشري ربيع الأول منها سافر النائب إلى البلاد البقاعية .

---

(١) في الأصل (ومعها من بلاد العرى) ، والمراد بقرى المعري « معرة النعمان وما حولها » .

وفي يوم الأحد ثامن ربيع الآخر منها ورد الخبر إلى دمشق بأن النـائب اتقع هو وابن الحنش بأرض جوسية من أعمال بعلبك فهلك ابن الحنش وفرت جمـاعتـه وكانت الوقعـة يوم الجمعـة سـادس ربيع الآخر المـذكور ، ثم قطع رأس ابن الحنش وجهز إلى السلطان .

وفي يوم الثلاثا مستهل جمادى الأولى منها وصلت خلعة للنـائب وهو عـائـد من حلب إلى دمشق .

وفي يوم الخميس ثـامن جمـادى الآخرة منهـا ابتـدي بـالطبـخ في التكيـة التي أنشأها السلطان عند جامعه بالصـالحيـة وسـافر ولم تكمل ، والآن قـد كملت ، وفي بكرة السبت سابع عشره رجع النائب إلى دمشق بخلعتـه التي أتت لـه من / حلب (ص ٨٩) وخرج الجمع الكثير للسلام عليه .

وفي يوم السبت مستهل ذي الحجة منها سـافر النـائب من دمشق إلى البريـة قاصداً عمارة البلاد إلى أن يأتي الحاج فيلاقيه .

وفي يوم الخميس سـابع محرم سنـة خمس وعشرين وتسعمائـة وصل من الخنكار تشريف النائب ، وهو الآن مسـافر في تلقي الحج ونـائب غيبتـه الـدوادار الثـاني قضا بردي .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر صفر منها رجع النائب إلى دمشق لابساً الخلعة التي جاءت إليه في غيبته هذه .

وفي يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول منهـا سـافر النـائب إلى الخربـة وجعل دواداره الكبير أصلان نائب الغيبة .

وفي يوم الخميس سـادس عشري جمـادى الأولى منهـا رجع النـائب إلى دمشق وقد مهد أمر العرب ومعه أحد أمرائهم ملجم .

وفي يوم الخميس ثاني رجب منها لبس النائب خلعة تمساح أحمر جاءته من الخنكار بالاستمرار ، وكان بات هذه الليلة على مصطبة السلطان عند القابون الفوقاني ، وعمل له خيال الإزار على ماقيل ، ثم دخل هذا اليوم وقدامه النواب من القضاة وخلفهم المشاة البنادقة ، وعن يمينه قاضي البلد الولوي بن الفرفور ، وعن يساره قاصد الخلعة ، وأوقدت له جماعات مسجد القصب والعمارة والحلوانيين الشموع والسرج ودخل دخولاً حافلاً . وفي يوم الجمعة تاسع عشري شعبان منها سافر النائب إلى بلاد حوران لأجل القبض على أمير العرب جغيمان لخوفه على الحاج منه ، وولي نيابة الغيبة لمن كان أقامه على وظيفة دوادار السلطان شاذبك .

وفي يوم السبت سادس عشر رمضان منها عاد إلى دمشق ولم يقبضه ولكن كسر شوكته وعزم على تسيير الحاج على الطريق الغزاوي ففعل .

وفي يوم الاثنين ثالث ذي الحجة منها سافر النائب إلى بلاد حوران قاصداً أمير العرب جغيمان وجماعته ليردهم عن التعرض للحج .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر المحرم من سنة ست وعشرين وتسعمائة دقت البشائر بدار السعادة بسبب أنه جاء الخبر من عند النائب بأنه كبس على جغيمان وهو نازل على معان فجاءه النذير ففر وأعيان جماعته وحريمهم إلى الجون منزل بالبرية ، وظفر النائب بضعفة جماعته ، وبعض جمال وغنم ، ثم عزم النائب على الرجوع على الكرك إلى الرملة فيجلس هناك إلى أن يأتي الحاج .

وفي يوم السبت مستهل صفر منها وصل إلى دمشق دوادار النائب الثاني قانم الذي كان أرسله قبل ذلك إلى الروم بالخيل للخنكار ، وأخبر أنه واصل إلى أستاذه خلعة من على يد بواب السلطان .

وفي يوم الجمعة رابع عشره عاد النائب إلى دمشق وقدامه محمل الحاج وقريب

جغيمان الذي أخذ الحاج في العام الماضي ويدعى قريب هذا بدويعر راكباً على جمل وفي رقبته زنجير وحواليه جماعته في زناجير آيضا ، ولبس النائب في دخوله هذا خلعته التي جاءته من الخنكار على يد بوابه ، وهي تماسح على أحمر مذهبة في موكب حافل .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشري ربيع الأول منها سافر النائب إلى الخربة على العادة وأقام نائب الغيبة دواداره الكبير أصلان . وفي يوم الأربعاء ثامن عشري جمادى الأولى منها عاد النائب إلى دمشق ودخل دخولاً حافلاً .

وفي يوم الأحد ثاني ذي القعدة منها سافر النائب إلى بيروت ليأخذ سلب أفرنج خرجوا من البحر وقتلهم أهلها ، ويتفقد أبراج ذلك الثغر في السلاح .

وفي ليلة السبت خامس عشره عاد النائب إلى دمشق بغتة وشاع أنه عزل الأمير سنان الرومي عن بلاد البقاع وما انضاف إليها ، وولاها للمقدم أحمد بن الحنش لما وصل إليه أولاق[1] بموت سلطان الروم سليم خان وتولية ولده سليمان .

[خروج الغزالي على الأتراك العثمانيين]

وفي ليلة الاثنين سابع عشرة شرع النائب في حصار قلعة دمشق فعند ضحوة النهار الكبرى ملكها بالحيلة وقتل اثنين من الأروام بها ومسك أعيان الباقين ومعهم نائبها الرومي ونهب موجودهم ثم جهز نائب القلعة المذكورة ومعه سنان إلى القدس منفيين / ولما دخل إلى القلعة أظهر لبس الجراكسة من التخفيفات والكلوتات وأبطل لبس الأروام من العمائم والقطانات ، ثم رسم بابطال التكية والجامع اللتين أنشأهما السلطان سليم خان ، وأخذ جميع مالهما ، ثم ولى مدينة حماة

(١) اصطلاح عثماني بمعنى الرسول .

ولى مدينة حماة لأحد جماعته المقرقع ومنع الخطباء في سائر الجوامع أن يخطبوا باسم السلطان سليمان ، ثم جاء الخبر بأن المقرقع وهو ذاهب إلى حماة قتل الصوباشي[1] بمدينة حمص وجهز قاضيها الرومي إلى النائب وولاها للمقدم بن الحرفوش ، ثم جاء الخبر بأن المقرقع أخذ حماة من الأروام وهرب نائبها إلى حلب ، ثم جهز النائب دواداره الثاني إلى طرابلس فأخذها وهرب نائبها إلى حلب أيضاً ، وكان دخول نائب حماة الهارب إلى حلب نهار الأحد ثالث عشر ذي القعدة منها ، ودخول نائب طرابلس إلى حلب نهار الاثنين ثاني عشري ذي الحجة منها ، ثم جهز نائب دمشق لها وأعرض عليه شباب أهل الحارات بدمشق ، ثم جهز نائب صفد ونائب القدس بسنحقين إلى حلب وقد كان لهما ثلاثة أيام قد وصلا إلى دمشق ، ثم جهز دواداره الكبير أصلان ومعه مشده بسنجقين إليهما أيضاً ، ومعهما عشرون مكحلة أعظمها ثلاثة سحبت من قلعة دمشق على عجل ثلاث .

وفي يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة منها سافر النائب من دمشق إلى أخذ حلب من الأروام وخرج مخرجاً حافلاً ولكنه أكثر من البكاء وأوصى وأقام نائب غيبة دواداره الثالث قضا بردي ، ونائب القلعة العمادي بن الأكرم .

وهذا ما كان من نائب الشام جان بردي الغزالي .

وأما ما كان من نائب حلب قرا باشا فإنه لما بلغه موت سلطان الروم سليم خان كان نازلاً بعسكره في حيلان فرجع إلى حلب يوم الجمعة سابع ذي القعدة منها ، ثم في يوم الجمعة رابع عشره صلوا صلاة الغائبة على السلطان سليم وخطبوا باسم ولده السلطان سليمان ، ثم شرع في تحصين قلعة حلب ، ثم في تحصين حلب ، وكل من كان خارج أبوابها دخل إلى المدينة ، وسد باب قنسرين وباب المقام ، وباب النعمة وبقية أبوابها بالحجر والكلس ، واستخدام خلقا كل إنسان بثلثمائة

---

(١) الصوباتي رئيس فرقة من السباهية وهي فرقة الفرسان .

درهم ، وأنفق عليهم من مال السلطان شهرين ، وأعطى الإنكشارية كل واحد ألفين ، والأصبهانية كل واحد زيادة على الجامكية .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة منها خرج من حلب إلى قرية سرمين ، وقرية داريخ ونهبها ، وأخذ البقر والمعز وجميع دوابها وفسق وقتل لقتلهم القضاة والحكام العثمانية الذين عندهم ، ثم عاد إلى حلب فخرج إليه في الطريق أمير سنجق من جهة نائب الشام الغزالي فأخذ منه جميع المكسب وقتل منه جماعة وجهز رؤوسهم إلى دمشق ، ودخل نائب حلب إليها مكسوراً .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشري ذي الحجة منها وصل أول عسكر الغزالي إلى الأنصاري وخرج إليه عسكر حلب فوق الشلش في القتال وترجح جانب عسكر الغزالي .

ثم في يوم رابع عشريه زحفوا إلى الميدان ، وفي يوم خامس عشريه داروا على أبواب المدينة ، ثم في يوم سابع عشريه وقع الحصار على باب المقام وقتل بندقاني بنشاب من عسكر ابن الحنش ، وكان أول من قتل في الحصار من العثمانية .

ثم في يوم التاسع والعشرين منه ركبوا على هذا الباب مكحلة ثقيلة وعدة صغاراً ورموا عليه فلم يفد شيئاً ووصل بعض حجارتهم إلى عند باب القلعة فوزن فإذا هو أربعة أرطال .

ثم في يوم الثلاثين منه اشتد الحصار مع زيادة الأسهم الخطائية حتى وصلت إلى الخندق وكلما خرب من الصور شيء عمر ليلاً .

ثم في يوم الخميس ثاني محرم سنة سبع وعشرين وتسعمائة قطع عسكر الغزالي قناة الماء التي تدخل إلى حلب فتضرر أهلها في الجوامع والحمامات وغيرها .

وفي هذا اليوم عمل نائب حلب حيلة لكشف عسكر الغزالي فطلع إلى مكان عال في قلعة الشريف وأخرج من باب قنسرين أميراً شجاعاً معه أربعون خيالاً ساقت على جماعة من مشاة الغزالي فقتلوا اثنين وهرب الباقون ، وقاموا ألبسوا مافي عسكرهم ، فزعق نفيرهم وكانوا متفرقين في الحارات / والبيوت والغزالي ... (ص ٩١) فلما سمعوا نفيرهم ماجوا وظنوا أنهم كبسوا ثم ركبوا وجاؤوا إلى باب قنسرين وكان أعد لهم عسكر حلب مدافع وكفيات وبندقيات فرموهم فانقلبوا هاربين .

وفي يوم الثلاثاء سابعه سد باب قنسرين المذكور وكان فتح باب مانقوسا وباب النصر فغلقا بلا سد والباقي مسدود ثم نادى منادي من جهة الغزالي تحت الأسوار : يا أهل حلب لاتتفرجوا فوق الأسوار وقت القتال وإذا قتل منكم أحد خطيئته في رقبته ، ثم رمى بمكاحل إلى المدينة فوزن بعض أحجارها فبلغ أحد عشر رطلاً حلبياً وبعضها سبعة ونصف وبعضها ثلاث أواق ، ثم نصب سلماً على الصور ورام جماعته الطلوع فيه فرموا عليهم من فوق فانكسر السلم وهربوا فجاؤوا بالسلم وأروه لنائب حلب .

ثم في يوم تاسوعاء وقت الظهر رحل الغزالي عن حلب بعساكره من غير قتال ورجعوا من المكان الذي أتوا منه وفرح أهل حلب فرحاً عظيماً لما كانوا فيه من الشدة ، ووصل الرطل الخبز إلى خمسة ، والرطل اللحم إلى ستة وعشرين ، والرطل الحطب إلى درهمين والرز إلى أوقية بدرهم ، والسمن إلى أوقية بثلاثة ، والزيت إلى أوقية بدرهمين ، وكل بيضة مقلية بدرهم وكل رطل حمص مسلوق بأربعة وكل وقية دبس بدرهم .

ثم في اليوم الحادي عشر منه ردوا قناة الماء إلى البلد ، وخرج الناس إلى بيوتهم فوجدوا أبوابها أخذت وكسرت وشبابيكها جهزت إلى دمشق ، وطمائرهم

نبشت فافتقر خلق كثير ثم قدم أولاق[1] وأخبر نائب حلب بأن الأمير علي بن سوار واصل اليوم ، فخرج إليه ومعه نائب طرابلس ونائب حماة ونائب حمص ونائب أنطاكية وجميع العساكر التي بحلب ، ولاقوه ، فدخل بثلاثة صناجق واحد له وآخر عن يمينه لولده الأكبر ، وآخر عن يساره لولده الأصغر ، ونزل عند سيدي سعد ، وأهدى له قاضي القضاة بحلب هدية عظيمة ، وشاع أن السلطان سليم كان ولاه حلب وما عزله من الشام ، والظاهر عزله عنها بالشرفي بن مفلح .

ثم في اليوم الخامس عشر منه توجه الأمير علي باك وولداه قبل الشام ، وقد كان يوم برد وثلج وهو خامس عشر مربعينيات الشتاء ، وصحبته نائب حماه ثم نائب طرابلس ثم في يوم سابع عشر منه دخل إلى حلب أولاق من نائب مصر خير بك وأخبر عنه أنه جهز من مصر عسكراً للغزالي ، وكان في غزة حاكم من جهة الغزالي فقتلوه ، وهم منتظرون عسكر الروم حتى يلاقوه ، وقد كان الغزالي أرسل إليه ليطاوعه فأبى فهذا سبب رحيل الغزالي عن حلب مع وصول العساكر من السوارية إليه ، ثم العساكر العثمانية ، ثم إن الأمير علي باك ومن معه وصلوا إلى سراقب ، وأقاموا بها ثلاثة أيام ، فأخبروا أن الغزالي بحماة فرجع الأمير علي باك إلى بلاد سرمين ونائب حماة ونائب طرابلس إلى حلب إلى أن يصل باش العساكر فرحات باشا .

وفي ليلة الخميس سابع صفر منها عاد نائب طرابلس منها إلى دمشق وكان من قبل الغزالي وتحقق عدم أخذ قلعتها فاراً من الأروام .

وفي يوم الجمعة ثامنه عاد النائب الغزالي بنفسه إلى دمشق أيضاً فاراً منهم والله يحسن العاقبة .

(1) اصطلاح عثماني بمعنى الرسول .

وفي يوم الاثنين حادي عشره أعاد النائب الجامع الخنكاري عند ابن العربي ولم يعد التكية ، ثم شرع في تحصين قلعة دمشق بسد حيطان وفك أخرى وحرق بعض الأسواق ثم عرض عليه الشباب من سائر الحارات الدمشقية بالمرجة ، وقال : لاتقاتلوا الأروام لأجلي بل قاتلوهم خوفاً على حريمكم ، ثم أحضرهم عند قاضي البلد الشرفي بن مفلح بالجامع الأموي ، وحلفهم على القيام معه على الأروام .

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه خطب بالجامع الأموي للنائب وهو حاضر بمقصورته بأنه سلطان الحرمين الشريفين ولقب بالأشرف وخرج من الجامع في موكب حافل .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشريه خرج السلطان جان بردي الغزالي إلى ملاقاة (ص ٩٢) العسكر الرومي الواصل إلى المصطبة السلطانية / عند القابون الفوقاني ، فلما كان وقت الظهر تلاقى أوائل العسكرين عند قرية الدوير ، ثم تواصل العسكر الرومي وشاليشه الأمير محمد بن قرقاش فركب السلطان من المصطبة ببقية عسكره وتلقاه بأرض النهور شرقي قرية برزة[1] من ضواحي دمشق ، فما كان إلا لحظة وانكسر عسكر السلطان جان بردي الغزالي وقطع رأسه ، ثم تلاحق العسكر الرومي ببقية الهاربين ، وارتجف الناس رجفة عظيمة ، وقتل نحو الثلاثة آلاف نفس وستين ونهبت الحارات والقرى حوالي دمشق ، وأخذ بعض نساء وأولاد .

وفي يوم الأربعاء سابع عشريه ركب الباشا فرحات إلى دمشق ومعه قاضي القضاة الولوي الفرفوري الذي كان هرب من الغزالي إلى حلب فولي قضاها ، فصعدا إلى قلعتها وتسلماها من نائبها العماد بن الأكرم ، وأخذاه معهما من غير ترسيم عليه ، ثم وضعا فيها صوباشا وكذا في كل حارة من حارات دمشق فكف

(١) قرية تمالي دمشق وآخر جبل قاسيون من جهة الشرق تبعد عن دمشق (٧) كم .

العسكر بعض كف ، ثم جهزا رأس الغزالي إلى الخنكار معه نحو ألف أذن من المقتولين .

وفي يوم السبت مستهل ربيع الأول منها نزل الباش إلى دمشق ونزل بدار السعادة ، وشرع العسكر ينزل في البيوت وتضرر الناس وصار حاكم دمشق .

[أياس باشا نائب دمشق]

٤

وفي يوم الأحد خامس عشر ربيع الآخر منها وردت البشارة لأياس باشا بنيابة الشام من الخنكار وأنه وليها من ثلاثين يوماً عوضاً عن جان بردي الغزالي المقتول ، لكنه لم يعط سوى دمشق ومعاملتها ، وأخرج عنه صفد والغزة والقدس على عادة الجراكسة في تنويب هذه البلدان لكن مرجع هؤلاء إليه ، ودقت بشائر دمشق لذلك ، وشرع العسكر في تجهيز العود إلى بلادهم وسر الناس .

وفي يوم الجمعة خامس جمادى الأولى منها سافر الباش من دمشق إلى الروم ثم سكن النائب أياس باصطبل دار السعادة وكان قد جدده النائب المقتول وأشهر المناداة بالأمان والاطمئنان وأن لا ظلم ولا عدوان .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة منها سافر إلى بلاد حوران ليكبس على عرب الأمير درياع بن مهنا بعد أن مسكه وحطه بالقلعة بإشارة الأمير يونس بن القواس مقدم وادي العجم وما مع ذلك ، ولما كبسهم رأى منهم شدة ، ثم اتفق معهم على تسيير الحج بإعطاء رهاين وأخذ حررهم على العادة ، ثم عاد سرعة ، ثم رمى رقبة يونس المذكور بعد مدة لأجل خاطر العربان ، ولما قدم مبشر السلطان إلى دمشق بأخذه لقلعة بلغراد رمى له على دمشق ثمانية آلاف دينار ، فرأى شخص صالح النبي ﷺ فقال له : قل للنائب أياس أن النبي

ﷺ يأمرك أن تبطل هذه الرمية ، وإن لم تبطلها فلا تلم إلا نفسك ، فاستيقظ وذهب إلى النائب وأخبره بذلك فوضع النائب يديه على رأسه وقال له : قد أبطلتها ، ثم طلع في هذا اليوم وصحبته السيد كمال الدين بن حمزة الحسيني إلى مغارة الدم أعلا جبل قاسيون ، فزارها وفرق دراهم ، ثم تقصد زيارة بقية الأماكن الشريفة بدمشق ، وبلغه عن العلامة تقي الدين القاري الشافعي أنه ينتقص الحنفية ويقول : إن الصلاة خلفهم غير صحيحة خلفهم ، ويسمى الأروام بدعية ، فبهدله بالترسيم عليه وإخراج وظائفه عنه فشفع فيه الشمس الشيرزي أحد المحبين للشيخ المحيوي ابن العربي فقبل شفاعته فيه وأعاد إليه بعضها .

[فرهاد باشا]

٥

(ص ٩٣) وفي يوم الثلاثاء ثالث المحرم سنة ثمان / وعشرين وتسعمائة قدم إلى دمشق متسلم النائب الجديد فرهاد باشا نائب طرابلس بغتة وأخبر أن أستاذه ولي نيابة دمشق عوضاً عن أياس باشا من عشرين يوماً ، وأن الخبر جاء له في البحر .

وفي يوم السبت خامس عشره دخل النائب الجديد إلى دمشق ونزل بالمرجة إلى أن سافر في ثانيه النائب المعزول إلى اصطنبول ، فانتقل إلى دار السعادة في موكب حافل وأكثر الناس الدعاء له لثناء أهل طرابلس عليه .

ثم إن النائب المعزول لما وصل إلى اصطنبول ولي وزيرا وكثر الثناء عليه بدمشق لمحبته لأهلها ، ولم يظهر لذلك نتيجة بدمشق ، ثم توفي بعلة الطاعون .

وفي يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة منها مسك النائب فرهاد للخواجا علم الدين ابن الخواجا شهاب الدين بن سليمان بسبب هدم جانب من بيته كان

بعض الأروام نازلاً فيه فرحل عنه ، فخاف من نزول غيره عوضه ، وجيء بـه إلى النـائب فرسم بشنقـه على بـاب داره لأجل ذلـك فعرى وكتف ووضـع الحبـل في رقبته وطيف به دورة دمشق وهو في أثنائها حصلت له شفـاعـة من بعض التجـار فأطلق ، وقيل أنه غرم ألف دينار ولم يراعى لأجل والده مع أني لاأعلم في دمشق آكثر براً منه ، وضرب بسببه معلم السلطان الشهاب ابن العطار لما قيل أنـه أرسل إليه فعلة لأجل الفك . وكان غـالب النـاس قـد صغر بـاب داره وفـك اصطبلـه فنادى بإعادة ذلك .

ولما تقاتلت فقراء الشيخ أحمد الجبائي مع فقراء ابن عمـه أوجع هـذا النـائب ضربـاً للجميـع وأخـذت بعض ثيـابهم ، وأطلـق الشيـخ أحمـد ورسم على ابن عمـه يوعات .

ثم هذا النائب سافر للحمة ليغتسل منها فـإنـه متضعف في نفسـه ثم عـاد إلى دمشق ثم خرج إلى الخربة لما قيل له أنها عذية[1] .

وفي ليلة يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة سنـة تسع وعشرين وتسعمائـة عاد إلى دمشق وهو ضعيف ، ثم استـدعى أطبـاء دمشق الشمس بن مكي ، والزين القويني ، وخليفة اليهودي ولم يمكنـه من الـذهـاب من عنـده ليلاً ونهـاراً ، وأراد قتل اليهودي الذي كان ملازماً له حضراً وسفراً فهرب ، قيل إلى مدينة صفد .

وفي يوم الخميس ثاني عشريه توفي بكرة وصلى عليـه بـدمشق ودفن في حوش المحيوي بن العربي تحت منظرة إيـوانـه وطلـع في جنـازتـه قـاضي دمشـق والأكابر

---

(١) العـذي بكسر العين وسكون الـذال : الزرع الـذي لا يسقيـه إلا مـاء المطر . ولكنهـا تستعمـل أيضاً في قرى دمشق بمعى جيد الهواء ، فيقولون عن جهة من الجهات ، هواؤها عدي أى جيـد وهم يبدلون الدال بالدال .

ووضع شاشة على عمود تابوته وبه ورد مغرز على عادة الأروام ... وأعتق مماليكه وأوصى بعشرين مقرياً يقرؤون عنده ليلاً ونهاراً ، وكانت وصاياه بمائة وخمسين ألفاً عثمانياً ، خمسون للقبر وأخرى للأصبهانية ، وأخرى لمماليكه ، وطلع عنده مال جزيل ، وخمسة من كاسات الخمر ذهباً مرصعة بالجواهر يساوي كل منها ألف دينار ، وثلاث شربات فضة بألف وخمسمائة دينار ، وشمعدانان ، وزبادي ، وصحون ، وسكرجات ، ومعالق ، الجميع من فضة ، وكان في غيبته أقام عوضه صوباشي البلد جعفر ، ورأيت بعض الأفاضل يشكر منه وأنه محب لطلبة العلم ، ونودي لعلي باشا بنيابة الغيبة ، وكانت الناس اختشوا من نهب الأروام البلد لما قيل أنه عادتهم عند موت كبيرها ، فطمن خاطرهم نائب الغيبة بإشهار المناداة بالأمان .

وفي يوم الأحد خامس عشريه وصل إلى دمشق نائب طرابلس ونزل ببيت يونس الحاجب عند الشامية البرانية فقامت عليه الأصبهانية لكونه جاء مرسوم السلطان إلى دمشق فرجع إلى دمشق فرجع إلى بلده ثاني يوم ، وودعه القاضي الكبير في حال مطر ثم خرج إليه أكابر الأصبهانية ومعهم (الحكيم) اسكندر ورجعوه إلى دمشق .

[خرَّم باشا]

٦

وفي يوم الخميس عشري رجب منها وردت بشارة لتولية نائب طرابلس هذا وهو مقيم بدمشق بيابة الشام عوضاً عن فرهاد باشا . واسم هذا النائب الجديد خرم بالخاء المعجمة المضمومة ثم راء مشددة مفتوحة ابن الوزير اسكندر / باشا ، (ص ٩٤) ومعنى اسمه بلسان الكرج فرح الفرح فانتقل إلى دار السعادة ، وأطلق نفط كثير بالقلعة .

وفي يوم الخميس سابع عشري ذي الحجة منها سافر للكبس على الشوف الحيطي ، بعد أن جمع مشاة من دمشق ومعاملتها .

وفي يوم الثلاثاء تاسع المحرم سنة ثلاثين أتت البشارة بنصرته على الدروز قرب عين قرحتا ، ثم وصلت أربعة أحمال من رؤوسهم وعلقت على القلعة وفي شوارع دمشق .

وفي يوم الاثنين خامس عشريه عاد إلى دمشق في موكب حافل ، وكان في الليل تقدمهم المشاة ، ومعهم مجلدات من كتب الدروز فبعضها رد على النصيرية ، وبعضها رد على أهل السنة ، وظاهرها أنهم يعتقدون ألوهية الحاكم بأمر الله ، وينكرون الصلاة ، والزكاة والصوم ، والحج ، وغير ذلك من الكفريات ، فشكره الناس على مافعل ، وكان قد مدحه صاحبنا الشمس ابن الفراء الصالحي الحنفي ـ عند عصيان هؤلاء الدروز عليه ، وقتل صوباشيته وجماعته ، وعزم على الركوب عليهم ـ ملتزماً في أوائل الأبيات أحرف ترجمته ، واسمه والدعاء له ، وفي أوائل أشطرها الثواني : محبكم محمد الصالحي ، وقد ذكرتها في غير هذا الموضع .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان منها توجه لقتال الدروز بشوف المتن لقتلهم صوباشيته ، وودعه القاضي الكبير وهو لابس صوفاً أبيض بفرو سمور على بغلة أهداها له هذا النائب بالأمس ، وكذا الخجا شيخه بعد أن أخذ من دمشق وضواحيها أربعمائة ماش بجامكية من عنده .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشريه وصل إلى دمشق ثلاثة أحمال من رؤوس هؤلاء الدروز وطيف بها على أرماح ، وفرقت في الأسواق والحارات ، ثم علقت بالقلعة وأطلق بها نفط لأجل البشارة بالنصرة ، وكانت هذه المرة بغير قتال ، وحرق نحو ثلاثين قرية ، ونهب عدة أخرى وفسق بعضهم في النساء والأطفال

وجيء منهم ببعض كتب تدل على اعتقادهم الفاسد كما قدمنا ، ولهذا أفتى الشيخ تقي الدين البلاطنسي الشافعي بحل دمائهم وأموالهم ثم عاد النائب وتلقاه مر ودعه .

وفي صفر سنة أحد وثلاثين عزل ، ثم سافر ثم أعيد إلى دمشق للتفتيش عليه بالمرجة ، ثم طلب كل من له عليه حق أو علفة وأرضاهم بإشارة الوزير إبراهيم باشا للشكاية عليه إليه ، ثم سافر وأشيع قتله في رجب منها والله أعلم بصحته .

[سليمان باشا]

٧

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشريه الأول منها دخل النائب الجديد سليمان باشا الطواشي عوضاً عن خُرَّم في موكب عظيم ، أشعل له سوق مسجد القصب وما اتصل به ، وبيده جوزة ورد ، وهو مجلوب إلى دمشق ، وقد كان سكن المطر وكان له من أول المربعينيات يمطر غزيراً ، ثم عاد سرعة واستمر إلى أن انسلخت ، ثم صلى أول جمعة بالعمارة السليمية بالصالحية وهي ماطرة ، وضيفه بها المتكلم عليها الكمال ضيافة حافلة فتشكر له وانصرف ، ثم صلى ثاني جمعة بالجامع الأموي وأوقد له شمع كثير بباب البريد ثم زار قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام وشاع أنه متكلم عليه ، واستمر إلى أن خرج إلى الخربة بعد أن فرض على السوقة ترحيلة لأخذهم معه ، ثم انتقل إلى المرج ، ووصل إليه في يوم الخميس ثامن عشر رجب منها ، ثم ورد عليه مرسوم بعزله عن نيابة دمشق وتوجهه إلى مصر ، ثم جاء نائب طرابلس للحكم بها إلى أن يحضر نائبها الجديد .

[لطفي باشا]

٨

وفي يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة منها قدم النائب الجديد لطفي إلى دمشق وتلقاه قاضي القضاة ونائب غيبته والأكابر ، ولم يصل هذه الجمعة ، ثم صلى النائب / بالجامع الأموي وزار المصحف العثماني ، ثم الجمعة الثالثة بالعمارة السليمية (ص ٩٥) بالسفح وزار الشيخي المحيوي ابن العربي ، وضيفه المتكلم عليها الكمال ضيافة هائلة ، ثم فرض ترحيلة على السوقة ، ثم رحل بهم إلى الخربة لتربيع الخيل ، ثم عاد على المرج لقمع عرب آل علي فإنهم زادوا في تعديهم ، وقد وقع بينهم وبين أهل المرج مقتلة عظيمة قبل وصوله ، ثم مسك شويخ وابن عمه أبو حمرا كبيري آل علي ثم قتلهما بعد دخوله إلى دمشق .

وفي يوم الأربعاء خامس ذي الحجة سنة اثنين قتل الوحوش التي كانت عنده في حوش اصطبل دار السعادة وهم ما بين فهد وطاووس وكركي وغزلان وأبقى الخنزير فقط ، قيل لتألفه على الخيل ، ورفع ما يخاف عليه إلى القلعة ، وفرض ترحيلة على السوقة وأرسل إلى نائب طرابلس بالحضور إلى دمشق لمسكها ، ثم سافر إلى حلب لأجل خروج آليه (؟) الجلالي ومعه ولد علي دولات على أرض مرعش ، وودعه القاضي الكبير ونائب القلعة .

[عيسى باك]

٩

وفي العشرين من شعبان سنة أربع ورد عزله وتولية عيسى باك بن إبراهيم بن خليل الفنري ، ويقال أنه طالب علم ، وأقيم كيخية الدفتر قاسم نائب غيبته عوضه ، ثم بعد سبعة أيام سافر وودعه الأعيان .

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة منها دخل إلى دمشق نائبها الجديد في موكب حافل وقدامه القاضي الكبير ، ونائب القلعة والأعيان ثم ربع خيله بالخربة ، ثم عاد وسافر إلى حلب وعاد ، ثم إلى القدس ، وعاد ، ثم إلى بيروت وعاد لمصالح السلطنة .

وفي ثالث عشر شوال سنة سبع عزل وألزم بخمسة وسبعين ألف دينار للتجار الذين أخذ متجرهم بدرب الحاج سنة خمس بعد ذهابهم إلى السلطان وشكايتهم عليه ، فوزنها ، وسافر إلى الروم .

[مصطفى أبلاق]

١٠

وفي رابع عشر ذي القعدة منها وصل إلى دمشق عوضه النائب الجديد مصطفى أبلاق بوحدة وآخره قاف وتلقاه الأكابر ، ثم في أوائل سنة ثمان هم بعمارة بركة وسط صحن الجامع الأموي ، ورمى آلتها وجاء بحجارتها من جامع بيت لهيا ، فاجتمع المفتية ومنعوه ، فشرع في حرث ميدان القصر الأبلق بعد أن استحكره من الأمناء بألفي عثماني كل عام .

ثم عزل في سادس عشري القعدة سنة تسع وأعيد إليها لطفي وجاء أخوه أحمد متسلماً عنه وأوقف هذا النائب المنفصل بستانه على النبي ﷺ ، ثم سافر إلى الروم ، وولي وزيراً ثانياً ، ثم مات سنة ثلاث وأربعين باصطنبول .

[لطفي باشا مرة ثانية]

وفي سادس حادي عشري رجب سنة أربعين دخل النائب لطفي إلى دمشق دخولاً حافلاً وقد كثر الطاعون فأمر بقتل كلاب دمشق وضواحيها ونادى من لا يقتل كلباً ويعلقه على دكانه أو باب بيته يؤخذ منه ثمانون عثمانياً ، فهرعت

النـاس إلى قتلهم وأبيع كل كلب بقطعتين ، فقتـل نحـو ألف كلب ، ثم إن القـاضي الكبير أمر برفعه وقت الغدا ورمي مـاقتل ، وإلا كان عزمهم يقتلون فيهم ثلاثـة أيـام ، ثم قيل وسبب قتلهم جرى العـادة بـذلـك في الروم عنـد وجود الطـاعـون وعقيبه يخف أو يرتفع .

ثم مات ابنه الأكبر بالعلـة وكان ابن اثني عشر سنـة وكان قرأ خمس كتب في خمس علوم ، ودفن بحوش الشيخي المحيوي ابن العربي يـوم السبت ثـالث عشرين شوال منها .

ثم توفي والده النائب لطفي بها ، ودفن بـالجنينـة التي كانت أوقفهـا النـائب فرهاد على ست مقرية ، ولم يتم ذلـك ، وهي شرقي جـامع تنكز . / يفصل بينهما (ص ٩٦)
الطريق الآخذ إلى الخاتونية ، إلى جانب الشارع يوم الأربعاء خامس ذي القعـدة منها ، ثم بني عليه قبة ورتب مقرية واشتري لذلك وقف[1] .

[عيسى باك مرة ثانية]

ثم أعيـد إلى نيـابـة دمشق عيسى بـاك ودخلهـا يوم الخميس سلـخ محرم سنـة أربعين وتلقاه القاضي الكبير ونائب القلعة والأعيان .

---

(١) هذه التربة بقيت إلى عهدنا وكانت تستعمل مدرسة للأطفال وحينما أنشأ جمال بـاشـا شـارعـه المشهور باسمه سنـة (١٣٣٥ ـ ١٣٣٧) بقيت هـذه التربـة بـارزة على الطريق بـاعتبـارهـا أثراً تركياً ، وفي عهد الحكومة الفيصلية (١٣٣٨) أزيلت هـذه التربـة من الطريق وهـدمت دائرة الأوقاف بقيتها وحولتها إلى أبنية تجارية .

ووجـدت في تربـة الملـك الكامل شمالي الجـامع الأموي التي جعلتهـا دائرة الأوقـاف الإسلاميـة مستودعاً : شاهداً كتب عليه ما يلي :

(١) هذا قبر العبد

(٢) الفقير إلى الله

(٣) راجي رحمة مولاه لطفي باشا

(٤) تغمده الله برحمته توفي سنة أربعين وتسعمائة هجرية .

[خسرو باشا]

١١

وفي ثامن عشرين ذي القعدة منها وردت أولاقية بعزله وتولية نائب حلب خسرو عوضه ، وكان هذا النائب المنفصل كتب عرضاً بأن لاتؤخذ العشور من الأراضي بواسطة السقعة الحاصلة في شوال فلم يتم ذلك .

وكان تولية خسرو هذا في توجه السلطان إلى الشرق ، ثم عزل وما أتى دمشق ، ثم ولي مصر ، ثم أتاها منفصلاً متوجهاً إلى مصر .

[أحمد باشا]

١٢

وفي سلخ رجب سنة إحدى وأربعين وصل الخبر بتولية دمشق لأحمد باشا نائب قرمان أخو أياس باشا الوزير الأعظم ، وفي ثاني رمضان منه قدم دمشق وتلقاه القاضي الكبير والأكابر وكان قيل أنه أحمد بن يخشي الذي ولي دمشق في غيبة السلطان سليم لفتح مصر ، واستمر إلى أن توفي يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى سنة اثنين وأربعين وصلى عليه قدام باب دار السعادة أحد أبواب دمشق الشيخ عبد الصمد الحنفي مدرس العزية بالشرف الأعلى . ودفن في بيت قبلي زاوية الحفار تجاه الصابونية بشرق إلى القبلة ببيت اشتري له . ثم عمر عليه قبة معظمة وسبيل ماء ورتب له مقرية وبواب وغير ذلك[١] .

---

(١) هذه التربة قرب مخفر الشيخ حسن وهي تربة ذات جبهة جميلة ورغماً عن كونها بنيت في العهد العثماني فإن طرازها مملوكي مما يجعلها وحيدة في نوعها وتحت قبتها قبر له شاهدان . الشاهد الشرقي عليه سورة الإخلاص والشاهد الغربي كتب عليه مايلي :

١ ـ انتقل المرحوم أمير الأمراء العظام أحمد باشا

=

وأقيم نائب غيبته الأمير بابا خراسان ، وهو شيخ معتقد في الشيخي المحيوي ابن العربي .

[محمد كزل]

١٣

وفي ثاني عشر رجب منها وصل متسلم النائب الجديد واسم هذا النائب محمد كزل ، وفي تاسع عشرين دخل هذا النائب إلى دمشق ومعه عسكر جيد وتلقاه القاضي الكبير ونائب القلعة والأعيان .

وفي تاسع شعبان منها حُرق القاضي شمس الدين محمد بن سيف الدمشقي الحنفي نائب ابن الشحنة بمصر وابن يونس بدمشق كان وحسين البعلبكي البقسماطي تحت القلعة بعد أن ربط رقبتيهما ويديهما ورجليهما في خوازيق ثم ألقى عليهما القنب والبواري والحطب إلى أن صارا كوم رماد ، ثم ألقي في نهر بردى لأنه ثبت عليهما عند القاضي المندرج بالوفاة أنهما رافضيان .

وسئل الشيخ قطب الدين بن سلطان مفتي الحنفية عن قتلهما فقال : لا يجوز بل يستتابا .

[عيسى باك مرة ثالثة]

وفي سابع ذي القعدة منها وصل أولاقية[1] بعزل هذا النائب وإعطائه نيابة

= ٢ ـ أخو الوزير الأعظم أياس باشا يوم الخيس في رابع
٣ ـ عشر جادى الآخر سنة أحد وأربعين وتسعماية .
وما على الشاهد يختلف عما ورد في نص المؤلف والذي أرجحه هو نص المؤلف لاحتمال أن ما كتب على الشاهد كان عند إتمام البناء .

(١) الأولاقية بمعنى الرسل

سيواس[1] وإعادة عيسى باك إلى دمشق وأقام الأمين صوباشيا ضبط البلد . وفي خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وصل إلى دمشق نائبها عيسى باشا وتلقاه القاضي الكبير فمن دونه .



هذا آخر ما وجد في النسخة الفوتوغرافية المأخوذة عن خط المؤلف وتم نسخه يوم الثلاثاء (٢٣ رمضان سنة ١٣٥٢) وكتبه محمد أحمد دهمان .

(١) سيواس في الجهة الشرقية من الأناضول تبعد عن أنقرة ٣٧٢ كيلو متراً وعن صامصوم ٢٠٠ كم .

ملاحق إعلام الورى

الملحق الأول

يتضمن وصف موكب السلطان الغوري حين خروجه من القاهرة إلى دمشق وحلب لحرب السلطان سليم العثماني وصده عن دخول البلاد الشامية .

استخرج نصه من « بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن إياس » (٥ / ٣٨ ـ ٤٥) الطبعة الثانية تحقيق الأستاذ الكبير الدكتور محمد مصطفى .

[ربيع الآخر سنة ٩٢٢]

وفي يوم الجمعة رابع عشره نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى القرافة وزار قبر الإمام الشافعي والإمام الليث رضي الله عنهما ، وكان صحبته ولده أمير آخور كبير ، وقيل تصدّق في ذلك اليوم بمبلغ له جرم .

وفي ذلك اليوم برّز سنيح السلطان وتوجه إلى الريدانية ، وكذلك الأمراء خرج سنيحهم في ذلك اليوم .

فلما كان يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر خرج السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عزّ نصره قاصداً نحو البلاد الشامية والحلبية . وللناس مدّة طويلة لم يروا سلطاناً خرج إلى البلاد الشامية على هذا الوجه من حين توجّه الأشرف بُرسباي العلاي إلى آمد وذلك في سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، المدة نحو سبع وثمانين سنة .

فلما كان صبيحة يوم السبت المذكور اجتمع سائر الأمراء المقدّمين عند السلطان بالميدان وهم بالشاش والقماش ، فأخلع السلطان في ذلك اليوم متمّراً وأطلسين على الأمير أركماس من طُرابـاي أمير مجلس وقرّره في أمرية السلاح ، وكانت شاغرة من حين قرّر الأمير سودون العجمي في الأتابكية ، فكان عدّة الأمراء المقدّمين الذين تعيّنوا للسفر صحبة الركاب الشريف وهم خمسة عشر أميراً .

منهم أرباب وظائف خمسة وهم :

المقرّ الأتابكي سودون من جاني بك الشهير بالعجمي والمقرّ السيفي أركماس أمير السلاح والمقرّ الناصري محمد نجل المقام الشريف أمير آخور كبير والمقرّ السيفي

سودون الدواداري رأس نوبة النوب والمقرّ السيفي أنصباي من مصطفى حاجب الحجاب .

وأما الأمراء المقدمون الذين بغير وظائف وهم :

قانصوه بن سلطان جركس وتمر الحسني الشهير بالزردكاش والأمير علان من قراجا الدوادار الثاني أحد المقدمين والأمير قانصوه كُرت والأمير جان بلاط الشهير بالموتر[1] والأمير تاني بك الشهير بالخازندار والأمير بيبرس قريب السلطان والأمير أبرك الأشرفي والأمير أقباي الطويل أمير آخور ثاني أحد المقدمين والأمير كُرتباي الأشرفي الذي كان والي القاهرة أحد المقدمين .

وأما الأمراء الطبلخانات من أرباب الوظائف منهم :

الأمير يوسف الناصري شاد الشراب خاناه والأمير مَغلباي الشريفي الزردكاش الكبير والأمير قنبك من يخشباي رأس نوبة ثاني والأمير طومان باي قرا حاجب ثاني وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات .

وأما الأمراء العشرات فعيّن منهم السلطان جماعة كثيرة يخرجون للسفر صحبة الركاب الشريف .

وأما الأمراء الذين تخلّفوا[2] بالقاهرة وهم :

المقرّ السيفي طومان باي أمير دوادار كبير ابن أخي السلطان وقد تعيّن أن يكون نائب الغيبة عن السلطان إلى أن يحضر ، والأمير طُقطباي نائب القلعة أحد المقدمين والأمير أرزمك الشهير بالناشف والأمير تاني بك النجمي أحد المقدمين وكان قرّر أمير الحاج بركب المحمل والأمير أزبك الشهير بالمكحل أحد

(١) بالموتر : بالمؤثر .

(٢) في الأصل تخلقوا .

المقدمين والأمير قانصوه الشهير بأبي سنّة أحد المقدمين والأمير قانصوه الفاجر أحد المقدمين والأمير يخشباي أحد المقدمين وكان توجه إلى الفيوم بسبب عمارة الجسر الذي هناك والأمير خاير بك المعمار أحد المقدمين وكان مقيماً بثغر رشيد بسبب عمارة الأبراج التي[1] هناك والصور والأمير خُدابردي نائب الاسكندرية أحد المقدمين وكان مقيماً بها والأمير قانصوه الشهير بروح لو أحد المقدمين نائب قطيا وكان مقيماً بها .

فلما أشرقت شمس يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر المقدم ذكره انسحبت أطلاب الأمراء المقدمين الذين توجهوا صحبة الركاب الشريف ، فكان أولهم طَلَب الأمير كُرتباي أحد المقدمين وهو الذي كان والي القاهرة ، ثم طَلَب الأمير أقباي الطويل أمير آخور ثاني أحد المقدمين ، وبعده طَلَب الأمير تاني بك الخازندار ، وبعده طَلَب الأمير علان من قراجا الدوادار الثاني أحد المقدمين ، وبعده طَلَب الأمير أبرك الأشرفي أحد المقدّمين ، وبعده طَلَب الأمير بيبرس قريب السلطان ، وبعده طَلَب الأمير جان بلاط الشهير بالموتر ، وبعده طَلَب الأمير قانصوه كُرت ، وبعده طَلَب الأمير تمر الحسني الشهير بالزردكاش ، وبعده طَلَب الأمير قاسوه بن سلطان جركس ، وبعده طَلَب الأمير أنصباي من مصطفى حاجب الحجاب ، وبعده طَلَب الأمير سودون عُرف بالدواداري رأس نوبة النوب ، وبعده طَلَب المقرّ الناصري محمد نجل المقام الشريف أمير آخور كبير ، وبعده طَلَب الأمير أركاس من طُراباي أمير مجلس وقد قُرّر في ذلك اليوم أمير السلاح ، ثم من بعد ذلك مشى طَلَب الأتابكي سودون من جاني بك الشهير بالعجمي وكان طَلَبه غاية في الحسن .

فلما انقضى أمر الأطلاب خرج السلطان من باب الاسطبل الذي عند سلّم

---

(١) التي : الذي .

المدرج ، فخرج وقدامه النفير السلطاني المسمى بالبرغشي ، وهو في موكب عظيم قلّ أن يبقى يتفق لسلطان أن يقع له موكب مثل ذلك الموكب . فكان أول الموكب الأفيال الثلاثة وهي مزينة بالصناجق ، ثم ترادف العسكر المنصور بالشاش والقماش ، ثم الأمراء الرؤوس النوب بالعصيّ يفسّحون الناس ، ثم ترادفت الأمراء الطبلخانات والأمراء العشرات قاطبة .

ثم أرباب الوظائف من المباشرين منهم :

المقرّ القضوي محبّ الدين محمود بن أجا الحلبي كاتب السر الشريف والقاضي ناظر الجيش محيي الدين عبد القادر القصروي والقاضي ناظر الخاص علاي الدين بن الإمام والقاضي شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرّ ومستوفي ديوان الإنشاء الشريف والقاضي شرف الدين الصّغير ناظر الدولة الشريفة وكاتب العساكر المنصورة والقاضي بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفة واستادار الذخيرة والشرفي يونس النابلسي كاتب جيش الشام واستادار العالية كان والقاضي أبو البقا ناظر الاسطبلات الشريفة وأولاد الجيعان كُتّاب الخزائن الشريفة وأولاد الملكي كُتّاب[1] استيفاء الجيش وكُتّاب الزردخاناه وغير ذلك من أرباب الوظائف من المباشرين والشرفي يونس نقيب الجيوش المنصورة .

وكان حاضراً هذا الموكب السادات الأشراف أخوة[2] الشريف بركات أمير مكة فكانوا قدام الأمراء المقدمين ثم تقدمت الأمراء المقدمون قاطبة وصحبتهم ولد السلطان المقرّ الناصري أمير آخور كبير وإلى جانبه الأتابكي سودون العجمي .

---

(١) وكتاب : كتاب .

(٢) أخوة : أخواة .

ثم بعد ذلك تقدمت السادة القضاة الأربعة مشايخ الإسلام وهم :

قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاة الحنفي حسام الدين محمود بن شحنة وقاضي القضاة المالكي محي الدين يحي بن الدميري وقاضي القضاة الحنبلي شهاب الدين أحمد الفتوحي الشهير بابن النجار .

ثم من بعدهم أتى أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب العباسي وهو لابس العمامة البغدادية التي بالعذبتين وعليه قبا بعلبكي بطُرز حرير أسود ، ولم يكن على رأسه صنجق خليفتي ، وقد اختصر هذا الخليفة أشياء كثيرة مما كان يُعمل للخلفاء المتقدمين من أقاربه .

ثم مشت الجنايب السلطانية فكان قدامه طوالتان خيل بعراقي وسروج بغواشي حرير أصفر ، وطبول بازات ، وطوالتان خيل بكنابيش وسروج ذهب ومياتر زركش ، وبعضهم بسروج بلور مزيك بذهب ، وشيء عقيق مزيك بمينة ، وقد تقدم أمر الطلب بما شُرح من وصفه قبل ذلك .

ثم تقدمت جماعة من الرؤوس نوب مشاة والشاويشية والطبردارية مشاة قدامه بالأطبار ، ولم يكن قدامه الأوزان ولا شبابة سلطانية كما هي عادة السلاطين في المواكب .

ثم مشت البُقج والمجامع بالأغطية الحرير الأصفر ومشى البخوري بالمبخرة .

ثم أقبل السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عزّ نصره .

وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة ، وكان السلطان راكباً على فرس أشقر عالي بسرج ذهب وكنبوش ، وعلى رأسه كلفتاة ، وهو لابس قبا بعلبكي أبيض بطرز ذهب على حرير أسود عريض ، قيل فيه خمسمائة مثقال ذهب

بنادقة ، وكان ذلك اليوم في غاية الأبّهة والعظمة فإنه كان حسن الهيئة تملأ منه العيون مبجلاً في المواكب .

ثم أقبل الصنجق السلطاني على رأسه ، وخلفه مقدم المماليك سُنبل العثماني وصحبته السلحدارية بالشاش والقماش والجمّ الغفير من الخاصكية والجمدارية ، فدخل من بابي زويلة وشقّ من القاهرة في ذلك الموكب الحافل ، فارتجت له القاهرة في ذلك اليوم ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من العوام وغيرهم ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، فاستمرّ في ذلك الموكب حتى خرج من باب النصر ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم وصل إلى المخيم الشريف بالريدانية .

ثم في عقيب ذلك اليوم نزل حوايج خاناه فيها مال ما بين ذهب وفضة ، قيل إن ضمنها من الذهب ألف ألف دينار خارجاً عن المعادن ، وقد فرّغ الخزائن من الأموال التي جمعها من أوائل سلطنته إلى أن خرج في هذه التجريدة ، وفرّغ أيضاً حواصل الذخيرة عن آخرها ، وأخذ مافيها من التحف وآلات السلاح الفاخرة مما كان بها من ذخائر الملوك السالفة ، من سروج ذهب وبلّور وعقيق وكنابيش زركش وطبول بازات بلّور ومينة وبركستوانات مكفتة وأكوار زركش وغير ذلك من التحف الملوكية .

فنزل جماعة من كُتّاب الخزانة صحبة الحوايج خاناه وجماعة من الخزندارية وهم بالشاش والقماش ، فكانت تلك الحوايج خاناه محمّلة على خمسين جملاً .

قيل[1] إن جميع هذه الأموال أودعها الغوري بقلعة حلب ، فلما جاء ابن عثمان وضع يده على ذلك المال جميعه كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه .

ثم نزلت الزردخاناه وهي محمّلة على مائة جمل ، وقدامها طبلان وزمران وعيدان نفر على جمال ، فتوجهوا إلى الوطاق .

---

(١) قيل - موضعه : كتبها المؤلف في الأصل على الهامش .

وفي يوم الأحد سادس عشره أرسل السلطان نادى للعسكر في القاهرة بأن السلطان يرحل من الريدانية يوم الجمعة عشرينه ، فلا يتأخّر من العسكر الذي تعيّن للسفر أحد ولا يحتجّ بحُجّة ولا عُذر .

فلما أقام السلطان في الوطاق تعيّن من نواب السادة القضاة جماعة يسافرون صحبة الركاب الشريف . وسافر صحبته الأشراف إخوة الشريف بركات أمير مكة .

فمن نواب الشافعية الشيخ زين العابدين نجل قاضي القضاة كمال الدين والقاضي شمس الدين بن وُحيش والقاضي شمس الدين التفهني إمام الأمير أركماس أمير سلاح والقاضي زين الدين الظاهري ، فجملة ذلك أربعة من نواب الشافعية . وتعيّن من مشايخ العلم من الشافعية الشيخ جمال الدين الصاني مفتي المسلمين والشيخ صلاح الدين القليوبي قارئ الحديث الشريف .

وأما نواب السادة الحنفية فمنهم أربعة :

الشيخ شمس الدين السيد الشريف البُرديني والقاضي زين الدين الشارنقاشي والقاضي شرف الدين البلقيني والقاضي غرس الدين خليل .

وأما نواب السادة المالكية فمنهم :

القاضي شمس الدين المَدْيَني والقاضي مُعين الدين بن يعقوب .

وأما نواب السادة الحنابلة فمنهم :

القاضي شهاب الدين الهيتمي والقاضي شمس الدين الطرابلسي .

وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من مشايخ الحقيقة فمنهم :

السادة الأشراف القادرية وخليفة سيّدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه ومنهم الشيخ محمد بن كشك وخليفة سيّدي أحمد البدوي رضي الله عنه والشيخ عفيف الدين بن شيخ مشهد السيّدة نفيسة رضي الله عنها .

وأما من توجه صحبة الركاب الشريف من أئمة السلطان فمنهم :

قاضي القضاة الحنفي كان شمس الدين السمديسي والشيخ شهاب الدين بن الرومي .

وأما من توجه من مشايخ القراء صحبة السلطان فمنهم :

شمس الدين بن الظريف والرومي والخواص وحسن الطنتتاي وابن القاضي خليل وأبو الفضل الفار وابنا عثمان الاثنان .

وأما المؤذّنون فمنهم :

نور الدين الخواص ونور الدين الحسني وجلال وناصر الدين .

وأما من توجه صحبة السلطان من الموقّعين :

القاضي رضي الدين الحلبي وعمر بن مُعين الدين وعلم الدين العباسي ومحب الدين الظاهري وشمس الدين الجيزي وسعد الدين بن الرومي .

وأما من توجه صحبة السلطان من كُتّاب الخزانة :

القاضي كريم الدين عبد الكريم بن الجيعان أخو الشهابي أحمد وشمس الدين محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيعان ، وقد تقدم ذكرهم عند خروج السلطان وغير ذلك .

وأما كُتّاب الزردخاناه :

القاضي زين [الدين] بن عبد الباسط والقاضي عبد الكريم بن اللاذقي وغير ذلك من المباشرين .

وأما من توجه صحبة السلطان من الأطباء :

محمد بن الريس شمس الدين القوصوني وهو رأس الأطباء الآن وصحبته جماعة من الأطباء .

ومن الكحالين :

عبد الرحمن بن الشُرّيف ومحمد بن العفيف وآخرين من الكحالين .

ومن المزيّنين :

عبد القادر المرشدي وآخرين من الجرايحية .

وأما من توجه صحبة السلطان من مغاني الدكة :

نور الدين المحوجب وأحمد الأسمر بن أبي سنّة وأحمد المحلاوي .

وتوجه صحبة السلطان جماعة كثيرة من البنايين والنجارين والحدادين كما جرت به العوايد القديمة عند خروج السلاطين إلى التجاريد . وسافر صحبته شيخ المشايخ المسمى بسلطان الحرافيش[1] وجنده وصنجقه وطبله فكان قدام طُلب السلطان لما دخل إلى دمشق وحلب .

---

(١) في خطط الشام جـ ٤ ص ٢٥٠ نقلاً عن ابن جماعة ما يلي : ويسمى شيخ الحِرف بسلطان الحرافيش ، ثم كني عنه احتشاماً بشيخ مشايخ الحرف والصنائع . (دهمان)

فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر رحل من المخيم الشريف ثلاثة من الأمراء المقدّمين وهم : الأمير كرتباي الأشرفي الذي كان والي القاهرة وبقي مقدم ألف وكان جملة ما معه من مماليكه أربعين مملوكاً ، والأمير أبرك الأشرفي وكان جملة ما معه من مماليكه خمسة وأربعين مملوكا ، والأمير بيبرس قريب السلطان وكان جملة ما معه من مماليكه أربعة وأربعين مملوكا .

ثم في يوم الأربعاء تاسع عشره رحل من الأمراء المقدمين ثلاثة وهم : الأمير تاني بك الخازندار وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين وخمسين مملوكا ، والأمير قانصوه كُرت وكان جملة ما معه من مماليكه اثنين وستين مملوكا ، والأمير قانصوه بن سلطان جركس وكان جملة ما معه من مماليكه سبعين مملوكا .

وفي يوم الخميس عشرينه رحل من الأمراء المقدّمين ثلاثة وهم : الأمير علان وكان جملة ما معه من مماليكه ستة وسبعين مملوكا ، والأمير جان بلاط الموتر[1] وكان جملة ما معه من مماليكه ستة وثلاثين مملوكا ، والأمير تمر الزردكاش وكان جملة ما معه من المماليك اثنين وسبعين مملوكا .

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه رحل من الأمراء المقدّمين من أرباب الوظائف ثلاثة وهم : الأمير أنصباي حاجب الحجاب وكان جملة ما معه من مماليكه أربعين مملوكا ، والأمير سودون الدواداري رأس[2] نوبة النوب وكان جملة ما معه من مماليكه أربعة وستين مملوكا ، والأمير أركماس أمير السلاح وكان جملة ما معه من مماليكه[3] سبعة وستين مملوكا .

وأما الأتابكي سودون العجمي هو والمقرّ الناصري ولد السلطان أمير آخور كبير والأمير أقباي الطويل أمير آخور ثاني فإنهم ما يرحلون إلا في ركاب

(١) الموتر : الموثر .

(٢) رأس : راص .

(٣) مماليكه : المماليكه .

السلطان ، فكان جملة ما مع الأتابكي سودون من مماليكه مائة خمسة وثلاثين مملوكا ، وولد السلطان عشرين مملوكا كتابية صغار للخدمة ، وكان جملة ما مع الأمير أقباي الطويل من مماليكه خمسة وأربعين مملوكا ، فكان مجموع مماليك الأمراء المقدّمين الذين توجهوا صحبة السلطان تسعمائة أربعة وأربعين مملوكا على ما قيل .

ويقال إن عدّة المماليك السلطانية الذين[1] خرجوا في هذه التجريدة من قرانصة وجلبان وأولاد ناس خمسة آلاف نفر على ماقيل ، والله أعلم .

وقيل تأخر بالقاهرة من المماليك القرانصة والشيوخ العواجز والمماليك الجلبان في الطباق بالقلعة وأولاد الناس نحو ألفي نفر على ما قيل .

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه رحل من الريدانية الأتابكي سودون العجمي هو ومماليكه وتأخّر ابن السلطان والأمير أقباي الطويل أمير آخور ثاني ، وأشيع أنهما يرحلان صحبة السلطان .

(١) الذين : الذي .

الملحق الثاني

يتضمن وصف دخول السلطان الغوري دمشق ، ووصف وصول السلطان سليم الى دمشق بعد هزيمة الغوري استخرجناه من كتاب « مفاكهة الخلان في نوازل الزمان » لمحمد بن طولون . تحقيق الاستاذ الدكتور محمد مصطفى

وقد اضفنا اليه التعليقات والحواشي اللازمة والى جانبها اشارة × تمييزاً لها عن حواشي الاستاذ محمد مصطفى محقق الكتاب .

[دخول السلطان الغوري الشام]

وفي عشيّة يوم الثلاثاء سادس عشره وصل مخيم السلطان إلى قبّة يلبغا خارج دمشق . ـ وفي بكرة يوم الأربعاء وصل السلطان ونزل بمخيمه بالقبّة المذكورة والنائب بها ؛ ثم جاء جميع الأمراء من المصطبة وغيرها وحضروا السماط ؛ ثم خلع السلطان على النائب وعلى سبعة أخر[1] معه : ثم دخلوا دمشق في أبهة ، واستمرّ السلطان بالقبّة ، وهرعت أكابر البلد ، من الأمراء والقضاة والمشايخ وغيرهم ، إلى السلام عليه وعلى جماعته .

وفي بكرة يوم الخميس ثامن عشرة ، وهو تاسع عشر حزيران ، وثامن برج السرطان ، دخل السلطان من قبّة يلبغا إلى دمشق ، مارًّا إلى المصطبة ، عند القابون الفوقاني ، خارج دمشق من جهة الشرق ، في موكب عظيم لم يشاهد مثله .

عن يمينه ملك الأمراء[2] حاملا القبّة[3] على رأس السلطان ، وهي شبه رأس سنر ، وظاهرها حرير أصفر ، وفي أعلاها هلال من ذهب .

---

(١) أخر · أخرى .

(٢) هذا التعبير يطلق على كل من يتولى نيابة دمشق .

(٣) القبة هي ما سميها في عصرنا المظلة أو الشمسية تماماً غير أنها تكون أكبر منها بنحو ثلاث مرات قماشها من الحرير المزركش والمموه بخيوط من الذهب والفضة وكانت من خصائص السلاطين فلا يحق لأحد استعمالها في المواكب غير السلطان .

والغاشية[1] ؛ قال شيخنا النعيمي : قدامه قصيرة ماسكها[2] بيده[3] ، وهو مستور بها لا يرى ، وأما [يسار] السلطان فخال .

وعن يمين النائب ، أمير كبير سودون العجمي ، وعن يمينه أمير سلاح أركماس ، ثم أمير مجلس قصدهم[4] ، فعدّتهم خمسة ؛ وخلفهم الصنجق السلطاني في ذهب مزركش ، ثم من خلفه المماليك .

وقدّام السلطان الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المستمسك بالله أبي الصبر يعقوب الهاشمي العباسي ؛ ثم القضاة الأربعة المصريين : الكمال الطويل الشافعي ، وحسام الدين[5] محمود بن التحنة الحنفي ، والمحيوي يحي الدميري المالكي ، والشهاب أحمد بن النجار الحنبلي ؛ ونوّابهم وعدّتهم أربعة عشر ، وهم ستة للشافعي : الشيخ جمال الدين الصاني ، وصلاح الدين القليوبي قارئ الحديث بقلعة الجبل بالقاهرة ، وزين العابدين ، والشيخ زين الدين الظاهري مباشر أوقاف الحرمين ، والشيخ شمس الدين بن وحيش ، والشيخ شمس الدين البتنوني ؛ وأربعة للحنفي : الشيخ شرف الدين البلقيني المحدث ، والشيخ غرس

---

(١) هي غاشية سرج تتخذ من أديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصوعة من الذهب تحمل بين يدي السلطان في المواكب الحفلة كالميدان بمصر ، والاعياد وتجريد السلطان من فتح بلاد أو النصرة على عدو . وتحملها المهاترة على أيديهم تلفتها يميناً وشمالاً من حين تمرش له شقق الحرير الى حين نزوله بمكانه .

(٢) الضمير عائد الى القبة .

(٣) أي الغاشية ، وفي القرآن الكريم ﴿ هل أتـٰك حديث الغاشية ... ﴾ .

(٤) قصدهم : كذا في الأصل . ولعله يعني أن هذا المكان مخصص لأمير مجلس الذي يقصدونه . وقد كانت وظيفة أمير مجلس شاغرة في هذا الوقت ، لم يعين فيها أحد بعد نقل الأمير أركماس إلى وظيفة أمير سلاح في ١٥ ربيع الآخر سنة ٩٢٢ . انظر : ابن إياس ج ٤ ص ٣٨ .

(٥) وحسام الدين : ولسان الدين .

الدين المقرئ ، والشريف البرديني ، والشيخ زين الدين الشارنقاشي : واثنان للمالكي : الشيخ معين الدين بن يعقوب ، والشيخ شمس الدين المديني : وأربعة للحنبلي : الشيخ شهاب الدين الهيثمي ، والشيخ شمس الدين الطرابلسي الشيبي ، والشيخ شهاب الدين القدسي ، والقاضي عز الدين سبط العز الحنبلي ، كذا أملاني عدّتهم أخونا في الله المؤرخ جار الله بن فهد[1] .

ثم قدّامهم القضاة الأربعة الشاميين ، الولوي بن الفرفور ، والمحيوي بن يونس ، وخير الدين المالكي ، وشرف الدين بن مفلح : وبعض نوّابهم .

ثم أمير آخور كبير الناصري محمد بن السلطان ، وقدّامه رأس نوبة كبير سودون الدواداري ، وحاجب الحجاب أنسباي ، ودوادار ثاني علان ، وأمير آخور ثاني آقباي ، وثاني بك الخازندار ، وتمر الزردكاش ، وقانصوه كرت ، وقانصوه بن سلطان جركس ، ويعرف باللوقة ، وبيبرس ابن عم السلطان . وجان بلاط[2] الموتر ، المعروف بأبي ترسين ، وجاني بك الأبح .

وفي بعض المواضع تقدّم الأمير الكبير سودون العجمي إلى قدّام القضاة ، وعن يمينه أمير آخور كبير الناصري محمد بن السلطان ، وعن يساره أمير سلاح أركماس ، وقدّامهم رأس نوبة كبير سودون الدواداري ، والمعطوفون عليه ، وعدّتهم أربعة عشر ، كذا أملاني إياهم أحد المقربين عند السلطان : السمرقندي ، وذكر لي أن عدّتهم ستة عشر ، وأنه تقدم كرتباي وأبرك تمّتهم ، وتأخّر من المقدّمين بالقاهرة وأعمالها ثمانية .

ثم أمراء الشام ، ثم كاتب الأسرار الشريفة المقرّ المحبي محمود بن أجا الحنفي ، وقدّامه ناظر الجيش القصروي ، وناظر الخاص ابن الإمام ، ومباشر ديوان الجيش

---

(١) ابن فهد ، يقول الغزي في الكواكب السائرة ح ٢ ص ١٣١ إن جار الله بن فهد كان صاحباً لابن طولون ورفيقاً له في الأخذ عن جماعة من الشيوخ .

(٢) وجان بلاط : وجاني بلاط .

ابن الشيرجي ، ونائب كاتب السرّ أحمد بن الجيعان ؛ وبقية المباشرين ، وقدّامهم التاجي بن الديوان ، أمير التركمان بالشام ، وديوان القلعة المنصورة بها ؛ وبقيّة المباشرين الشاميين ، وقدامهم خُزّان المال ، وعدّتهم ستة .

وقدّامهم خلفاء الصوفية وعدّتهم سبعة ، وهم : السيد يحي بن علي الرفاعي ، والسيد محمد بن سالم الأحمدي ، والسيد محمد بن زين العابدين القادري ، والسيد محمد الأدهمي ، والسيد محمد البسطامي ، والسيد محمد الدسوقي ، وخليفة الست نفيسة .

وقدّامهم أولاد محمد بن بركات صاحب مكة المشرفة ، وهما : السيد راجح ، والسيد قاسم ، ولدا محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي سعد محمد بن أبي عزيز قتادة الحسني ؛ وابنا أخيهما السيد هزاع ، وهما السيدان محارم ، وزاير ، وابن أخيهما أيضا السيد شرف الدين رميح ، وابن قريبهم الشريف أبو سعد بن رميثة بن بركات ، وجماعتهم .

وقدّامهم محفّتان على بغال ، إحداهما للسلطان ، والثانية لابنه ؛ وقدّامهم من الخيل المجنونة مائة ، فمنها خمسون بجلال صفر من أطلس ، ومنها ثلاثون بلبوس مذهّبة ، ومنها عشرة بكنابيش ذهب مرصعة باللآلئ وغيرها ، ومنها عشرة من خواص الخيل غير ملبسة .

وقدّامهم مائة هجين بأكوار مزركشة ، منها خمسون على أحمر ، وباقيها مغرق ، مكتوب على غالبها اسم السلطان ، وعلى بعضها طومان باي ، وعلى بعضها قايتباي .

وقدّامهم كرسي الملك محمل على بغل ، وهو مرصع بالدر والجوهر والبلخش وغير ذلك ؛ وقدّامه ثلاثة أبغال للشربدارية ، راكب في وسطها ثلاثة أولاد صغار ، عمّالين في الإنشاد ، لم نسمع أطرب منهم ، وهم سائرون .

.وقدّامهم أربعة أنفس راكبين ، وخلف كل واحد منهم فهد ؛ وقدامهم أحمال الضوية ؛ وقدامهم البارودية ، وقدامهم الطبل والزمر ، وقدامهم السبق ، إلى غير ذلك مما يطول تعداده ، وكان يوما مشهودا .

ولما مرّ السلطان على باب النصر ، الذي في رأس القبيبات[١] ، نثر عليه صدقة اليهودي ، معلم دار الضرب بدمشق ، دراهم وأشرفية اصطنعها لذلك ، خفيفة ، ويقال إنها ألفا درهم ، فاقتتلت الناس على نهبها ، فأمره السلطان بالكفّ[٢] عن ذلك .

ولما جاء إلى محلة ميدان الحصى[٣] ، لاقته الإفرنج المستأمنين هناك ، ومعهم قنصلهم ، وفرشوا له قطعا من الجوخ ، ونثروا عليه دراهم وقبارصة ؛ ويقال إنها مائتا دينار ، فاقتتل الناس أيضا على نهبها ، فأمرهم السلطان بالكفّ عن ذلك ، وقطع جماعته الجوخ وتناهبوه ؛ ولما جاء إلى حارة السمرة[٤] ؛ نثروا عليه خمسمائة درهم .

ولما نزل بالمصطبة[٥] قدّم له النائب ضيافة عظيمة ، فأكلها ، وخلع عليه

---

(١) القبيبات هي حي الميدان الفوقاني حول جامع الدقاق وانظر ص (٤٤) .

(٢) في تاريخ ابن اياس (٥٣/٥) ما يلي . نثر على رأسه بعض تجار الافرنج الذي هناك ذهباً وفضة وفرش له سيباي نائب الشام تحت حافر فرسه الشقق الحرير فتزاحمت عليه المماليك بسبب نثار الذهب والفضة فكاد السلطان أن يسقط عن ظهر فرسه من شدة اردحام الناس فسعهم من نثار الذهب والفضة ومن فرش الشقق تحت حافر فرسه .

(٣) ميدان الحصى هو حي الميدان التحتاني حول جامع باب المصلى .

(٤) كان لليهود السامريين حي في دمشق في طرف قرية جوبر وقرب جسر ثورى الذي كان يقع على طريق دوما يسميهم المؤلف السمرا ، ويسميهم ابن اياس السمرة ، وقد انقرضوا منذ أكثر من مائتي عام

(٥) أي مصطبة السلطان راجع ص (٦٥) .

خلعة عظيمة . مزركشة على أخضر ، بأكمام مذهّبة يلبغاوية ، فعـاد بها إلى منزلـه دار السعادة ، ومعه غالب الأمراء في موكب عظيم ، وكمل له بهذه الخلعة عدة ستة وثلاثين خلعة ، من أول كفالته إلى الآن .

ثم بلغني أن الغاشية ، أوّل ركوب السلطان ، كان حاملها سودون العجمي ، الأمير الكبير ، إلى أول عمائر دمشق ؛ فقيل لهم إنما العادة يحملها نائب الشـام ، كما فعل مع برسبـاي الأشرف ، حملهـا عليـه جراقطلي نـائب الشـام ، في يوم الاثنين خامس عشر شعبان سنة ست وثلاثين وثمانمائـة ، من القبّـة[1] إلى المصطبـة ، فلمـا سمعوا ذلك ، حملها النـائب سيبـاي نـائب الشـام حينئـذ ؛ ثم خلع السلطـان على الأمراء السبعة ، كما فعل بالأمس ، مع السبعة الأخر ، فالجملة أربعة عشر أميرا .

وفي يوم الجمعة تاسع عشره خطب بـالجـامع الأموي قـاضي قضـاة الشـافعيـة المصري ، وصلّى خلفه رفاقته الثلاثة ، ثم صلّى بالناس الجمعة ، وكبّر خلفه مؤذّنو السلطان ، ولما فرغوا من التسبيح عقيب الصلاة أنشد الصبيـان ، الـذين كانوا مع السلطان ، واجتمع الناس عليهم حتى كادوا يقتتلون .

ثم حطوا ، فدعا القضاة الأربعة المصرية أخانا المحبّ جار الله بن فهد المكي ، فقرأ عليهم المسلسل بـالأوليـة[2] ، ثم ثلاثيـات الصحيـح[3] ، وحضر ذلـك القضـاة الأ [ربعة][4] ونواب القضاة الثمانية ، وخلائق ؛ وجلس القاضي الشـافعي المصري في المحراب بـالمقصورة ، وعن يمينـه الحنبلي المصري ، وتحتـه الحنفي الشـامي وعن

---

(١) قبة يلبغا وتسمى قبة النصر راجع ص (٦٥) التعليقة رقم (١) .

(٢) الحديث المسلسل بالاولية هو : عن عبـد الله بن عمرو بن العـاص قـال قـال رسول الله ﷺ : الراحمون يرحمهم الله . ارحمو من في الأرض يرحمكم من في السماء .

(٣) المراد بالصحيح صحيح البخـاري والثلاثيـات هي الأحـاديث التي يتـألف اسنـادهـا من ثلاثـة اشخاص

(٤) ما بين القوسين تمزق في الأصل .

يساره ...[١] ، وتحته الحنفي المصري ، ثم الشافعي الشامي ، ثم المالكي ، ثم الحنبلي الشاميين .

وسبب هذا المجلس ما حكيتُه لأخينا المحبّ المذكور ، من إملاء الحديث المسلسل بالأولية من حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل بن حجر ، قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية ، تجاه محراب الحنفية بالجامع المذكور ، لما نزل صحبة الملك الأشرف [برسباي][٢] ، وكان مع رفاقته الثلاثة : قاضي الحنفية بها البدر العيني ، وقاضي المالكية الشمس البساطي ، وقاضي الحنابلة الزين بن نصر الله ، فذكر لهم ذلك فأرادوا مضاهاة ذلك .

وفي ليلة السبت عشريه دخل من مصر إلى دمشق ، المعزول من حسبة مصر ، لظلمه بعد خروج السلطان منها ، الأمير ماماي الصغير ، فإن دوادار السلطان بمصر أرسل عرّف السلطان بظلمه ، فأرسل عزله ، وأمره أن يتجهّز خلفه ، وأن يولّى الدوادار في الحسبة من أراد ؛ فامتثل ذلك ولحق السلطان ليلتئذ .

وفي يوم السبت المذكور ذهبتُ في جماعة إلى مخيم السلطان بالصفّة عند القابون الفوقاني ، فاجتمعتُ بالخليفة وقرأتُ عليه المسلسل بالأولية ، ثم سمعتُه عليه ، ثم قرأتُ عليه ثلاثيات البخاري ، ثم توجّهتُ من عنده إلى القاضي الشافعي ، فقرأتُها عليه أيضاً ، بعد أن سمعتُ منه المسلسل بالأولية ، ثم توجّهتُ إلى عند القاضي الحنفي فقرأتُ عليه المسلسل بالحنفية ، وسمعتُه عليه ، ثم توجّهتُ إلى عند القاضي المالكي ، فقرأتُ عليه جزء الثلاثين حديثا المنتقاة من صحيح مسلم ، ثم توجّهتُ إلى عند القاضي الحنبلي ، فقرأتُ عليه المائة حديث المنتقاة من

---

(١) تمزق في الأصل .

(٢) ما بين القوسين تمزق في الأصل .

ثلاثيات مسند أنس والمسلسل بالمصريين ، وكان صحبتي أخونا[1] المحبّ جار الله بن فهد ، ومعه الشمسي محمد بن الأكرم ، وقصدتُ بهذه القراءة تحرير ما عندهم من أحاسن المرْوِيّات ، فإن بالأمس لما قرأ على القضاة الأربعة المصريين ، بمقصورة الجامع الأموي ، أخونا جار الله المذكور ، المسلسل بالأولية ، ثم ثلاثيات الصحيح ، ربح سوق أسانيدهم إليها .

وفي يوم الأحد حادي عشريه أرسل النائب تقدمة للسلطان ، عدّة أربعة عشر صدرا ، على رأس كل رجل صدر مغطّى بلون من الألوان ، في أربعة صدورة خمسون ألف درهم فضة ، وفي بقية الصدورة قماش مفتخر ، وخلف هذه الصدورة عدّة عشرة من مماليكه الخاص الكتابية الحسان ، وخلفهم عدّة عشرة من الخيول الخاص ، وأمير آخور الكبير تنم ، وخازنداره خشقدم ، والمقدّم ناصر الدين بن الحنش .

وفي هذا اليوم قدّم المقدّم ناصر الدين المذكور للسلطان ، تقدمة أخرى كثيرة من المال ، قيل ألف دينار ، ومن الخيل ، ومن الغنم ، ومن الجمال ، ومن البقر ، ومن الأوز ، ومن الدجاج ، ومن الزيت ، ومن العسل ، ومن الأرز ، ومن الدبس ، ومن السمن ، وغير ذلك .

وفيه أمر السلطان بالمصطبة بإشهار النداء بالأمان والاطمان ، وأن لا أذى ولا عدوان ، وأن لا يحمل أحد من العوام سلاحا .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه ذهبتُ في جماعة إلى مخيم السلطان بالمصطبة ، فاجتمعتُ بكاتب السرّ ابن أجا ، وقرأتُ عليه المسلسل بالأولية والمسلسل بالدعاء في الملتزم المخرجين ، في كتابه : تحقيق الرجا لعلوّ المقر المحبّى ابن أجا ، تخريج أخينا في الله المحدث جار الله بن فهد المكي بحضوره ، ثم اجتمعتُ ببقيّة المباشرين

---

(١) أخونا : أخانا .

المصريين ، فرأيتُ أمثلهم نـاظر الخـواص الشريفـة ابن الإمـام ، بسبب حبّـه للفقراء ، وحنوه على طلبة العلم .

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه رحل السلطان من الصفّة ، وهدّت الزينة من البلد ، وتوجّه معه في الترسيم المحبّى نـاظر الجيش بـدمشق ، ونـاظر القلعـة بهـا ، وما مع ذلك ، بعد أن كان وقع بينه وبين أمير سلاح أركماس مرافعة عظيمـة بسبب دين له عليـه ، وأراد أمير سلاح أن يشتريـه من السلطـان بخمسين ألف دينـار ، فالتزم للسلطان بغالبها .

وكذلك توجّه معه في الترسيم[1] مباشر القلعة الـدمشقيـة الصفـدي ، ويوسف السامري ديوانها ، والتيمي شاهدهـا ، ليعملوا حسـابهـا ؛ وكـذلـك ذهب معـه في الترسيم أيضا المحبى بن الخيضري ناظر الجوالي ، بسبب مال متأخّر عليه منها .

ولم يفرج السلطان في مدّة إقـامتـه بهـذه المصطبـة عن أحـد كربـة ، وكلمـا رفعت إليه قصّة يؤخرّها حتى يرجع ، وقد ذهبتُ مع جمـاعـة مـدرسـة الشيخ أبي عمر بصالحية دمشق ليشكوا له حالهم في قمح داريـا ، والمـال المرتب لهم في القلعـة بسبب الطعام في شهر رمضان ، فلما وصلوا إلى قربه جلس الأضرّاءُ يقرأون القرآن له ، فأمر مماليكه فضربوهم بالعصى ، وقـالوا لهم : عنـدنـا ميّت حتى تجيوا تقرون عليه ؟ فرجعنا خائبين منه .

وفي هذا المجلس جاء إليه قنصل الإفرنج وجماعته بهدايا ، فقـدّمهم وأكرمهم ؛ وكان السلطان في هذه الأيام التي كان فيها بـالمصطبـة قـد رسم ببنـاء قبّتين بهـا ، فحضر معلّم المعمارية بمصر ، ومعلّمهم بدمشق وبقيّـة المعلّمين ، ورسموا مكانها ، ثم شرعوا في ذلك .

---

(١) الترسيم يقابل كلمة الاعتقال في عصرنا .

ثم ركب السلطان في أواخر هذا النهار ، وسافر بعد أن خلع على النائب خلعة أخرى بهذه المصطبة ، فكملت خلعه سبعا وثلاثين .

وفي يوم الخميس خامس عشريه خلع النائب على أمير آخوره تم بنيابة الغيبة ، وأمر بإشهار النداء بأنه لا ظلم ولا عدوان ؛ ثم خلع على خازنداره خشقدم . ـ وفي يوم الجمعة سادس عشريه جاء الخبر بأن نائب حلب خير بك ، ونائب حماة جان بردى الغزالي ، ومعهما قضاة البلدين ، لاقوا السلطان في القطيفة .

وفي يوم السبت سابع عشريه ركب مماليك النائب عليه ، وتحصّنوا بالجامع الأموي ، وغلقوا أبوابه ومنعوا الناس من الصلاة فيه ، وغلقت أسواق دمشق خوفا من نهبها ، وخطفت بعض العمائم ، بسبب اختلافهم مع أستاذهم على مقدار صرف الجامكية في التوجّه خلف السلطان ، فإنه أراد أن يصرف لكل واحد منهم خمسين أشرفيا ، بأنقص من مماليك السلطان بثمانين أشرفيا ، وفرساً ، فأبوا ذلك ، وقصدوا نهب بيت أمير آخور كبير[1] تم ، فدافعهم ، فجرحوه ، فبلغ الخبر للنائب ، فجاء إليهم ومعه العلاء بن طالوا فقط ، فلم يواجهوه ، وهربوا ، ثم مشى بينهم العلاء بن طالوا المذكور ، وأمير آخور ثاني شكم ، والدوادار الثاني ، بالصلح ووفّقوا بينهم على كمية .

وفي هذه الأيام نقب الحرامية منزل فرج ابن صبيّ الوالي ، ودخلوه ، وهو وجماعته نائمون فوق السطح ، وأخذوا له ما قيمته أربعمائة دينار . ـ وفيها طلع جماعة من الخيالة على بعض الأمراء قريب القطيفة ، وأخذوا خيله وقماشه وماله ، فشكا إلى النائب ، فأحضر ابن علاق وألزمه السعي في تحصيل غرمائه ، وإلا غرم له ما ذهب له .

---

(١) كبير : الكبير .

وفي يوم الثلاثاء مستهلّ جمادى الآخرة منها ، شكا ابن علاق للنائب من أهل الهيجانة فأمر بنهبهم ، فنهب أموالهم وقتل منهم جماعة . ـ وفي يوم الخميس ثالثه[1] دخل ابن قرقد الشاب ، وهو ابن أخي ملك الروم سليم خان ، إلى دمشق من مصر ، وتلقّاه النائب وقضاتها ، والأمراء ، ودخل في موكب عظيم ، وهو أمرد ، ومعه والدته ، وكانت فرّت به من عمّه ملك الروم سليم خان إلى ملك الشرق إسماعيل الصوفي ، فلما كسره ملك الروم و ... له ، فرّت به إلى سلطاننا ، ولما عزم على التوجّه إلى عمه أبقاه هو ووالدته بالقاهرة ، ثم بدا له في أثناء الطريق صحبته معه ، فوجّه إليه دوادار سكين ، جاء به ، فوصل في هذا اليوم ، صحبتها الخواجا ابن النيربي المعزول . ـ وفي هذا اليوم خلع النائب على أمير ابن علاق وقرابته .

وفي ليلة الجمعة رابعة ضرب عريف القراونة ، موسى بن بلغان ، فدافع عنه عبده ، فضرب ولم يوجع ، وأخذه وهرب به ؛ ثم توفي موسى المذكور منها ، وخصمه البيطار على خطة ، فلما دفن موسى توفي خصمه ، فدفن ، وحضر أخو البيطار ، وشكا إلى النائب فأمر بتوسيطه ثم نادى : إن لم تحضر أكابر الشاغور بعد صلاة الجمعة ، وإلا حرقت الشاغور ، ثم قتل عريف القبيبات .

وفي بكرة يوم الخميس عاشره ، وهو عاشر تموز أيضا ، سافر النائب لاحقاً بالسلطان في موكب عظيم ، وخرج معه القضاة الأربعة للوداع ، ولما نزل بالمصطبة السلطانية رجعوا ، ولم يرحل منها إلى يوم السبت .

وفي يوم الخميس المذكور خلع نائب الغيبة على عرفاء المحلّتين ، منهم عريف باب المصلّى أبو بكر بن المبارك ، ومنهم عريف الصالحية على بن الهريري ، وسار نائب الغيبة سيراً حسناً ، ولم يكن دأبه إلا تتبّع المناحيس وقتْلهم .

---

(١) ثالثه : ثانيه .

وفي ليلة السبت ثاني عشره قتل ابن الماخوزي ، عريف قبر عاتكة كان . - وفي يوم الأحد ثالث عشره هجم ابن الكركية الحريري الصغير ، ومعه ابن عرين من أهل ميدان الحصى ، على عريفهم ابن سعيد وضرباه بالسكاكين ، فمرّ عليهم كاشف حوران ، فقبض على ابن الكركية وفرّ رفيقه ، وأتى به إلى نائب الغيبة ، فأمر بتوسيطه ، ثم ركب وأتى إلى دور أهله ودكاكينهم فختمها ، وأما ابن سعيد المضروب فلم يمت .

وفي ليلة الاثنين رابع عشره أبدر القمر ، ثم لما توسّط السماء ابتدأ في الخسوف إلى أن خسف جميعه ، ثم استمرّ نحو ساعتين وانجلى . - وفي هذا اليوم زعم بعض المنجمين أن السلطان مغلوب مع ملك الروم ، وهو مقتضى قاعدة حساب الغالب والمغلوب ، فالله يحسن العاقبة .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره بلغني أن النائب بحماة ضعيف ، وأنه أرسل يطلب محفّة . - وفي يوم الأحد سابع عشريه وسّط نائب الغيبة لأربعة من الحرامية ، منهم عمر الهجان الأسمر من زقاق الأمير فارس ، خرج عندهم عملات ، منها ما أخذ من بيت فرج المتقدّم ذكره . - وفي يوم الاثنين ثامن عشره وسّط نائب الغيبة خمسة منهم أيضاً .

وفيه تخاصم أهل داريا وأهل صحنايا ، فخرج إليهم نائب الغيبة ونائب القلعة ، وأصلح بينهم . - وفي الثلاثاء تاسع عشريه بلغني أن ديوان نائب القلعة توفي في عسكر السلطان .

وفي يوم الجمعة ثاني رجب منها ، خطب بالجامع الأموي خطيب مكة ، لابساً السواد ، وهو صاحبنا الإمام الأصيل الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن بن الخطيب فخر الدين أبي بكر بن الخطيب أبي الفضل محمد النويري العقيلي المكي

الشافعي ، وهو ابن أخي شيخنا خطيب مكة الشيخ محبّ الدين . ـ ثم في يوم الجمعة تاسعه خطب أيضا بمدرسة النائب خارج باب الجابية .

وفي هذه الأيام تواترت الأخبار بأن السلطان بقلعة حلب ، وأن نائب الشام بحيلان . ـ وفي يوم الخميس ثاني عشريه توفي المجرم نقيب النّوبة ابن عدوس ، ويحكى عنه أنه في حال صغره [كان] يُنقش كالنساء في بيت التعيس أبي بكر ابن زريق .

وفي بكرة يوم الجمعة ثالث عشريه ورد مرسوم مؤرخ بثامن الشهر من حلب من السلطان ، وفيه أنه عزم على التوجّه إلى ملاقاة ملك الروم سليم خان ، وأنه يسأل الدعاء من أهل دمشق له ، وأن ملك الروم قد جهّز عساكر كثيرة من النصارى والأرمن وغيرهم له ، فاجتمع قضاة دمشق الأربعة ، والشيخ عبد النبي ، ومن يلوذ به من المرائين ، في جامع بني أمية بعد صلاتها في المقصورة ، وكذا يوم السبت والأحد ، وقرأوا سورة الأنعام ، ودعوا للسلطان وعسكره ، وخصوصا بين الجلالتين[1] ، ولم يحضرهم أحد من المباركين ، وألسنتهم ناطقة بالدعاء لمن قصده الخير منهما .

وشاع بين الناس أن سبب توجّهه ، بعد أن كان قصده الصلح ، توجُّه ملك الروم إليه وأخْذ قلعة الروم ، وما والاها ، إلى عينتاب[2] ، بسبب أنه اطلع على مطالعات من سلطاننا إلى الخارجي إسماعيل الصوفي ،يستعينه على قتال ملك الروم سليم خان ، على يد البهلوان ، أحد جماعة سلطاننا .

---

(١) يذكر المؤلفون في خواص القرآن أن قراءة سورة الأنعام أربعين مرة بنية أمر من الامور تكون سبباً لنجاح هذا الأمر ومن شرط قراءتها أن يدعو القارئ بين الجلالتين في الآية (١٢٤) وهي ﴿ إذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ يقف القارئ على لفظ الجلالة ويدعو ثم يستأنف القراءة ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته .

(٢) عينتاب : عنتاب .

وفي عشيّة يوم السبت ثـاني شعبـان منهـا ، وصل الخبر على يـد هجـانـة إلى دمشق . أن سلطـانـنـا الْتَقى مع ملـك الروم في مرج دابق ، بمـوضـع يعرف بتـل الغار ، وقيل بمرج الطبقة ، فوق أرض مرج دابق ، يوم الأحد رابع عشري رجب الماضي ، وهو اليوم الثالث من الثلاثة أيام ، التي قرأ فيها قضـاة دمشق الأربعـة ، والشيخ عبـد النبي ، سورة الأنعـام ، ودعوا للسلطـان كما مرّ ؛ وأنـه كانت النصرة أول النهـار لسلطـانـنـا ، وفي وقت الظهر اشتغـل عسكره بـالنهب ، فرجـع عليهم ملك الروم بالبندق الرصاص فكسرهم .

فلما رأى سلطـانـنـا ذلـك دعـا بمـاء فشرب ، وأغمي عليـه ، ثم سقـط ميّتـا بـالقولنج ، وهو يستغيث بـالأغوات : وقيـل إنـه سقـط وبـه رمـق من الحيـاة ، فأركب ، ثم سقط ثانيا ميّتا ، ولم يقاتل أحدٌ من جماعته مثل ملك الأمراء ، فلمـا سقط سنجقـه تفرّق عسكره ؛ وبعـده الأمير الكبير سودون العجمي ، فلمـا سقـط سنجقه تفرّق عسكره أيضاً ؛ وافتقد جماعـات كثيرة ، وولّى البـاقون منهزمين إلى حلب .

وأمـا سلطـانـنـا فقطع رأسـه ووجّـه إلى إصطنبول ، كما قـال لي المحبّ نـاظر الجيش : وجثّتـه ، قيل دفنت عنـد الشيـخ داود بـأرض دابـق ، وقيـل حملت إلى حلب ، ودفنت بتربة له فيها ، كانت قديماً ، لما كان متوليّا الحجوبية الكبرى بها ، والصحيح أنه لم يعلم حاله .

وفي يوم الأحد ثـالثـه دخل غزّ كثيرون إلى دمشق ، من عسكرنـا المنكسر ، وعدّة أمراء : وغلقت أبواب البلـد كلهـا ، واستمرّت مغلقـة طول النهـار ؛ ودارت الزعر في البلد وضواحيها ، وقتلوا خلقا كثيرة ، منهم في صالحيتهـا سبعـة أنفس ، منهم عبد الله عريف حـارتنـا ، بعـد أن كان تـاب عن العريفيـة على يـد الشيخ حسين الجناني .

وفي يوم الاثنين رابعه دخل دمشق محمد بن سلطاننا ، ومعه الغزالي جان بردى[١] نائب حماة ، وأركماس أمير سلاح ، وسودون الدواداري ، وعلان ، وتقدّمهم أبرك ، والمباشرون : كاتب السرّ ابن أجا ، ونائبه سيدي أحمد بن الجيعان ، وابن الإمام ناظر الخاص ، وتاج الدين بن الديوان بقلعة دمشق ، والمحبّي ناظر جيش دمشق ، وأخبروا أن القصروى ناظر جيش مصر قتل ، وكذا ملك الأمراء سيباي ، والصحيح أنه لم يعلم حاله ؛ وتبعهم القاضي الحنفي ، والقاضي المالكي المصريان .

وفي يوم الثلاثاء خامسه نودي لجان بردى الغزالي بدمشق بنيابة الشام ، باتّفاق جماعة من الأمراء الراجعين مع ولد السلطان إلى دمشق ، في اصطبل دار السعادة ، واتّفقوا أيضاً على أن ولّوا طرابلس وصفد لشخصين آخرين ، وخلع عليهم ، ومشوا مع الغزالي إلى دار السعادة ، ونادى بالأمان وفتحت أبواب دمشق بعد غلقها ، وحرج على الغزالي أن لا يسافر أحد إلى مصر ، حتى يأتي جواب طومان باي الدوادار الكبير من مصر .

وفي يوم الأحد عاشره وصل أردبش دوادار النائب سيباي ، [بعد] أن كان جزم أهله والناس بقتله ، راكبا حمارا مع بعض الفلاحين إلى قارا ، وركب منها إلى دمشق فرسا ، وفرح به أهله بذلك فرحا شديدا ، وأردبش هذا هو ناظر الخاتونية العصمتية ، وخلع عليه الغزالي .

وشاع بدمشق أن ملك الروم سليم خان دخل قلعة حلب ، وتسلّم المال الذي بها ، ووزنه ، وأرصده ، وأقام بالقلعة نائبا له ، قيل بحضرة [الخليفة] والقضاة .

وفي يوم السبت سادس عشره وصل دوادار الغزالي إلى دمشق ، بعد أن كان

(١) جان بردى : قسردي .

وجّهه أستاذه إلى حلب ، ليكشف خبر ملك الروم ، وأخبر عنه أنه ملك حلب بأمان من أهلها ، وكذا قلعتها ، وقد كان نائبها تسحّب مع العسكر المهزوم ، وأنه بالتحقيق أخذ جميع ما فيها من المال ، ويقال إنه مائة وثمانية عشر حملا ، خلا ما كان فيها قبل ذلك ، وملكها لشخص من جهته .

ثم سدّ أبواب حلب خلا بابين ، أحدهما من جهة الروم ، والآخر من جهة دمشق ؛ وسكن في القلعة ، وعلى سور البلد أناس من رماة البندق ؛ وأخذ جميع ما فيها من الودائع عند أهلها للمنهزمين ؛ وأحسن إلى فقهائها وفقرائها ؛ ودخل تحت طاعته نائب حلب خير بك ، فأكرمه .

وفي يوم الأحد سابع عشره ولّى الغزالي حمص وحماه لشخصين ، وتوجّه متسلمها إليهما . ـ وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره شاع بدمشق أن السلطان لم يمت ، وأنه وصل إلى مصر ومعه سيباي ؛ وفيه عرض العسكر بالمصطبة .

وفي يوم الأربعاء عشريه عزم أهل ميدان الحصى الغزالي ، لوليمة صنعوها له ، فذهب إليهم ، وصحبته المحبّ ناظر الجيش . ـ وفي هذه الساعة أتى اثنان حمويّان إلى غلام مصري ، كان أمرهما بمعروف ، فضرباه بخنجر بحضرة أهل السويقة المحروقة حتى مات ، ثم هربا ، فعدا خلفهما جماعة فأدرك أحدهما وقُتل .

وفي هذا اليوم جاء ابن الحنش إلى المزّة ، في جماعات من الخيل ، حين طلبه الغزالي ، وقد كان الغزالي مسك المقدّم علاء الدين بن العماد المقدسي ، الشهير بابن علاق ، قبل ذلك ، ونهب بيوته وأودعه في الحبس ، فأرسل ابن الحنش يقول للغزالي : إن قطعت رقبة ابن علاق ، العدّو الأكبر لي ، فأنا أدرك أمر ملك الروم من بلاد حماة إلى بلادي ، على أن تولّيني نيابة حمص ؛ فأمر بقطع رأس ابن علاق في الحبس ، وأرسله إليه إلى المزّة ، ويقال إنه أرشا الغزالي على ذلك ؛ ثم جاء ودخل دمشق ، فألبسه الغزالي خلعة ، وولاّه ما طلبه ؛ ثم ألبس

الغزالي أيضا ، بعد ذلك ، خلعة لصهر ابن الحنش ، ابن جانباي البدوي أمير الشام ، ودركه بلادحوران والمرج .

وفيه رجع متسلّما حماة وحمص ، منهزمين من ملك الروم ، وأخبرا أن ملك الروم ولّى فيهما متسلّمين من عنده ، فانزعج لذلك ، وتيقّن المغلوبية ، وجهّز حريمه إلى مصر ، وكذا غالب الأمراء بدمشق ، وغالب القضاة . ـ وفي يوم الخميس حادي عشريه أذن الغزالي للغزّ بالسفر إلى مصر بعد منعهم ، فسافر خلق كثير منهم ومن غيرهم .

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه خرج ابن سلطاننا من دمشق إلى مصر ، ومعه جميع العسكر المنهزمين ، والمباشرين المصريّين ، وامرأة نائب الشام سيباي المقتول ، وبنتها ، وهي زوجة ابن السلطان المذكور ، لكنه لم يدخل بها إلى الآن ، وعن جنبتي المحارة لهما ماشيا : أردبش دوادار والدها ، وتنم أمير آخور الكبير لوالدها أيضاً ، ومعهما نساء كثيرات[1] على جمال بمحاير .

وفي يوم السبت ثالث عشريه لحق من تقدّم : تاج الدين بن الديوان ، مباشر قلعة دمشق ، في محفّة ، لكون رجله كانت مكسورة ، وخرج معه حريمه وخلق من الشاميّين ، وتبعهم الغزالي بجماعته ملبّسين هاربين ، ويقال إنه خائف من الزعر ، ثم إنهم واجهوه عند باب الجابية ، أحد أبواب دمشق ، وكان قدّامه ماشيا شيخ باب الجابية المعقلي ، فقتلوه وغمي[2] عليه .

ثم داروا في البلد وقتلوا جماعات ، منهم ابن الحنبلية فقتلوه في بيته ، ويقال إنه يستحق القتل ، وقد رأيته هَدّ عدّة مساجد وترب وباع آلتها وجعل نفسه شريفا كما قدّمناه ، وهو ليس بشريف ، فإنه ينتسب إلى المسند زين الدين عبد الرحمن بن يوسف الحنبلي الشهير قديماً بابن قريج ، وحديثا بابن الطحان ، وهو

(١) كثيرات : كثيرة .

(٢) وغمي : وعما .

شيخ مشايخنا ، ولم نر أحدا منهم ، قال ولا كتب ولا أشار إلى أنه شريف .

ثم نبهوا بيت دوادار السلطان والحاجب وغيرهما ؛ ثم ذهبوا إلى حارة السمرة وأرادوا حرقها ونهبها ، فالتزم بهم بعض القلعيّين ، ويقال إنه زقزوق ، بألف دينار ، فذهبوا عنها ؛ ثم وقع بين أهل المزّة وداريا شرّ عظيم واستوحوا أهل الصالحية عليهم ، ثم انفصلوا عن غير قتال ؛ ودار نائب القلعة في دمشق دورة بعد العصر ، يخوّف الناس ، وبات أهل دمشق في خوف عظيم ، من هؤلاء الزعر ، ومن توجّه ملك الروم إليهم .

وفي أوائل ثلث الليل الأخير من ليلة الأحد رابع عشريه وقع حريق في أعلى الجانب الشمالي من بيت فارس ، قبلي حمّام الزين ، من ساكنيه الأكراد . ـ وفي هذا اليوم ذهبت الزعر إلى القاضي الحنفي ابن يونس وراموا قتله ، فاختفى[1] منهم ، فأرادوا الهجْم على بيته ، فرجّعهم حريمه عنه بدفع عدّة دراهم إليهم .

ومنه إلى القاضي الشافعي ابن الفرفور ، فردّهم عنه بجملة من الدنانير ، ويقال إنها مائة دفعها إليهم ، ثم استخدم عنده قوّاسة ، ومسكوا القاضي ابن الفيقي فشلحوه ثيابه وجرحوا فرسه . ـ وفيه أخرج من القلعة إلى عند صفّة الخضر ، قدّام باب الفرج ، لأجل الحصار ، عربة ، وبات الناس في خوف عظيم مما تقدّم .

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشريه رأى شيخنا المحيوي النعيمي في المنام قائلا يقول : فرغت البيعة ، أو فرغت بيعتهم ؛ ولم يخطر بباله من هم ، حتى استيقظ وظنّ أنهم الترْك[2] . ـ وفي اليوم المذكور وصل شخص من أهل حمص ، وأخبر أن العسكر الرومي وصل أوائله إلى حمص .

---

(١) فاختفى : فاختفا .

(٢) المراد بالترك المماليك أما الأتراك العثمانيون فكانوا يلقبونهم بالعثامنة والعثمانية والتركان احتقاراً لهم .

وفي يوم الخميس ثامن عشريه وصل متسلم ملك الروم إلى القابون الفوقاني ، واسمه مصلح ميزان ؛ ثم وجّه اثنين من الخاصكية ، ومعهما السمرقندي ، ويونس العادلي ، وابن عطية التاجر ، إلى دمشق ليكشفوا هل يسلمون أم يقاتلون ؟

وقد كان اجتمع قبل هذا اليوم شيخنا عبد النبي ، والشيخ حسين الجناني ، والشيخ مبارك القابوني ، وخلق ، في المصلّى بميدان الحصى ، واتفقوا هم ومشايخ الحارات على تسليم البلد ، فتلقّت الخلق لهذين الخاصكيين ، ومن معهما ، مع تهليل ومَشَاعِليّ ينادي بالأمان ، إلى أن وصلوا إلى باب الفرج ، فوجّهوا الأمير إسماعيل بن الأكرم إلى نائب القلعة ، فامتنع من تسليمها ، فسلّمتهم الناس البلد ، ودخلوا إليها ، وفتحوا أبوابها ، وكان لها من يوم السبت مغلقة .

ثم وجّهوا إلى المتسلم إلى القابون ابن قرقماس فأخبره بذلك ، فدخل ومعه نحو من مائتي نفس ، فأنزل ببيت أردبش ، شمالي المدرسة العزيزية ؛ ثم إنه أرسل قفل أبواب البلد ، وحطّ عند كل باب بعضا من جماعته ، وجاء إلى الجامع الأموي ، ومعه القضاة الأربعة الشاميون ، والشيخ عبد النبي ، وكتبوا يعرفون ملك الروم بما وقع لينادي في عسكره بعدم الأذية ، وأرسلوا إلى كل حارة من حارات دمشق ، كالصالحية ، اثنين من جماعته ليدفعوا عن تلك الحارة من يؤذي من العسكر ، ففرح بهم العوام .

وفي يوم الجمعة تاسع عشريه دخل دمشق خير بك ، المعزول عن حلب ، وهو محلوق اللحية ، وعليه لباس العثمانية ، ومعه يونس العادلي أحد المباشرين بمصر ، والمتسلم الجديد مصلح ميزان ، وأتوا إلى علي باي[1] نائب قلعة دمشق وتحادثوا ، ثم خلع نائب القلعة على المتسلم الجديد .

ثم دخل نائب الشام الجديد من قبل ملك الروم سليم خان ، واسمه يونس

(١) علي باي : عليباي .

باشا ، ونزل بالمرجة ، غربي الميدان الأخضر ، فأتى إليه خير بك المذكور ، ثم عاد إلى نائب القلعة وأخذه ، وذهب به من القلعة إلى النائب الجديد المذكور ، للمرجة المذكورة ، فتحادثوا ، ثم خلع النائب على نائب القلعة خلعة على زيّهم بكفوف ذهب ، وألبس لجماعته لكل واحد منهم خلعة ، وعادوا إلى القلعة ، بعد أن اتفق النائب الجديد ، مع نائب القلعة ، على أن يمسكها إلى أن يحضر السلطان .

ثم في يوم الجمعة خطب على منبر الأموي الولوي بن الفرفور باسم ملك الروم ، وكذا في سائر الجوامع ـ ثم تتابع دخول العسكر ، فذهب بعضهم ونزل على أناس خارج دمشق كرها ، فذهبوا إلى نائبها واشتكوا عليهم ، فجاء ربطهم في حبال ، ثم ذهب بهم إلى ضفّة الخضر[1] وضرب أعناقهم ، فارتدع بقيّة العسكر بهم . وتوجّه شيخنا عبد النبي والشيخ شمس الدين الكفرسوسي إلى ملاقاة ملك الروم ، ومعهما جماعة ، فلم يجتمعوا به .

ثم جاء قاض حنفي من قبل ملك الروم ، وهو على زين العابدين[2] بن الفنري[3] ، ونزل في بيت الولوي بن الفرفوري ، فأتى إليه بمشروب ، فلم يشربه ، وبمأكول ، فلم يأكله ؛ ثم ولى من تحت يده الشمس بن البهنسي الحنفي ، والشهاب الرملي الشافعي ، والشمس بن الخيوطي المالكي ، وتعاطى الحسبة ، ثم حصر الشهود في ثمانية في جميع البلد ، وألزمهم أن لا يشهدوا إلا ببابه بدرهم معيّن ، وهو على الورقة غير ورقة العقد خمسة وعشرون درهماً ، منها عشرون

---

(١) ضفّة الخضر كانت خارج باب الفرج (باب الماخلية اليوم) حول سوق النحاسين ولا وجود لها في عصرنا .

(٢) في قضاة دمشق لابن طولون ص ٢٠٩ : لما قدم السلطان سليم دمشق ولّى قضاءها للقاضي زين العابدين بن الفنري الرومي الحنفي وعزل الولوي الفرفوري ... وبذا يبدو أنه أول قاض دعي لدمشق .

(٣) الفنري : كذا في الأصل .

له ، وذرهم للنائب الذي يحمل تلك الورقة ، وأربعة للشهود ، ثم زادوا ذلك درهماً للمحضر ؛ وعلى ورقة العقد إن كانت بكراً مائة وإن كان ثيّباً خمسة وسبعون ، وما زاد على الخمسة والعشرين يكون للصوباشي ؛ وجعل إمامة الجامع الأموي للقاضي شهاب الدين الرملي المذكور .

[وصول السلطان سليم إلى دمشق][1]

وفي بكرة يوم السبت مستهلّ رمضان منها ، وصل ملك الروم سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان بن مراد بك بن محمد بن بايزيد بن مراد بك بن أردخان بن علي بن سليمان[2] بن عثمان ، وعثمان هذا من مماليك أحمد بن طولون صاحب مصر ، وقيل من مماليك المأمون ، إلى المصطبة لصيق القابون الفوقاني ، في عساكر عظيمة لم نر مثلها ، ويقال إن عّدتها مائة ألف وثلاثين ألفاً ، ما بين أروام وأرمن وتتر[3] وسوارية وإفرنج وغير ذلك .

وقدّامه ثلاثون عربة ، وعشرون قلعة على عجل ، يسحب كلاً منها بغلان ؛ ولما أطلقوا البارود في المصطبة ، ظننت أهل دمشق أن السماء انطبقت على الأرض ، وخلفهم النايات والطبول النقارة ، وخلفهم المشاة رماة البندق ، وخلفهم الخنكار الملك المذكور ، وخلفه السناجق والطوخان والعساكر على حسب طبقاتهم .

ولما نزل لم يجتمع به أحد ، ولكن قضاة دمشق الأربعة كانوا باتوا تلك الليلة عند القاضي كريم الدين بن الأكرم ، ثم سرّوا من عنده ، فاجتمعوا في الدرب

---

(١) هذا العنوان من وضعنا .

(٢) سليمان : سلين . عثمان : عثمن .

(٣) وتتر : وططر .

بقاضي العسكر ، فجاء بهم إلى الخنكار[1] ، فباسوا يده ، الشافعي ، ثم الحنفي ، ثم المالكي ، ثم الحنبلي ، ثم قرأوا الفاتحة ومشوا ؛ ثم جاء السيد كمال الدين بن حمزة ، ومعه جماعة من الشرفاء ، ففعل بهم كذلك ، ولما نزل جاء نائب القلعة الدمشقية إليه وسلمه مفاتيحها ، فقبض عليه وعلى جماعته .

وفي يوم الأحد ثانيه جاء دفتردار الخنكار إلى عند المحبّ ناظر الجيش ، وطلب مباشري[2] التُّرك[3] السمر[4] ، وطلب منهم حسابهم فيما مضى في الدخل والخرج من جهاتهم . وفي يوم الاثنين ثالثه جاء قاضي العسكر الأكبر ، ركن الدين بن زيرك ، إلى الجامع الأموي ، واجتمعتُ به ثمة ، وفرّق دراهم . وفيه نودي للحج بالتأهب له ، وضبطت عدة البيوت والدكاكين وسكانها داخل دمشق ، بإشارة قاضي البلد الرومي .

وفيه ذهبتُ إلى وطاق الخنكار ، قاصداً الاجتماع بالمدرّسين الذين معه ، ويقال إن عدّتهم ستة وثلاثون مدرّساً حنفيّاً ، فلم يتيسّر ذلك لعدم المعرفة بلسانهم ؛ فدرتُ فيه ، فذهلت من كثرته ، وتعجّبتُ من الأسواق التي فيه ، وقلّما تروم شيئاً إلا تجده فيها ، وهي سائرة معه من بلاده ؛ فمن صنف اللحّامين خمسة عشر قالياً للحم ، ومثلها من الطباخين لعدّة ألوان ، ومثلها حكماء ، ومثلها جرايحة ، ومثلها بياطرة ، ومثلها أساكفة ، ومثلها حدّادون ، ومثلها علاّفون ، وهذه الأعداد تقريباً ، وغالب ظنّي أنها أكثر من ذلك ، إلى غير ذلك من السوقة .

ثم ذهبتُ إلى العربات والقلاع ، فتفرّجتُ فيها ، ولم أرها قبل ذلك ، فإذا

---

(١) أي السلطان سليم .

(٢) مباشري : مباشرين .

(٣) انظر التعليقة رقم (٢) في الصفحة ٣٠٠ .

(٤) انظر التعليقة رقم (٤) في الصفحة ٢٨٧ .

هي أمر عجيب تدلّ على تمكّنه ، والعربات مجنزرة ، بعضها في بعض ، بحيث إذا صفّت تكون كالسور ، وكل عربة ترمي بندقة ملء كفّ الرجل من رصاص ، ولهذا البندق صندوق تحتها ، وهي مركبة عليه في طول الشخص .

ثم ذهبتُ إلى مخيم الخنكار فلم أمكّن من القرب به ، وتفرّجتُ على طبوله فإذا كل طبل قدر حمولة[1] رجلين ، يحمل كل اثنين منها على جمل ؛ ومخيّمه على نفس المصطبة ، والعسكر بالبعد منه قدر رمية حجر من كل جانب ، وهم محتاطون به كالسور على البلد .

ثم مررتُ على المقدّم ناصر الدين بن الحنش ، فإذا به قد ألبسه باشاوات الخنكار خلعة ، وأعطوه سنجقا ، وزادوه على التقدمة إقطاع الأمرية الكبرى بالشام ، وإقطاع نوى ، وإقطاع ذخيرة ابن السلطان ، وألزموه بإحضار العرب ، فالتزم ذلك .

وفيه دخل الخليفة وقضاة مصر ، خلا الحنفي ، فإنه ذهب مع المنهزمين إلى مصر من حلب إلى الصالحية ، وهم في حال رثة ؛ ثم نزل الخليفة داخل دمشق ، والقضاة بالصالحية ، والخنكار بعسكره في المصطبة ؛ وقد امتلأت دمشق ونواحيها من عسكره ، وفيه شاع بدمشق أن المصريين سلطنوا قانصوه الظاهر ، خال الناصر .

وفي يوم الخميس سادسه دخل الخنكار من المصطبة[2] إلى حمّام الحموي ، الكائن بعمارة السلطان قايتباي ، بمحلّة مسجد القصب[3] ؛ ودخله وأعطى لمن حلق له

---

(١) حمولة : حوملة . منها · منهم .

(٢) أي مصطبه السلطان ، راجع ص (٦٥) .

(٣) في زاوية أول الطريق الآخذ من مسجد الأقصاب إلى باب السلام مسجد صغير يلاصقه من جهة الغرب حمام السلطان قايتباي وعلى رأس الحمام اسم قايتباي وهذا الحمام يسمى « حمام =

خمسمائة درهم ، ولمعلّم الحمّام مثلها ، ونودي له بمعلّم الحمّامين ؛ وكان قدّامه من الخاصكية جانب كثير ، وخلفهم رماة البندق ، وخلفهم الشاووشية ، ثم هو ، وخلفه مملوكان أمردان بشعور ، لابسين على رأسيهما كوفيّتين من ذهب ، وخلفهما جمع من عسكره ؛ وكان قبل دخوله بلحية لطيفة ، فلما خرج من الحمّام رأيناه قد حلقها كغالب عسكره ؛ ثم ركب ورجع إلى المصطبة .

وبلغني في هذا اليوم أن شيخنا عبد النبي ، وهو من عصبيّته ، أنكر عليه في أنه ذهب هو وجمع من الطلبة والعلماء فلم يجتمع عليهم ، وجاءت الإفرنج وقنصلهم فاجتمع بهم .

[صفة دخوله لداخل دمشق إلى جامعها]

وفي [يوم الجمعة سابعه][1] أتى الخنكار من المصطبة إلى الجامع الأموي ، ودخل من الباب الشمالي المسمى بالناطفانيّين ، ثم من باب جنب الهريشة ، إلى تحت النسر[2] ، إلى المقصورة بعد [صلاة][3] الجمعة بها ، وأبوابها مغلقة .

وكان الخطيب القاضي الشافعي الولوي بن الفرفور أجاد في خطبته ، واستطرد في الخطبة الأولى إلى ذكر السبعة ، الذين يظلّهم الله [يوم لا ظلّ][4] إلاّ ظلّه ، ومنهم الإمام العادل ، وطبّق ذلك على ملك الروم الحاضر مسجعاً ؛

= السلطان » والظاهر أن عمارة قايتباي كانت على مقربة من هذا الحمام وهي عبارة عن وكالة « خان تجاري » وقد دثرت هذه العمارة وبقي الحمام والظاهر أن حمام الحموي كان قريباً من هذه العمارة وهو منسوب إلى الأمير عز الدين أيبك الحموي . انظر كتابنا : ولاة دمشق في عهد المماليك ص ٧٩ طبعة دار الفكر .

(١،٣) مابين القوسين تمزق في الأصل .

(٢) السر ، يعني قبة النسر .

(٤) مابين القوسين تمزق في الأصل .

وذكر في الثانية نسبه باختصار عند الدعاء له ، ولقّبه بالملك المظفر ، وصرّح بأنه سلطان [الحرمين الشريـ][1] ـفين .

وقبل الخطبة قرأ مؤذّنو الجامع المذكور بحضرته عشراً من القرآن ، بعد أن قرؤوا سورة الكهف قبل مجيئه ؛ ثم قرأ الحافظ محمد التبريزي ، أحد الجماعة الذين [كانوا][2] بها ، لما استولى عليها بعد كسرة الخارجي إسماعيل الصوفي ، عشراً من سورة مريم ، بصوت لطيف على طريقة العجم .

ولما فرغت الصلاة سكت المؤذّنون حتى سنن [جميع النا][3] س ، كما هو مذهب الحنفية ، ثم سبّحوا بعد ذلك ودعوا ، ثم انصرف الخنكار ، وانكبت[4] الخلق عليه للفرجة ، وخرج من المكان الذي دخل منه ، وأرسل للخطيب ثلاثة آلاف عثماني ومثلها للمؤذّنين ، ومثلها لأئمة الجامع المذكور ، وألفا لبواب المقصورة ، ومع ذلك مائة رأس من الغنم ، اقتسموها ، ثم ذهب إلى المصطبة .

وبلغني في هذا اليوم أنه كتب مطالعة على لسان الخنكار للمصريين ، ذكر فيها أن لكم الأمان إن سلمتم لنا مصر ، وأنتم على وظائفكم ، وأنا أكسو الكعبة ، وأولّي في البلاد والقلاع من أختار ، وإن لم تسلموا فإنا نأتي إليكم ، ولم يأت لذلك جواب شاف من مصر ـ وفيه بلغني أن أهل قلعة مدينة صفد أرسلوا مفاتيح القلعة إلى الخنكار .

وفيه قرّط[5] قاضي البلد الرومي على أرباب الوظائف الدينية بالمشاعلية ، في إحضار مستنداتهم ، فجاء بها بعضهم ، فنقلها عنده بلسانهم ، وأخذ من صاحبها خمسة وعشرين درهماً ، وكتب عليها نقل ، ووجّه صاحبها بها إلى قاضي العسكر

(١،٢،٣) مابين القوسين ممزق في الأصل .

(٤) أي ازدحمت وهي كلمة عامية دمشقية .

(٥) قرّط بتشديد الراء كلمة عامية بمعنى شدّد كثيراً .

ليمضي له ذلك ، فإذا رآه وضع رسمه عليه ، وتكلّف صاحبه مائة درهم أخرى ، هذا إن كان المستند غير مستند نظر ، وإلا فيحتاج فيه هنا إلى كلفة خمسائة درهم ، كذا قال لي بعض المعدلين .

وفيه شرع الدفتردار يتطلّب المربعات والمناشير للإقطاعات حتى ينظرها ، ليتوصّل بها إلى أخذ أجودها . وفي يوم السبت ثامنه خلع الباشوات على نقيب الجيش ، العلاء بن طالوا ، خلعة على زيّهم ، ولفّ عمامته على زيّهم من المصطبة ، وكذلك للأمير محمد بن يزبك ، وللأمير محمد بن مبارك ، وجماعته .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره هرب هؤلاء الذين لبسوا الخلع من دمشق دغشة ، وهجمت العساكر عليها ، وعلى ضواحيها ، للسكنى بها ، فأخرجت أناس كثيرة من بيوتها ، ورميت حوائجهم ومؤنهم ، وطرح جمع من النساء الحبالى ، وحصل على الناس شدّة لم تقع لأهل دمشق وضواحيها قطّ ، حتى سافر من له قدرة ، وبعضهم سكن الجوامع والمدارس بحريمهم ، وأخرجتُ من بيتي ورُميت كتبي ، ولم يوقّروا أحداً ، لا صغيراً ولا كبيراً ، ولا أهل القرآن ، ولا أهل العلم ، ولا الصوفية ، ولا غيرهم .

واستمرّ الأمر هكذا إلى يوم الخميس ثالث عشره ، فنزل السلطان إلى دمشق ، وسكن في بيت تنم نائب غيبة سيباي ، الذي سافر إلى مصر ، خلف المدرسة النورية الكبيرة(١) ، وجعل قيسارية القوّاسين(٢) مطبخاً له ، ورحل أهل تلك المحلة كلهم ، وكان قدّامه أرباب الوظائف ، ثم رماة البندق ، وخلفه أمردان

---

(١) المدرسة النورية معروفة مشهورة سوق الخياطين .

(٢) قيسارة القوّاسين هي المشهورة اليوم بخان الحرير وكان بابها أمام المدرسة الجاهدية المسماة في عصرنا بالقلبقجية قرب المدرسة النورية من جهة الشمال .

بشعور مسبلة وكوفيّتين من ذهب ، وخلفهم مماليكه ، ثم مائة أمرد ، ثم العربات والقلاع ، ثم الحمول .

وخفّ الحال عن الناس في النزول في البيوت ، ونزل من بقي من العسكر في الخيسيات[1] ، وعين الكرش ، والمرجة ، وغير هذه الأماكن ، وهم مع ذلك يفتّشون البيوت للنزول فيها ؛ وكان سبب التخفيف أن متولّي الشام مسك شخصاً منهم هجم على امرأة في بيت ، وضرب عنقه ، وأشهره على رأس رمح في ضواحي دمشق ؛ على أن بعضهم جعل مصلّى العيدين خاناً للإبل والخيل والبغال ، حتى خيام الخلاء لقضاء حاجتهم ، وأن بعض جماعة الخنكار جعل المدرسة العذراوية[2] صيرة لغنمه .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره وجّه الخنكار نائب القلعة وتقيبها ودوادار السلطان في أناس عدّتهم ستة عشر نفساً ، إلى مدينة اصطنبول ، منفيّين مع جماعة من الأروام في الترسيم ؛ ففهم بعضهم من نائب القلعة أنه أرسل إلى أناس من التركمان ليخلّصوهم ، فجاء إلى الخنكار وأخبره بذلك ، فأرسل ذبحه ، وجماعة معه ، بجنينة من ضواحي قرية حَرَسْتَا خارج دمشق ، ويقال إن سبب ذلك مطالعة جاءت من العسكر المصري إليهم ؛ ووجّه بقيّتهم إلى اصطنبول .

وفي يوم الجمعة رابع عشره تسلطن طومان باي بمصر ، غصباً عليه ، ولقّب بالملك الصالح[3] ـ وفي يوم السبت النصف منه ، تولى بمصر نيابة دمشق ، جان بردى[4] الغزالي .

---

(١) الخيسيات ، انظر : أرض الخامس ، في : الدارس في تاريخ المدارس حـ ١ ص ٥٢٣ و جـ ٢ ص ٣٤٣ ، وهي أرض خارج الباب الشرقي بدمشق .

(٢) المدرسة العذراوية غربي جامع الأحمدية بسوق الحميدية (قديماً التكية الأحمدية) تبعد عن هذا الجامع نحو مئة متر هدمت منذ خمسين عاماً وأضحت محلات تجارية .

(٣) الصالح : كذا في الأصل ، ويقصد الأشرف .

(٤) جان بردى : جنبردى .

وفيـه فرّق الخنكار على جميع أئمـة الجوامـع والمسـاجـد والمـدارس ، ومـؤذّنيهم وخطبائهم وقومتهم وسكانهم ، مالاً كثيراً ، وأكثر ماناب الشخص منهم مائـة درهم في دمشق وضواحيها كالصالحية ، واستمرّوا في التفرقة نحو الثلاثة أيام .

وفيـه ذهب إلى الربـوة وتفرّج بهـا ، وعـاد على النيرب الأعلى ، ونـزل على الجسر الأبيض ، إلى منزلـه بيت تنم ، الـذي كان بيت سـودون من عبـد الرحمن نائب الشام ـ وفيه عزل عن نيابة دمشق يونس باشاه ، وولّى مكانه الأمير شهاب الدين أحمد بن يخشي ، وولّى نيابة القلعة للأمير حمزة الرومي ، وذكر لي شيخنـا المؤرخ النعيمي أنها ولّيا يوم الخميس ثالث عشره .

وفي ليلة الاثنين سابع عشره جاء الخنكار نحو نصف الليل إلى الجـامع الأموي ليتأمّله ، فدخل إليه من باب البريد في أناس قليلة ، وصلّى بـالمقصورة ، وقرأ في المصحف العثماني ، وزار قبر رأس سيـدنـا يحي بن زكريـا عليهما السـلام ، ثم قبر هود عليه السلام ، ثم صعد المنارة الشرقية .

ثم جاء إلى الكلاسة ، فزار بها شخصاً صوفيـاً يقـال لـه الشيخ محمـد البلخشي الصوفي الحنفي ، وهو لا بأس به ، إلا إنه يقال إنـه عربي ، ثم مشى مع الخنكار إلى داخل الجامع وجلس معه سـاعـة ، وأعرض عليـه الخنكار دراهم ، فـأبى أخـذهـا ، ويقال إنه وصّاه بالرعيّة ؛ وفرّق على فقراء الجامع في هذه الليلة مالاً كثيراً ، حتى وصلت عطيّته إلى نحو العشرين أشرفياً ؛ واجتمع عليـه النـاس لمـا خرج من بـاب البريد ، فرمى لهم الدراهم بالجفنة ، فاشتغلوا بها ، وانصرف عنهم .

وفي هذا اليوم أرسل الخنكار من دمشق ، إلى بلاد ابن ساعد ، يونس باشـا ، ومعه يونس العادلي ، وأربعة آلاف مقـاتل . وفي يوم السبت ثـاني عشريـه ركب الخنكار من منزلـه ، وخرج إلى قبّـة يلبغـا متفرّجـاً ، ثم رجع وقت الظهر ، وكان بالأمس صلّى الجمعة بالجامع الأموي .

وفيه بلغني أن الدفتردار ، النازل عند المحبّي ناظر الجيش ، كتب إلى كل عشر قرى[1] مرسوماً على يد قاصد ، بإحضار رؤسائها وأكابرها ومعهم الخدم ، فحضروا ، فطلب منهم مغل هذه السنة ، فتضرّر أهل القُرى وأربابها بذلك ، فكتب القاضي كريم الدين بن الأكرم قصّة ، ذكر فيها أن بعض هذه الضياع مِلْك وبعضها وَقْف ، وبعضها إقطاع سلطانية ، وبعضها إقطاع الأمراء الجراكسية ، وسأل فيها ، على لسان أهل دمشق ، عدم التعرّض لما عدا إقطاع الأمراء الجرا [كسة][2] ..سنان باشا الوزير الأكبر ، وكان قبل هذا قد تعرّف به وأهدى له تحفاً ، منها مصحف ، يقال إنه بخط علي رضي الله عنه ، وسيف ، يقال إنه كان له أيضاً ، وكل ...[3] العلامة القزويني ، وركب إلى غيره من الوزراء الثلاثة ، وسألهم في تكلم السلطان في ذلك ، وعدم التعرّض لأرزاق الناس ، فإنه في غنية عنها ، في ...[4] بعض الجهات ، مع كلفة عليها ، بعد إحضار مستنداتها الدالة على الملكية والوقفية الأهلية ، وأما الرزق والإقطاع السلطانية فاستمرّوا ...[5] وصمّموا على عدم عودها إلى أهلها ، والله مقلّب القلوب .

وفي يوم العيد ، وهو يوم الاثنين مستهلّ شوال منها ، صلّى الخنكار العيد بالجامع الأموي وخطب الولوي بن الفرفور القاضي الشافعي كان ، ولكنه صلاّها على قاعدة مذهب أبي حنيفة ، بعد أن تأخر الخنكار في مجيئه إلى أن ارتفع النهار كثيراً ، واحتفل ...[6] في هذا العيد احتفالاً عظيماً ، حتى أحضر حلل الحلوانية وغيرهم للطعامات ، وأطعم بعض الفقراء وغالب عسكره .

وفي يوم الثلاثاء تاسعه عزم الخنكار على هدم ماحوالي القلعة الدمشقية ،

---

(١) عشر قرى : عشرة قرا .

(٢) .... : تمزق في الأصل .

(٦,٥,٤,٣).... : تمزق في الأصل .

وسور[1] البلد ، من البيوت والدكاكين ، كما فعل بحلب ، وقال للمعلم أحمد بن العطار : اذهب فانظر مافيها من الأملاك والأوقاف ، فقوّمها حتى ندفع إلى ملاّكها ثمنها وتستبدل عوض الأوقاف ؛ فذهب قوّمها ، ثم جاء فرأى ذلك يساوي مالاً كثيراً ويقال إن التقويم كان بمائة وخمسين ألف دينار فرجع عن ذلك ، وقال : أنا ماجيت إلا أعمّر ، وما جيت أخرّب .

وحينئذ رفع له قصّة بالشكوى على الدفتردار النازل في بيت المحبي ناظر الجيش ، بسبب تعرّضه إلى القرى ، فعزله ، وجعل أمر إقطاع الأمراء ونائب الشام إلى حسين باشاه ، فطلب مباشري[2] هؤلاء إلى بابه ، وأمرهم بمباشرة ما كانوا فيه عند الأمراء والنائب .

وفيه عرض عليه ثوب الكعبة ، مع طرازه المكتتب عليه اسمه واسم آبائه ، وثوب المحمل ، وقد عمله من قماش كفاوي ، والصنجق .

وفيه عيّن لبيت المقدس وغزّة وما حواليها ، من عساكره الرومية ، عشرة آلاف ، للتوجّه إلى تلك الأماكن ليسكوها ، خوفاً من أن يسبق إليها العسكر المصري ، ويقطعوا على جماعته المعيّنين للتوجّه إلى مكة المشرّفة صحبة الثوب المذكور والحاج .

وفيه قبض على يونس العادلي وسلّمه إلى البواب ، وقيل إنه إذا سلّم إليه شخصاً أتلفه ؛ ويقال إن سبب ذلك أنه علم بعبد الكريم بن الجيعان ، أحد المباشرين بمصر ، أنه كان مختفياً بدمشق ، ثم سافر منها إلى القاهرة ، ولم يطلعه على ذلك ، وهذه البهدلة حصلت ليونس عقيب مجيئه من بلاد ابن ساعد ، ثم أطلق قريباً كما سيأتي .

---

(١) وسور : وصور .

(٢) مباشري : مباشرين

وفي يوم الأربعاء عاشره وقع بين الأورام وبعض الشافعية ، بسبب تقدّم الشافعية على إمام الحنفية أمين الدين بن شيخنا البرهاني بن عون ، بسبب تقدّمه إمامهم البرهاني بن الإخنائي في الصلاة قبله في محراب الحنفية بالجامع الأموي ؛ ثم مَنَعت الأروام من صلاة الشافعية في المحراب المذكور ، ونقلوا البرهاني المذكور إلى محراب المقصورة ، وألزمت مباشري الجامع بعمل سدّة تجاه محراب الحنفية ، وعيّنت له مؤذّنين ، جوقاً[1] ، كما يقع في مقصورة الشافعية بعد أن هدّدوهم بإخراجهم منها ، ووضْع الحنفية فيها ، وما منع ذلك إلا خوف الفتنة ؛ ثم عوضوا عن السدة بدكة جيء بها من عند القاضي خير الدين المالكي ، كان يجلس عليها شهوده ؛ وفي يوم وضعت كُتب عليها بيتان هجواً ، ويقال إنهما من نظم القاضي تقيّ الدين الفاري ، فعارضتُهما بأبيات ذكرتُها في « الديوان الصغير » .

وفي يوم الخميس حادي عشره توجّه أول العشرة آلاف المعيّنة للتوجّه إلى بيت المقدس وغزّة وما حولها ، ومعهم نواب تلك الأمكنة ، وقضاتهم من قبل ملك الروم ، واستمرّوا ينجرّوا[2] ثلاثة أيام .

وفي يوم الأحد رابع عشره نودي في البلد بأن تحضر أهل الحارات إلى الجامع الأموي ، مشايخهم وأعيانهم ، فحضروا ثاني يوم ، وهو يوم الاثنين ، ففرض على كل حارة عدّة فعلة ، وكذا على النصارى واليهود ، ليوجّهوا إلى تعزيل وعرة سعسع ، والدرب ، إلى جسر يعقوب ، فما وسع الناس إلا امتثال ماأمر به ، وسعوا في تمام ذلك ، وجعلوا لكل فاعل في كل يوم عشرة ، فبلغ ذلك شيخنا عبد النبي ، فمشى إلى قاضي البلد وأبطلها ، ثم تَبَيَّن من نائبها أحمد بن يخشي عدم إبطالها ، وأخذت وتوجّهت يوم الأحد ثاني عشريه .

---

(١) جوقاً : جمع جوقة ، أي مجموعة .

(٢) ينجروا : كذا في الأصل ، ويقصد أن العسكر استمروا في الخروج من دمشق .

وفي هذه الأيام عُمّرت النورية[١] عمارة حسنة ، ودخل إليهـا الخنكار وجلس بها ، وجعل بها صناديق المال .

وفي يوم السبت سابع عشريه وضعت الـدَّكّـة[٢] ، بفتح الـدّال ، لمؤذّني إمـام الحنفية ، تجاه محرابهم ، المتقدّم ذكرها . وفيه أطلق يونس العـادلي بضمان عشرة ، واعتقـل المحبي نـاظر الجيش ، على سبعين ألف دينـار ، بقلعـة دمشـق في قيـد وزنجير ، وهي القدر الذي كان ترتّب لسلطان مصر الغوري عنده .

ومات بالصالحية نائب برصة ، وطلعَتْ الأروام إلى مآذنها[٣] وصلّوا على النبي ﷺ ، على طريقتهم وأعلموا بموته ؛ فاجتمع لـه خلق كثيرة ، وصلّى عليـه بجـامع الجبـل المظفري ، ودفن شمالي المحيـوي بن العربي ، بتربـة ابن الـزكي ، بسفـح قاسيون ؛ وفرّق عنه دراهم كثيرة ، وقرؤوا عنده الربعة ثلاث[٤] ليال .

وفي يوم الأحـد ثـامن عشريـه سلم شيخنـا المحيوي النعيمي على ملـك الأمراء الرومي شهـاب الـدين أحمـد بن يخشي ، في خيمتـه شمالي مصلّى العيـدين ، فرآه محتشماً ، وروى لـه عـدّة أحـاديث ، وذكر لـه أشيـاء من التـاريـخ ، فـاستحسن ذلك ، وسأله في التردّد إليه فوعـده بـذلـك . وفي يوم الاثنين تـاسع عشريـه أتت الفعلة المعزلين للدرب .

وفي يوم الاثنين سـادس ذي القعـدة منهـا ، وهـو أول كانـون الأول ، سـافر الوزير الأعظم سنـان بـاشـا ، قيل بـأربعـة آلاف فـارس ، من دمشق ، قيل إلى

---

(١) أي المدرسة النورية وإنما عمرت لكونها مدرسة حنفية والدولة الجديدة هي حنفية المذهب أيضاً .

(٢) بفتح الدال : كذا في الأصل .

(٣) مآذنها : موإذنها .

(٤) تلاث : ثلاثة .

غزّة ، ثم قيل للسعي في الصلح ، وقيل للقتال . وفي هذه الأيام شرع الخنكار في عمل قِرَب الماء والروايا بالكلاسة .

وفي يوم الخميس سادس عشره عرض عسكر الخنكار عليه . وفيه أطلق المحبي ناظر الجيش من القلعة ، بضمان أربعة هم : القاضي الولوي بن الفرفور الشافعي ، وولد ولده منصور ، ونقيب الأشراف التاج بن الصلتي ، وقريبه .

وفيه طلع قاضي العسكر ركن الدين إلى الصالحية ، وزار بها قبر المحيوي بن العربي ، وأخذ معه من تراب قبره ، وأحسن إلى خادمته أمّ محمد ؛ ثم جاء بعده الخنكار فزاره أيضاً ، ثم فرّق دراهم كثيرة على أهل الصالحية ، عند قبره وخارجه ؛ ويقال إنه في هذا اليوم زار غالب مزارات دمشق كبرزة ، والشيخ رسلان ، وباب الصغير ، وفرّق دراهم عند كل منها ؛ وسبب ذلك أنه جاءته البشارة بأخذ عسكره لبيت المقدس وغزّة وما حولها ، فعزم على التوجّه خلف عسكره لأخذ مصر من أيدي الجراكسة ، فأراد التوديع لمآثر دمشق .

وفي يوم الجمعة سابع عشره نقلت الشمس إلى برج الجدي . وفيه صلّى الخنكار الجمعة بالجامع الأموي ، ولم يؤذّن قدّام الخطيب سوى مؤذّن .[1] ...[2] .

---

(١) .... : نقص في أوراق المخطوط .

(٢) استدركنا النقص من كتاب « حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين » لمحمد بن كنان الدمشقي الصالحي وقد نقله باختصار من مفاكهة الخلان لابن طولون ، وفيه صفة رحلة السلطان من دمشق إلى مصر :

واحد وكذلك في الصلاة وأمر المؤذنون بالسكوت إلا المؤذن الواحد وفرق دراهم على الخطيب وأرباب الشعاير والفقراء إلى غروب الشمس .

قال ابن طولون : وفي يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة سنة اثنين وعشرين وتسعماية ، طلع مخيم الخنكار نصب خارج البلد .

وفي يوم الاثنين من الشهر ، سافر الخنكار وطلع من دمشق أول الفجر ، ومعه الشموع والنايات والطبول والعربات وشرع العسكر في الذهاب الخواجا الفنري ويونس العادلي =

[سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة]

استهلّت والخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المستمسك بالله أبي الصبر يعقوب العباسي : وسلطان مصر وما معها الملك الصالح[1] طومان باي : وسلطان دمشق والشام والروم وما مع ذلك الملك المظفر سليم خان بن عثمان : ونائبه بدمشق شهاب الدين أحمد بن يخشي ؛ وبقلعتها الأمير حمزة الرومي .

والقاضي بها زين العابدين بن الفنري الرومي الحنفي ، ونائبه من الحنفية شمس الدين بن رجب البهنسي ، ومن الشافعية القاضي شهاب الدين الرملي ، ومن المالكية شمس الدين الخيوطي ، ولم يولّ من الحنابلة أحداً إلى الآن ، وسيأتي أنه ولّى منهم شهاب الدين أحمد بن البغدادي ، وقد ألزمهم القاضي زين

= والخليفة وطلع ولي الدين بن الفرفوري وقاضي الشام زين العابدين لوداعه ، وأعطى القاضي الشافعي ألفاً والحنفي مثلها ، والمالكي ألفاً .

وأرسل الختكار للقضاة النازلين بالصالحية وهم القضاة الذين جاؤوا مع الغوري ليرتحلوا معه ماية دينار ، وزودهم قضاة الشام بالمركوب والملبوس وما لزم السفر .

قال ابن طولون : وفي يوم الأربعاء من الشهر وكان يوم الرابع منه وصل الخبر إلى دمشق أن سنان باشا مع جنبردي الغزالي ودولت باي نائب غزة وقضا بردي نائب الاسكندرية كانوا كشافاً للعسكر المصري ، وكان العسكر المصري على الشريعة ، فاقتتلوا ، وكان الغزالي قد كسر الوزير فأخلا له الوطاق لأنه بلغه حتى دخلوا فطبق عليهم بالعسكر فكسرهم ، وقتل نائب غزة والاسكندرية ، وجرح الغزالي وكانت موقعة سادس عشر ذي القعدة ، ودقت البشائر بدمشق ، واستمر الأمر كذلك ثلاثة أيام .

(١) الصالح : كذا في الأصل ، ويقصد الأشرف .

العابدين[١] بالاجتماع كل يوم بالمدرسة الجوزية[٢] المسمّاة الآن بدار الحكم ، وعندهم شهود المجلس الثمانية ، ومنع غيرهم من شهود البلد من الشهادة ، وعقود الأنكحة ، وتضرّرت شهود البلد بذلك تضرّراً زائداً ، وهم ماشون على اليسق ، وهو على كل مستند خمسة وعشرون درهماً ، ودرهم للمحضر .

وفي يوم الجمعة مستهلّ المحرم منها ، وقع بصفد مقتلة عظيمة ، سببها أن بعض العيق[٣] بلغه كسر ملك الروم ، فحمل السلاح ودار في البلد يفتّش على العثمانية ليقتلهم ، فصدف شخصاً منهم ، فقتله ، فثارت الفتنة بين العثمانية والعيق ، وفرّ نائب البلد الرومي إلى قلعتها بمن معه ، وتحصّنوا بها .

وفي يوم الأحد ، عاشوراء ، وردت مطالعة من المقدّم ناصر الدين بن الحنش إلى المحبّي ناظر الجيش ، مضمونها أن العثمانية كسرهم العسكر المصري ، ومسك سلطانهم سليم خان .

وفيه ، وهو أول شباط ، كثرت الأمطار ؛ والحال أن الأسعار غالية ، فالقمح الغرارة بنحو أربعمائة درهم ، والشعير بنحو الثلاثمائة وستين ، واللحم الضأن رطله بعشرة ، والمعز والبقر بثمانية ، والسمن بثلاثين ، والعسل بثمانية عشر ، والزيت بخمسة عشر ، والسيرج بثمانية عشر ، والدبس بسبعة ، والأرز بستة ، والفحم بخمسة ، والحطب بدرهم ، والقماش بأنواعه غال .

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه وردت مطالعة من العلاء بن طالوا نقيب الجيش ، إلى الشيخ عبد النبي ، مضمونها الإنكار عليه بمساعدة العثمانية ، وتأييد

---

(١) زين العابدين : زين الدين .

(٢) أي المحكمة الكائنة في المدرسة الجوزية المنسوبة إلى محي الدين يوسف بن عبد الرحمن الشهير بابن الجوزي وكانت تلاصق قصر العظم من جهة الغرب على يمين الداخل إليه .

(٣) العيق : جمع عايق .

ملكهم ، مع كونه خارجياً ، ولوّح بأنه مسك وبالغ في انتقاصه ، فأظهرت المطالعة الشيخ عبد النبي ، فكثر الهرج والمرج في دمشق ، وتحرّكت بعض زعر الحارات ، وقتلوا بعض أعوان الظلمة الجراكسية ، وتقصّدوا جماعة العثمانية ، فحين بلغهم ذلك دخلوا وسكنوا داخل البلد مع نائبها ، وحصّنوا القلعة .

وفي ليلة الأربعاء ثالث عشره كثر المطر ، فوقعت عدّة بيوت وطباق قبلي التربة التغرورْمِشيّة ، بسبب كثرة الزيادات في الأنهار ، وفيه دخل إلى دمشق جماعات من الأروام ، من حمص وغيرها .

وفي يوم الأحد رابع عشريه نودي على لسان النائب : من كان عنده أو في محلّته نحس أو عوان ، فليعلم به . وفيه قبض الرجل المجرم من ميدان الحصى ، المعروف بقُصْر مِلّ ، فخوزق - وفي هذه الأيام زاد كثرة الكذب على ملك الروم ، وقيل إنه رجع من الصالحية إلى بلد لدّ ، بعد أن واقع المصريّين وانكسر ، وقتل من جماعته خلق كثيرة .

وفي يوم الاثنين سادس عشريه انتقل النائب إلى بيت خشقدم ، أستادار سيباي الهارب إلى عند المقدّم ابن الحنش ، مع وجود ثلج كثير .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشريه عرض النائب ، ونائب القلعة ، والقاضي الرومي بالميدان ، وتحت القلعة ، خوفاً مما شاع بدمشق وغيرها ، من كسر ملك الروم أو قبضه . وفيه دخل إلى دمشق من عند الخنكار الخواجا ابن النيربي ، وليس معه علْم مما جرى له مع المصريّين .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشريه[1] توفي الرجل التاجر كان ، المتصلح الحاج حاتم الجرباوي البغدادي الدمشقي العاتكي ، ودفن بمقبرة مسجد الصالح .

---

(١) ثامن عشريه : سابع عشريه .

وفي يوم الأحد مستهلّ صفر منها ، أهلك النائب جماعات من المجرمين الزعر القاتلين ؛ والحال أن الخوف من النهب متزايد ، وغلقت غالب الحمامات[1] لقلّة الذبل ، والحال أن البرد متوافر ، وصار لا يوقد في الحمامات المفتوحة إلا عظام فطايس الأروام من العسكر الذين ذهبوا إلى مصر ، وقد أنتنت ضواحي البلد منها .

وفي يوم الثلاثاء ثالثه وردت مطالعة من المقدّم ناصر الدين بن الحنش ، فيها أن ملك الروم انتصر على الجراكسة المصريين ؛ ثم بعد ساعة من النهار ورد قاصد من عند ابن طربية ، أمير الدربين ، معه مرسوم وصل إليه من ملك الروم ابن عثمان ، مكتتب في منزلة بولاق خارج القاهرة ، مؤرخ بيوم الأحد عاشر المحرم ، وفيه أن ابن عثمان دخل مصر يوم الثلاثاء خامس المحرم ، ووقع القتال بينه وبين الجراكسة يوم الأربعاء والخميس والجمعة .

وفي آخرها ليلة السبت فرّت الجراكسة بعضهم إلى الصعيد ، وبعضهم إلى البحر ، وبعضهم إلى جهة الشام ، مكسورين ، ثم التحريض على ابن طربية في مسك من يظفر [به] بالدرب من الجراكسة ، ثم إن كان من الأعيان جهّزه إلى القاهرة ، وإن كان ممن دونهم أجهز عليه إن كان مجروحاً وإلا قتله ، فشكّوا الناس في هذا المرسوم .

[صورة الفرمان الذي أرسله لأهل دمشق في بشارة النصر وأخذ مصر]

وفي يوم الجمعة سادس صفر وردت مراسيم على يد أربعة من الهجانة[2] بنصرة ابن عثمان على الجراكسة ، وأخْذه للقاهرة بعد قتْل كثير في الفريقين ، وفي

(١) الحامات : الحامين .

(٢) الهجانة : الجهانة .

العوام[1] ، بسبب مساعدتهم للجراكسة ، وحرْق ونهْب ، وأن الجراكسة كانت درّبت[2] أبواب القاهرة وأزقّتها بالخنادق والمكاحل والسدّ ؛ فأخذ نائب حلب خير بك لملك الروم من موضع نفذ منه في أقفية الجراكسية ففرّوا .

وفي يوم السبت سابعه قرئت هذه المراسيم ، ودارت مبشرو[3] الأروام على بيوت الأكابر والحارات ، بالطبول والنايات ، وأطلقوا نفطاً كثيراً في قلعة دمشق ، ولطّخوا غالب أهل البلد بالزعفران ، والأشراف منهم وضعوا لهم رنوكاً صفراً ونادوا بالزينة ، فزيّنت البلد ، واطمأنت الناس ، ولكن الأروام غالبهم اغتمّ بسبب قتل جماعة من أعيانهم ، منهم سنان باشا الوزير الأعظم ، واستمرّت الزّينة سبعة أيام .

وقد عرّب موقّع دوادار السلطان ، شمس الدين الحلبي ، المرسوم الذي جاء للنائب ، والقاضي بالبلد ، بقوله :

« قدوة الأمراء الكرام ، وعمدة الكبراء الفخام ، ذو القدر والاحترام ، كافل مدينة الشام ، دام عزّه ، وأقضى قضاة المسلمين ، أولى ولاة الموحّدين ، معدن الفضل واليقين ، حجة الحقّ على الخلق أجمعين ، مولانا قاضي القضاة بالشام المحروس ، أُبْدَتْ فضائله مرسومنا هذا ، يوضّح لعلمها الكريم ، أننا توكّلنا على الله سبحانه ، وتوسّلنا بسيّد الكائنات ، محمد ﷺ » .

« وتوجّهنا بعساكرنا وصناجقنا وأعلامنا وجيوشنا وخيولنا السابقات الصافنات ، وقسيّنا الصائبات ، ورجالنا المرصدين لصيد أعدائنا ، مع هداية الله تعالى ، من الشام مع السعد والظفر إلى جهة مصر ، فوجدنا طومان باي ، الذي

---

(1) العوام : الأعوام .

(2) درّبت بمعنى أحكمت إغلاق أبوابها وحصنتها

(3) مشرو : مبشري .

تولّى سلطنة مصر ، وأقام جان بردي الغزالي كافلاً للشام ، وجهّزه إلى غزّة ، وصحبته فرقة من العساكر المصرية » .

« وكان قد تقدّمنا قدوة الوزراء العظام ، وعمدة الكبراء الفخام ، الغازي في سبيل الله ، المجاهد لوجه الله ، الوزير الأعظم سنان باشا ، إلى جهة غزّة ، فوقع بهم ، والتحم بينه وبينهم القتال العظيم ، فبعون الله تعالى وسعادتنا الشريفة ، حصل له النصر والظفر ، وقتل منهم من قتل ، وأسر منهم من أسر ، ومن سلم من سيفه فرّ منهزماً صحبة الغزالي المذكور إلى مدينة مصر » .

« ثم إن ركابنا الشريف جدّ في السير ، في السعد والإقبال ، بعساكرنا وجنودنا ، واجتمع بنا سنان باشا المشار إليه ، وصرنا نرحل من مرحلة إلى مرحلة مثل السهام » .

« فلما وصل إليهم خبر توجّه ركابنا الشريف على هذا الوجه ، أرادوا أن يتداركوا بقاء نفوسهم وأرواحهم ، فجمعوا عساكرهم السيفية ، والجلبان ، ومماليك الأمراء ، والعربان ، نحو الثلاثين ألفاً » .

« وجمعوا ما في القلعة المصرية ، وبيوت الأمراء ، وثغر اسكندرية ، وسائر البلاد والقلاع ، من المكاحل ، والكفيات ، والسبقيّات ، والبندقيات ، واللبوس ، والسلاح » .

« وحفروا خندقاً في الريدانية ، من بحر النيل إلى الجبل ، وجمعوا أخشاباً جعلوها تساتير على الخندق ، وأحضروا رماة من الفرنج وغيرهم ، وسائر آلات الحرب ، وهيّؤوها للقائنا » .

« فوصل ركابنا الشريف ، بعساكرنا المنصورة ، إلى الريدانية ، في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ،

وقت الغداة ، فوجدناهم قد لبسوا السلاح ، وتكمّلوا العدد ، وتقلّدوا بالعُـدد ، وهم غارقون في الدروع والزرد ، وأرادوا مقابلـة عسـاكرنـا المنصورة ، التي هي أعـداد الرمال ، وأمثال الجبال ، ولها قلوب الأسود ، وشخوص الرجال » .

« فلما وقف الصفّان ماج عسكرنا كموج بحر عمـان ، فبقي يغلي ويضطرب ، فرتّبنا وزيرنا الأعظم سنان بـاشـا في ميمنـة العسكر ، ودستورنـا المكرم ومشيرنـا المفخم نمر وهِزَبْر الهيجاء ، وزيرنا يونس باشا في الميسرة » .

« واصطفّ الجيشان ، وزحف العسكر المصري على سنـان بـاشـا في الميمنـة ، ورموا عليه بالمكاحل والسبقيات والكفيات والبندقيات ، وجاء أعـداؤه للقتـال ، فمـا روّعـه ذلـك ، ولا أزعجـه ، بل جـال فيهم وصـال ، وقطع منهم الأوصـال ، ورمى منهم الرؤوس عن الجثث ، وغنّى فيهم السيف ، إلى أن خاضت خيولهم في الدماء والقتلى » .

« ثم ولّوا منه منهزمين إلى الميسرة ، فتلقّاهم يونس باشا المشار إليـه ، وجـال فيهم بطعن وضرب ، فـأرادوا الفرار ، فنـــاداهم لن ينفعكم الفرار ، إن فررتم من المـوت أو القتـل ، فكم من فـارس تجنـــدل صريعـاً ، وكم من أمير أحضروه إلينـــا أسيراً » .

« وأما غالب العسكر المخذول ، فداسهم عسكرنا تحت حوافر الخيول ؛ واستمرّ الحرب من أول النهـــار إلى بين الصلاتين ، وصـــار حرب عظيم ، وجرح سنـــان باشا » .

« وآخر الأمر بـإرادة الله تعـالى ، ألاَ إن حزب الله هم الغـالبـون ، وصـارت عسـاكرنـا غـالبـة ومنصورة ، والعسـاكر المصريـة مغلوبـة مقهورة ، وقـالوا : أين المفرّ ؟ والذي سلم من سيوفنـا ، منهم من رمى بنفسـه عن فرسـه فقبضوا عليـه ، ومنهم من قطعوا رأسه وأحضروه إلينا ، والمأسورون منهم عملنـاهم إشـارات لنبلنـا وغذاء لسيوفنا ، وصارت أبدانهم ورؤوسهم وخيولهم كياناً » .

« وأقمنا بعد هذه المعركة في الريدانية أربعة أيام ، بالسعد والإقبال ، ثم انتقل ركابنا الشريف من الريدانية إلى جزيرة بولاق » .

« وكان قد فضل بقيّة سيوفنا من العساكر المصرية ، فهربوا واجتمعوا ، هم والسلطان طومان باي ، وجمعوا العربان ، والتمّوا نحو العشرة آلاف ، ليلاً من نهار الثلاثاء خامس شهر المحرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة خفية ، ودخلوا البيوت الحصينة ، وحفروا حولها الخنادق ، وستروا التساتير ، واجتمعوا في الحارات ، وأظهروا الفساد ، وأبرزوا العناد ، فعلمت عساكرنا المنصورة بهم ، فربطوا الخيّالة لهم الطرقات ، لئلا ينهزم منهم أحد ، وصاحت عليهم مماليكنا الينكشارية والتفكجية ، وحملت عليهم حملة رجل واحد ، ودخلوا عليهم إلى البيوت التي تحصّنوا فيها ، ونقبوا عليهم البيوت يميناً وشمالاً ، وطلعوا على أسطحة تلك البيوت التي تحصّنوا فيها ، ورموا عليهم بالبنادق والكفيات ، واستمرّ الحرب بين عساكرنا المنصورة وبينهم ثلاثة أيام » .

« وفي يوم الجمعة ركب مقامنا الشريف ، واشتدّ الحرب ، وصار مثل يوم يَغْشاهم العذاب من فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ، ومثل يَوْمَ يَفِرّ الْمَرْءُ مِنْ أَخيهِ وَأُمِّه وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، فخرّبنا ما عملوه من التساتير والخنادق ، فالتجؤوا إلى بعض البيوت الحصينة ، فحرقنا عليهم تلك البيوت التي التجئوا إليها ، وبقوا في العذاب الأليم ، وأرادوا الهروب فما لقوا لهم طر ·قاً إلا بحر النيل ، فأرموا أنفسهم فيه ، وغرقوا كيوم فرعون » .

« وفي هذه الثلاثة أيام يستمرّ القتال من الصبح إلى العشاء ، وبعون الله تعالى قتلنا جميع الجراكسة ، ومن انضمّ إليهم من العربان ، وجعلنا دماءهم مسفوحة وأبدانهم مطروحة ، ونهب عسكرنا قماشهم وأثاثهم وديارهم وأموالهم وبركهم ويرقهم ، ثم صارت أبدانهم للهوام » .

« وأما طومان باي سلطانهم ، فما عرفنا هل هو مات أم بالحياة ؛ وأطاعتنا

بعون الله تعالى جميع العربان ، والمشايخ الأكابر بمصر وأعمالها ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، والمسئول من الله سبحانه أن يكون عدوّنا دائماً مقهوراً ، وعسكرنا منصوراً ، والداعي بدوام دولتنا مسروراً ، إلى يوم النشور ، آمين يامعين » .

« وبعد هذه الفتوحات العظمى ، أردنا أن نعلم جميع رعايانا ، سكان ممالكنا الشريفة ، بذلك ، ليأخذوا حظوظهم من هذه البشرى ، ويبتهلوا إلى الله تعالى بالأدعية الصالحة بدوام دولتنا الشريفة ، ويدقّوا البشائر ويعلنوا التهاني ، ويرموا بالبارود في القلعة المنصورة ، ويعلموا بذلك أطراف البلاد ومقدّميها ، ليكونوا مسرورين بهذه البشرى ، وكتب في أوائل المحرم ، بمنزلة جزيرة بولاق ، انتهى » .

الملحق الثالث

يتضمن وصف المواكب في دمشق زمن الأتراك العثمانيين وهو يصف موكب الباشا ، موكب الحج ، موكب قاضي دمشق ، موكب العلماء وبقية الموظفين .

مستخرج من كتاب : المواكب الإسلامية في الممالك الشامية لمحمد بن كنان .



(موكب الباشا)

وأما تدبير المواكب بها فتدبير موكب الباشا في هذا العهد أنه يوم دخوله إن أراد ، تخرج لملاقاته إلى قرب حمص غالباً من أركان السرايا كجية والحواجبية والترجمان في السرايا وديوان أفندي العربي وبعض الحواجبية ، ومع كبارهم الهدايا من محاسن المأكول والشرابات السكرية مما تليق بخدمة الباشا ، ثم تجعل خيمة في قرية حرستا . كذا العادة ، ويقدم له ضيافة بقدر جماعته من سائر الألوان والعليق للخيل وضياف قبلها في قلعة ضيافة (؟) .

ثم إذا وصل حرستا لاقى دولة الشام من الينيشرية والزعماء ، والقبوقول ، ودولة قلعة دمشق ، ولا سفر عليهم ، وآغة القلعة ومن شرطه أن يكون بعمامة ، وكذا الباش ودفتادار المتعممين والشربجية وهم على عدد معلوم ، والادباشية والاياباشية ثم قاضي الشام والمفتي والمدرسون أرباب الرقع ، والمدارس الكبار فيدخل .

فأول ما يمر من العسكر وآلة الباشا السكمان والسكمانية من عسكره ثم الينيشرية ثم أيمة الينيشرية ثم تمر الشربجية والاياباشية بالريش العظام وبطل الريش من سنة ناصيف باشا لما أبطل الدورة ، ثم تمر الزعماء ، وتارة تسبق الشربجية والريش يتأخر ، ثم دولة القلعة وآغة القلعة بعمامة وكذا باش دفتردار ، ثم العلما ، ثم اليدكات ، ويتقدمها مدرسون الشام ، ثم القاضي على يمين الباشا ، ثم أولاد خزنة الباشا ، ثم يتوزع العسكر من عند باب السرايا . ومنهم من يدخل السرايا بالمراتب والعلما تقف مقابل السرايا وتأخذ السلام من غير دخول للسرايا وربما دعاهم ولكن نادر ، ثم يتفرق العسكر كل إلى مكانه .

ثم في أول جمعة تجمع الشربجية والشاويشية والايابشية والتراجين والكتاب بالسرايا فتركب ويمشي غالباً الجند الشامي معه وأرباب الريش بالريش على الخيول ، ثم ينزلوا عند باب الجامع الكبير أعني باب البريد فيدخل الكل وقدامه الريش لصقا ، ثم يصلي عند رأس نبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام فيصلي الجمعة ويسمع العشر الذي مقابل النبي عليه الصلاة والسلام ثم يعود للسرايا بالموكب الذي طلع فيه .

(موكب الحج)

ثم تدبير الموكب لأجل الحج وهي الدورة التي تصير في اليوم الثامن من شوال تدوير المحمل والصنجق بعساكر الشام ودولتها حتى أولاد الشربجية الصغار ويلبسون بأحسن اللباس مغرقين بالأسلحة المطلية بالذهب . فأول ما تجتمع العساكر من طلوع الفجر تبدأ تجتمع . فيخرج من باب السرايا السكانية والأرنأوطية والينيشرية والسباهية والزعما وعسكر القلعة وآغاواتهم وأكابر الدولة وقاضي المحمل متعمم وباش دفتادار وآغة القلعة متعمم وكاتب الينيشرية بعمامة ، ويكون قبل الخروج أول ما يخرج التخوت والجمال ملبسة بأنواع الزينة والأطالس . والتخوت أيضاً مزينة بأنواع الزين . ومعهم[1] عكامة الحج الشريف أجواقاً أجواقاً . ثم يخرج أمير الحج مستعيناً على هذا الجمع الكثيف فيخرج من طريق السنانية إلى مرقص السودان[2] إلى طريق الشاغور إلى باب كيسان إلى باب شرقي ، ثم إلى سيدنا أرسلان ، ثم على برج الروس ، ثم السادات ثم العمارة ، ثم الآبارين . ويمرون على السروجية إلى الحدرة إلى قدام السرايا فيدخل المحمل

---

(١) في الأصل : ومنهم ، والمراد بالعكامة جماعة أقوياء أشداء يقومون بخدمة الحاج طيلة الطريق لقاء أجرة معلومة ممن يستأجرهم من أفراد الحاج .

(٢) اي الايوان الكبير إذ كان يعظم كل شيء ينسب للظاهر بيبرس .

والصنجق السلطاني ، ثم يدخل الأمير والمحمل والصنجق والريش قدامه فيجلسوا على الإيوان الظاهري[1] بالسرايا وتقدم إليهم الضيافة من سائر الألوان من ترابط نور الدين الشهيد وقانونه رحمة الله تعالى عليه ؟[2] فيأكل منها نحو الألوف بصحون لاتعد ولا تحصى مليئة بالأ (لـ) ـوان . ثم يطوى المحمل ويوضع جميع حليه ، في صناديق مختومة إلى موكب طلوع الحج الشريف . ثم يوم موكب طلوع المحمل وهو يوم السادس عشر من شوال المبارك تطلع العساكر والأمراء والباشا وحده والقضاة . وإن كان الباشا هو الأمير يطلع الباشا ومعه العساكر وقدامه المدرسون والريش والمحمل والصنجق ثم اليدكات فتارة يتقدم الباشا على الصنجق إلى قبة الحاج ثم يترجل العسكر وأرباب الريش وتنزل القضاة تحت قبة الحاج[3] ويكتبوا حجة التسليم . ثم يأخذ الباشا جمل المحمل منهم ويودعونه هناك ثم يدخلون جملة القضاة إلى تكية أحمد باشا لأنه مرتبط في الوقف يوم طلوع الحاج (بـ) ـضيافة يعملها متولي الخانقاه من أنواع الألوان والمشروب .



وأما طريق سفر الحج فبعد تسليم المحمل الشريف يبات الباشا تلك الليلة في خيمة عند قبة الحاج ، يرجع أهل الموكب من العساكر الشامية إلى دمشق والمعينون مع الباشا .

ثم ثاني يوم يرحل إلى الكسوة ، ثم يسير إلى الدلي ، ثم إلى المزيريب وهو

---

(١) اي الايوان الكبير إذ كان يعظم كل شيء ينسب للظاهر بيبرس .

(٢) عبارة غامضة ، يحتمل أن المراد بها أن هذه الضيافة من ريع أوقاف أوقفها نور الدين الشهيد ، أو أن هذه العادة هي من عاداته .

(٣) قبة الحاج لاتزال موجودة حتى اليوم خارج حي الميدان على مقربة من قرية القدم وأمام التكية التي أنشأها أحمد باشا كوجك إلى الشيخ أحمد العسالي . والغالب أنها قامت مكان قبة يلبغا في العصر المماليكي وكانت تصل إليها مواكب الحكومة المماليكية واستعراضاتها العسكرية .

قلعة ، وفيه ماء البجة وهو معروف ، ويمكث إلى آخر شهر شوال ، وتتتابع إليه الحجاج ركباً بعد ركب ، وتخرج التجار للبيع من سائر الأصناف ويصير البيع على العربان في تلك الديرة ، ويعاودون ليلة السفر إلى دمشق ، ويتجه الباشا والحجاج إلى الحج الشريف ، إلى مكة المشرفة .



وأما موكب قاضي الشام فيطلع له مواكب المدرسين وكتاب المحاكم والنواب من المحاكم إلى حرستا والدفتردار وأكابر العسكريين وآغة القبو (قو) ل والقلعة بعمائم والقبوَ (قـ) ول بأسرهم فيدخل كدخول الباشا ومعه المفتي والقضاة والمدرسين والكتاب ثم يمر على الأبارين . ثم يمر على باب البريد إلى دار الحكم عند ضريح نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى قبلي المدرسة النورية[1] ويكون المتسلم من الملاقية[2] له ويذهب إلى دار العدل فيسلم عليه هناك . وهي ليست دار الباشا في الحقيقة ، وإنما جعلت لتنفيذ الأحكام ولأجل الديوان ، فهي دار تركت للحكام وللعدل ومحل اجتماع الكبير بالكبير . والآن بني عثمان يجعلوها محلاً للباشا بخلاف من قبلهم فإذا زار الباشا خلع عليه سمور فيخرج من عنده لابس السمور ومعه الموالي وكتاب المحكمة . وهذا ترتيب المواكب في دمشق .



وأما في ملاقات باشا لباشا متوجهاً إلى منصب غير منصب الشام فإذا كان مثله في القانون هرع إليه ولاقاه ، وإلا يسلم عليه في السرايا في اليوم الثاني ويجعل موكباً حافل .

---

(١) هي المحكمة الشرعية القديمة وقد نقلت منذ أكثر من أربعين عاماً إلى حي القنوات واستؤجرت لها دار ، ثم نقلت إلى قصر العدل ، أما المحكمة القديمة فقد سجلت في أملاك الدولة ثم بيعت .

(٢) لغة دمشقية في الملاقين له لاتزال تستعمل حتى اليوم .

ومن القانون ضرب المدافع عند دخول الباشا ولو غريباً ، وفي البشائر وليس للمتعممين عند ورودهم شيء من ذلك في دمشق .

وأما في غيرها فلكل وارد من الأكابر في النوعين يضرب له . فهذه مواكبها الديوانية .

وأما موكبها الديني فالمدرسين والعلما الأجلا والقضاة وباش دفتدار .

فأكبر المدارس السليمانية[1] والنورية والظاهرية والسليمية[2] وهي أكبر المدارس ومدرسوها أجل المدرسين . والتداريس المعينة مثلها .



وأما مدرسو الجامع (الأموي) فكثيرون ، يزيدون وينقصون وبه المفتية الأربعة .

---

(١) يعني بها التكية السليمانية وفيها اليوم المتحف الحربي .

(٢) هي مدرسة كبيرة على الطراز التركي ملاصقة للتكية السليمية وهي من إنشاء السلطان سليمان ونسبتها للسلطان سليم خطأ شائع .

الفهارس

فهرس نواب دمشق
مرتبة أسماؤهم على أحرف الهجاء(*)

أ

(*) ماكان بين هلالين فهو رقم النائب المملوكي ، وماكان بين هلالين مضاعفين فهو رقم النائب العثماني أما الرقم الأول فهو رقم الصفحة

الاعلام

أ

---

(١) جاء في الضوء اللامع (١٠/٢١٠) وردبش ، ويقال بالهمزة بدل الواو

« ب »

« ت »

« ج »

« ش »

« ص »

« ض »

« ط »

« ظ »

« ع »

« غ »

« ف »

« ق »

« ك »

« ل »

« م »

« ن »

« ه »

« و »

« ي »

أبناء

الكنى

آباء

الشعوب والطوائف

أماكن . ترب . جوامع
مساجد . أنهار . جبال

« ت »

« ح »

« خ »

« د »

« ش »

« ص »

« ض »

« ط »

« ع »

« غ »

« ن »

« و »

« ي »

الكتب

« و »

كلمات من العهد المملوكي

الكلمات المشروحة في التعليقات